

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة

دكتور

مصطفى عبدالرحمن ابراهيم

فى النقد الأدبى القديم عند العرب

١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مكة للطباعة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة

دكتور

مصطفى عبدالرحمن ابراهيم

فى النقد الأدبى القديم عند العرب

١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مكة للطباعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفصح الخلق
أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد:

فهذه محاضرات في النقد الأدبي أعدتها لطلاب الفرقة الثانية
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، تتناول النقد الأدبي
القديم عند العرب منذ نشأته ونموه وتكوينه ، حتى استوى ونضج
ووضحت معالمه، وأصبح فنا جميلا له حذاقه المتخصصون فيه .
وحاولت أن أتوخى في هذه الدراسة السهولة في العرض،
والوضوح في القصد، متجنباً الإيغال في مساربه المعقدة ، ومسالكة
المتشعبة .

وقد دفعني إلى هذا اللون من الدراسة هدف أساسي وهو أن
دراسة النقد القديم تفيد الأدب في حاضره ، لأنها توجهه إلى السداد
وتصحح مسيرته ، وتكشف ما يعتوره من خلل أو يعترض جادته ،
وعندها يستبين ما ينبغي لنا إزاء هذه المناهج القديمة ، من التزام بها ،
أو تعديل لها أو إضافة إليها .

وقد مهدت لهذا العمل بفصل وجيز عن - النقد والناقد - بحثت
فيه مفهوم النقد ووظيفته ، كما تناولت فيه : الناقد وشروطه - ذوقه

المرهف ، وثقافته الشاملة ، وتجربته الكاملة، وضميره - ثم تتبعت فى
بقية فصول الكتاب رحلة النقد من العصر الجاهلى حتى العصر
العباسى .

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يرزقنا السداد فى
القول والعمل ، وأن يجنبنا شطط الفكر والقلم وأن يهيبء لنا من أمرنا
رشدا . إنه سميع الدعاء .

دكتور

مصطفى عبدالرحمن إبراهيم عبدالرحمن

مدرس الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين جامعة الأزهر بالقاهرة

الفصل الأول النقد والناقد

تعريف النقد

مادة " نقد " لها معان شتى فى معاجم اللغة وشواهدنا نكتفى بذكر

أربعة منها :

الأول: تمييز الدراهم ، ومعرفة جيدها من رديئها . قال الشاعر :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة .: نفى الدنانير تنقاد الصياريف

الثانى - الإعطاء . وفى مختار الصحاح : نقده الدراهم ، ونقدله

الدراهم أعطاه إياها فانتقدتها أى قبضها .

الثالث - اختلاس النظر نحو الشئ . تقول : نقد الرجل الشئ بنظره

ينقده نقداً ونقد إليه بمعنى اختلس النظرة نحوه ، وما زال ينقد بصره إلى الشئ

إذا لم يزل ينظر إليه . والإنسان ينقد الشئ بعينه وهو مخالسة النظر لئلا

يفطن إليه .

الرابع - العيب : إذ جاء فى حديث أبى الدرداء أنه قال " إن نقدت

الناس نقدوك ، وإن تركتهم تركوك " أى إن عبتهم عابوك (١) .

والمعنى الأول هو الأقرب لمفهوم النقد ، وهو التمييز بين الجيد

والرديئ من الدراهم ، ومعرفة ذاتفها من صحيحها . وكما يكون التمييز بين

الجيد والرديئ فى الأمور الحسية يكون أيضاً فى الأمور المعنوية ومنها

النصوص الأدبية . وقد عرف النقد فى أدق معانيه بأن " فن دراسة

النصوص الأدبية لمعرفة اتجاهها الأدبى وتحديد مكانتها فى مسيرة الآداب ،

والتعرف على مواطن الحسن والقبح مع التفسير والتعليل " (٢) .

١ - لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٥١٧ ، ط دار المعارف ، والقاموس ، ج ١ ص

٣٤١ ، ومختار الصحاح ص ٦٧٥ .

٢ - النقد الأدبى ص ٦ د/ سعد ظلام ، ط مطبعة الامانة .

فهو يعنى بدراسة الأساليب وتمييزها ، ويتناول العمل الأدبى
يفسره ويناقشه مستخلصا عناصر الجمال التى احتواها والتى كانت سببا فى
سموه وارتقائه ، أو بيان السمات التى أدت إلى اتضاعه واحتقاره .
والنقد الأدبى من هذه الوجهة، يثرى الأدب وينميه ويعمل على
ارتقائه، لأن الأديب الحريص على السمو بفنه الأدبى يكون جادا فى الأخذ
بالنصائح التى يوجهها إليه النقد ، ويعمل على تلاقى الجوانب السلبية التى
تهبط بمستوى نتاجه ، أو تؤثر تأثيرا ضارا (١) .

مهمة النقد ووظيفته وغايته:

يمكن القول بأن أهمية النقد ووظيفته وغايته تتلخص فيما يلى :
أولا: دراسة العمل الأدبى : وتمثله وتفسيره وشرحه ، واستظهار
خصائصه الشعورية والتعبيرية ، وتقويمه فنيا وموضوعيا (٢) .
وهذا يعنى أن وظيفة النقد ليست هينة ، وليس فى مقدور كل شخص
أن يضطلع بمهامه، أو أن يتصدى لتقويم الأدب وإبداء رأى فيه ، لأن الناقد
هو الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يقوم العمل الأدبى فنيا وموضوعيا .
ثانيا : تعيين مكان العمل الأدبى فى خط سير الأدب ، وتحديد مدى
ما أضافه إلى التراث الأدبى فى لغته ، وفى العالم الأدبى كله . وأن نعرف :
أهو نموذج جديد أم تكرار لنماذج سابقة مع شئ من التجديد ؟ وهل ما فيه من
جدة يشفع له فى الوجود ؟ أم هو فضله لامتزيف لرصيد الأدب شيئا (٣) .

^١ - من مظاهر النقد الأدبى عند العرب د/ رفعت زكى محمود عفيفى ، ص ٩ ، ١٠ ط
دار الطباعة المحمدية .

^٢ - دراسات فى النقد الأدبى . ص ٢١ ، د/ حسن جاد .

^٣ - النقد الأدبى - أصوله ومناهجه - ص ١٢ ، ١٣٤ - سيد قطب ط دار الشروق .

ثالثًا : تحديد مدى تأثير العمل الأدبي بالمحيط ومدى تأثيره فيه -
وهذه ناحية من نواحي التقويم الكامل للعمل الأدبي من الناحية الفنية - فضلا
عن الناحية التاريخية - فإنه من المهم أن تعرف ماذا أخذ هذا العمل الأدبي،
ومدى الاستجابة العادية للبيئة (١) .

وقد فطن لهذه الغاية كثير من نقاد العرب القدماء والمحدثين فمن
القدماء على سبيل المثال ابن سلام الذى أدرك تأثير البيئة على الشاعر ،
فجمع شعراء القرى (مكة والمدنية والطائف والبحرين واليمامة) فى
حديث واحد (٢) ، ومن المحدثين العقاد فى كتابه - شعراء مصر وبيئاتهم
فى الجيل الماضى - الذى أقر فى بدايته أن " معرفة البيئة ضرورية فى نقد
كل شعر ، فى كل أمة ، فى كل جيل " (٣) .

رابعًا : تصوير سمات صاحب العمل الأدبي - من خلال أعماله -
وبيان خصائصه الشعورية والتعبيرية ، وكشف العوامل النفسية التى اشتركت
فى تكوين هذه الأعمال ، ووجهتها الوجهة المعينه . وذلك بلا تمحل ولا تكلف
ولاجزم كذلك حاسم (٤) .

خامسًا : النهوض بالأدب ، وتوجيهه إلى الكمال ، برسم مناهجه ،
وتصحيح أخطائه ، واستظهار مواطن حسنه .

سادسًا : أنه يساعد قارئ الأدب على فهمه ، ويعينه على تذوقه ،

١ - المرجع السابق ، ص ١١٣ .
٢ - يرجع طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ، ج ١ ص ٢١٥ ومابعدا ، ط مطبعة
المدنى .
٣ - شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، للعقاد ، ص ٣ ، ط مكتبة النهضة
المصرية .
٤ - النقد الأدبى / سيد قطب ، ص ١١٣ .

ويحبب الناس في الفن ، ويغرس فيهم الإحساس بالجمال (١) .

أهمية التأريخ للنقد الأدبي

لتأريخ النقد الأدبي أهمية كبيرة لأنه يعرض لأهم الاتجاهات الفنية والمذاهب الأدبية وأثرها في الذوق العام ، ويكشف عن تطور الذوق من عصر إلى عصر ، ومدار اهتمام النقاد ودارسى الأدب ومناطق عنايتهم . كذلك يطلعنا على كثير من الخصائص الفنية والأسلوبية المتعلقة بالنصوص الأدبية المختلفة ، ومدى اهتمام الناس بجوانبها وتفضيل النقاد لبعض هذه الجوانب وتقديمها على ماسواها . وكذلك بالنسبة للأدباء وما يتعلق بمذاهبهم الأدبية ، وأمزجتهم ، وحياتهم وما إلى ذلك (٢) .

الناقد :

الناقد بعامة هو : المميز لكل ما تقع عليه العين ويحيط به السمع وتلم به الأحاسيس وتتركه العقول ، وهو بهذه المثابة لا يعنيها هنا . أما الناقد الأدبي فهو : من يتعرض للجنس الأدبي شعرا كان أو نثرا ، قصة أو رواية أو مسرحية ، دراما ومفسرا أو موازنا ومحللا وموجها ، حتى يفرغ إلى حكم ما (٣) .

وهذا الحكم لا يؤخذ مأخذ التسليم به أو الإدعان له إلا إذا رزق صاحبه طبعاً موهوباً تدعمه ثقافة وخبرة ، حتى يكون قادراً على التذوق والتمييز ، بحيث لا يقل شعوره بقيمة العمل الأدبي عن شعور الأديب المبدع إن لم يتفوق عليه ، وقديماً قيل : انتقاد الشعر أشد من نظمه واختيار الرجل

١ - دراسات في النقد الأدبي ، د/ حسن جاد ، ص ٢٢ .
٢ - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، د/ محمد زغلول سلام ، ص ٥ ، ط منشأة المعارف .
٣ - النقد الأدبي في أطوار تكوينه عند العرب ، د/ محروس منشاوي الجالي ، ص ٢٥ ، ط دار الطباعة المحمدية .

قطعة من عقله (١) . وهذا يعنى توافر أدوات خاصة لمن يتصدى للقيام بهذه المهمة .

ولا يشترط فى ناقد الأدب أن يكون قادرا على إنشائه ، وأن كانت أقدم نماذج النقد عند العرب تتمثل فى نقد الشاعر شعره والوقوف عليه بالتهذيب والتقيح .

يقول ابن رشيق : " وقد يميز الشعر من لا يقوله كالبزار يميز من الثياب ما لم ينسجه والصيرفى يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولاضربه حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته " (٢) .

ولقد كانت هناك طائفة من النقاد الذواقين فى عصر بنى أمية - لابن أبى عتيق وسكينة بنت الحسين ، وغيرهما - تنقد الشعر وتبدي فيه رأيا دون أن تقدر على نظمه، كما كان ابن سلام لا ينظم الشعر ومع ذلك كان من أبرز نقاد عصره .

وإنما يشترط فى ناقد الأدب أن يكون قادرا على تذوقه وتمييز قيمه، والتعليل لحكمه تعليلا موضوعيا حتى يظل النقد فى خدمة الأدب ورسم الطريق الأمثل له .

١ - محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ٩٣/١ ط بيروت ١٩٦١ . . .
٢ - العمدة ١١٧/١ تحقيق محيى الدين عبد الحميد ط دار الجيل بيروت .

شروط الناقد الأدبي:

يشترط النقد في الناقد الأدبي عدة شروط نذكرها بإيجاز ثم نفصل القول في كل واحد منها على حده ، وهذه الشروط هي :

- ١- الذوق
- ٢- الثقافة
- ٣- تمرس الناقد بالنقد وخبرته ، أودريته وممارسته
- ٤- ضمير الناقد الأدبي .

أولاً: الذوق:

من الشروط التي يتحتم أن تتحقق في الناقد الذوق ، لأنه الأساس في كل حكم ، والفيصل في كل نقد ، والموجة في كل تقديم .
والذوق هو " ملكة لاغنى عنها للناقد تمكنه من التعرف على مواطن الجمال أو القبح فيما يعرض له من النصوص " (١) وقيل : " إنه استعداد فطري مكتسب نقدر به على تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته " (٢) .
وإذا كان الذوق استعداداً فطرياً فهذا أمر بدهي ، لأن الأثر الأدبي ذاته يفيض من ينبوع فطري قريب من الإلهام ، وفهم هذا الأثر فهماً دقيقاً يحتاج إلى مثل هذا النبع ، حتى تكشف أسرار الكلام ، وإلا كان شأننا شأن من يعطى الأمي كلاماً مكتوباً ، ويطلبه بقراءته وفهم ما فيه (٣) .
وللذوق مصادر يتكون منها ويتربى عليها ، وأهم هذه المصادر مخالطة الصفوة المختارة من رجال الأدب ، ومطالعة الروائع العالمية لعباقرة

١ - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ص ١٤ د/ محمد زغلول سلام .

٢ - النقد الأدبي ص ٩ د/ سعد ظلام .

٣ - في ميزان النقد الأدبي يتصرف ص ٥ د/ طه مصطفى أبوكر يشه ط المليجي .

الفن ، وقراءة الأمثلة الرفيعة من البيان الخالد ، والاطلاع على اتجاهات النقد وأذواقهم وممارستهم وتطبيقاتهم (١) .

والمصدر الثانى- ولا يقل خطورة عن سابقة - إنما هو العقل المتزن الذى يحكم فى التاسب والقصد والترتيب والعلائق المشتركة بين السبب والنتيجة ، وبين الطريقة والغاية ، ولاريب فى أن هذه الأمور من ضرورات النقد ، ومن أسباب إدراك الجمال ، على أن للعقل دورا مهما فى إيضاح الحقائق ، والإقناع بحجج الناقد استحسانا أو رفضا .

والمصدر الثالث- وهو فى درجة سابقه خطورة - هو العاطفة ، وهى الشعور الواقع على النفس مباشرة من طريق الحواس (٢) ،

وإذا كان المصدر الثانى وهو العقل يجعل الناقد فى مأمن من الزيع ، ويعصمه من الانزلاق وراء الأهواء - فإن المصدر الثالث وهو العاطفة يعصم الناقد من أن يبتعد عن مجال الأدب والنقد فى جنوحه إلى التجريد العقلى .

ومن هنا نرى أن الذوق السليم القائم على التدليل والتعليل لا يرجع إلى العاطفة وحدها ، وإنما يشارك فيه الفكر ، ويؤازره المنطق ، ويساعدة العقل ويغدو الذوق عندئذ مركبا من العاطفة والفكر والحس . وتغدو أحكاما أقرب إلى الصواب وأدنى إلى الحق والعدل

وبهذا يكون الذوق عماد الناقد فى كل حكم ، وموجهه وقائدة فى تقرير ، وهو الأداة التى يركز عليها ، به يدرك الجمال ، وتتلصص مواطنه . وأن الأدب الرفيع ، والفن السامى شعاع يتوهج ، ولمحات تتألق والذوق

١ - الذوق الأدبى د/ عبدالفتاح على عفيفى من ٩ ط مطبعة الأمانة .

٢ - نفس المرجع ص ٩ ، ١٠ ، وانظر أيضا دفاع عن البلاغة للزيات ص ٧٣ ومابعدها ط الثالثة - عالم الكتب .

المرهف الذى صفاته المعرفة ، وجلته الدربة هو الحاسة الفنية التى تحس بما فى الأساليب من حسن وقبح - وما فى الأنغام من اتساق ونشاز ، وما فى العاطفة من صدق وزيف (١) .

والذوق الذى هو عدة الناقد وأداته أختلف فيه أفطرى هو أم مكتسب؟ يذهب البعض إلى أنه موهبة واستعداد لدى الناقد ، وشأنه فى ذلك شأن أى موهبة أخرى كالنحت والرسم والتصوير ويذهب الآخرون إلى أنه ليس فطريا بل هو مكتسب يحرزه الإنسان من شتى معارف الحياة وثقافتها وبأى لون من ألوان التلقى وأى طريق من طرق التنقيف (٢) .

والحق أن الذوق مزاج من الفطرة والاكتساب ، فهو ملكة موهوبة يمنحها الله من يشاء ، بمعنى أنه فطرة فى النفس فطر عليها صاحبها ، تهدية إلى التدقيق والتفسير وتعينه على التقدير والتقويم ، وأن هذه الملكة التى طبع عليها الناقد فى حاجة إلى المعارف التى تغذيها والخبرة التى تصقلها والثقافة التى تنميها (٣) .

والذوق نوعان : ذوق عام و ذوق خاص ،

فالذوق العام : ما كان شائعا بين أبناء الجيل الواحد فى البيئة الواحدة وفى البلد الواحد ، حيث يتأثرون بظروف واحدة مشتركة ، وقد يمتد هذا الذوق إلى خارج بيئته وبلدته فيشترك مع الذوق العام فى بيئة أخرى وبلد آخر بمقدار ما بينهما من التشابه والتوافق .

١ - دراسات فى النقد الأدبى د/ كامل السوافيرى ص ١٣٥ ط الأولى - مكتبة الوعى العربى .

٢ - النقد الأدبى ص ٩ د/ سعد ظلام .

٣ - النقد الأدبى فى أطوار تكوينه عند العرب ص ٣١ د/ محروس منشاوى الحالى .

والذوق الخاص : هو ماكان مظهرها ومرآة صادقة لصاحبه لاتعكس
سواه ، فهو يتأثر بالشخصية الفردية ويتأثر بالذوق العام (١) .
والحياة الفنية مزاج من هذين الذوقين ، فيه الوفاق حيناً ، وفيه
الصراع حيناً آخر ، وإنما كانت الحياة الفنية مزاجاً منهما لأن الذوق العام
هو الذى يعطى الحياة الفنية حظاً من الموضوعية ، على حين يعطيها الذوق
الخاص حظاً من الذاتية (٢) .

والذوق الأدبى ليس صورة واحدة لا تختلف من ناقد إلى ناقد ، بل
إنه يختلف بين الناس لعوامل متعددة ن بعضها يرجع إلى أصل الاستعداد
والموهبة ، والبعض الآخر يرجع إلى العوامل المحيطة من بيئة وثقافة ،
وهذا الاختلاف هو الذى يجعلنا لا نضيق ذرعاً بتعدد الآراء التى تقابلنا فى
التفسير الأدبى ، وأن نتقبل بصدر رحب ما يستنبط من النصوص على
اختلاف فى رأى ، إذ أن كل متنوق يقترب من النص على قدر حصة من
صفاء الروح وشفافية النفس ، وتوقد الذهن ، وكم من آراء نظنها فصل
الخطاب ، ويتبين لنا بعد حين غير ما بدا لنا فى سابق العهد وما آمن به العقل
من قبل ؟

لكن هل يصل بنا الاختلاف إلى الانفصام وأن يسير كل على هواه فى
فهم ما يقرأ ؟ أو إلى أن ترى الشئ الواحد جميلاً وغير جميل فى آن واحد ؟
لا . ليس الأمر كذلك ، فإن هناك أموراً رأى النقاد ضرورة توافرها فى
المتنوق المفسر وهذه الأمور عندما تراعى تضيق من دائرة الاختلاف بين

١ - حافظ وشوقى ص ٣١ د/ طه حسين ط. وزارة التربية والتعليم ، ويرجع أيضاً أصول
النقد الأدبى للأستاذ أحمد الشايب ص ١٢٤ ، ١٣٥ ط. مكتبة النهضة المصرية ،
ويرجع أيضاً النقد الأدبى فى أطوار تكوينه د/ محروس منشأوى ص ٣٢ ، ٣٣ .
٢ - حافظ وشوقى ص ٣٢ .

المتذوقين ، وماكثر الخلاف إلا لكثرة الأدعياء الدخلاء فى ميدان الذوق الأدبى ، ثم يبقى وراء هذه الأمور امتداد الفكر وانفساح مجال التأمل والاستبطاء أمام المتذوق الحاذق الذى صفا ذهنه ، وزادت شفافيته ، هنا ترى الحجة المعقولة ، والبرهان المقبول ، حتى مع الاختلاف ، إذ أن كل ناظر نظر من خلال زاوية لم ينظر منها الى الآخر ، وتلقى إشعاعا قد يتسع وميضه أو يضيق على بصيرة نظيرة وانعكس عليها (١) .

والخلاصة أن الذوق المعتد به والجدير بالاعتبار هو ذوق العالم الذى استطاع أن يكبح جماع هواه الخاص ن الخير بالأدب الذى راضه ومارسه، وتخصص فى فهمه ودرس أساليب الأدباء ، ومنح القدرة على فهم أسرارهم، والنفوذ إلى دخالهم ، وإدراك مشاعرهم ، وسائر عواطفهم بفهمه العميق ، وحسه المرفه ، وكثرة تجاربه الأدبية ، وتمتع إلى جانب ذلك بخط كبير من المعرفة والثقافة والبصر الناقد الذى يعينه على إصدار الحكم الصائب (٢) .

ثانيا : الثقافة

من الشروط الهامة للناقد قبل أن يتصدى لمزاولة النقد ، ويخوض غمراته ، ويقف نفسه موقف الحكم الذى ترضى حكومته ، والقاضى العادل الذى يصدر أحكاما فيما يعرض عليه من قضايا أن يكون مزودا بأوفر قسط من الثقافة ، وأوفى حظ من المعرفة .

يقول الدكتور أحمد أمين : " (من اللازم أن يكون لناقد الأدب كما لناقد الفن تنقيف خاص ، ونعنى بالتنقيف تحصيل المعرفة وتهذيب العقل

١ - فى ميزان النقد الأدبى د/ طه أبو كريشه ص ٧ .

٢ - دراسات فى نقد الأدب العربى ، د بدورى طبائنه ص ٣٨ ط مكتبة الأنجلو المصرية

معاً، فالناقد يحتاج إلى المعرفة لتعطيه سعة النظرة ولتكون أساساً صالحاً لحكمه وهو يحتاج إلى تهذيب العقل لجعل هذه المعرفة قابلة لأن ينتفع بها ، وإن مقدار صلاحيتها كمفسر وحاكم ليتناسب مع معرفته وتهذيبه ، فإذا لم توجد المعرفة والتهذيب ، فإن آراءه مهما تكن لذيذة وموحية فإنها تكون تافهة القيمة (١) .

وقد حدد الدكتور كامل السوافيرى ثقافة الناقد الأدبى فى ثلاثة مجالات من المعرفة : الأول المجال اللغوى ، الثانى المجال الأدبى ، الثالث المجال العام (٢) وإليك الحديث عن هذه المجالات بشئ من التفصيل .

المجال اللغوى المراد بثقافة الناقد اللغوية معرفة بعلم اللغة صرفها ونحوها وبلاغتها وعروض الشعر وقوافيه ، فيعرف الحال ومقتضاه والتقديم والتأخير ، والإظهار والإضمار والحذف والذكر ، والإيجاز والإطناب والمساواة وبلاغة التشبيه واللمحة العابرة ، والرمز والإيماء والكناية والتعريض وتعبير موجز المقاييس البلاغية التى حددها علماء البلاغة لجودة الأسلوب ، وفصاحته .

ومن هنا نرى أن للنقد صلة وثيقة بعلم اللغة ، فهو يستعين بهافى دلالاته وتركيباته ، كما أن الأدب وهو موضوع النقد مادته الكلمات بمالها من دلالة وجرس ، والجمل بما فيها من كلمات وما تستلزمه من ترتيب خاص ، أو تدل عليه من معان مختلفة ، وماترسم من صور تبعاً لهذا الترتيب ، كما

١ - النقد الأدبى لأحمد أمين ١٩٧/١ الرابعة .

٢ - دراسات فى النقد الأدبى د/ كامل السوافيرى بتصرف ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

يستعين النقد بعلوم الأصوات والدلالة فى معناها الحديث وبعلم التركيب والأسلوب الحديثين وبالنحو والتصريف كما هو فى القديم^(١) .
وبهذا لابد أن يكون ناقد الأدب على معرفة بهذه العلوم حتى يمكنه الإفادة منها فى عملة وهو تفسير النص الأدبى وتحليله وتقويمه ، ومنذ عصر الجاهلية ظهر ما نسميه بالنقد اللغوى ، كما ظهر النقد النحوى بعد أن دونت أصول النحو ووضعت قواعده بمعنى أن النقد قد استمد من هذه الفروع كلها ما أعانه ويعينه على أداء الغاية الأساسية منه .

وأما ثقافة الناقد الأدبية فالمراد بها أن يعرف الناقد عصور الأدب معرفة كاملة ، وخصائص كل عصر ، وأدب أعلامه البارزين من الشعراء والكتاب والأجناس الأدبية التى شاعت فيه . والفنون التى سادت وانتشرت والتى تقلصت وضمرت وأسباب الازدهار أو الضمور ، وأن يعرف أثر الزمان والمكان والثقافة فى كل شاعر أو كاتب ، ونشأة كل فن أدبى ، وتطورة على مر العصور . فالجاحظ مثلاً حذق الثقافات المختلفة فى عصره ، ومزجها وخط بين عناصرها ، وقدم لنا فى مصنفاته عصاره تلك الثقافات المتعددة العربية والفارسية واليونانية .

وأما ثقافة الناقد العامة فالمراد بها إلمامه ببعض العلوم والمعارف التى لاغنى عنها لباحث متعمق ودارس جاد مثل علم المنطق حتى يعرف المقدمات وما تؤدى إليه من نتائج ، والقياس وطرقه وأن يعرف شيئاً عن

^١ - النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال بتصرف ، ص ١٥ ط دار العودة بيروت

الجمال ، ويعرف الكثير عن التاريخ العربى والإسلامى والعصر الحديث ويعرف مبادئ علم الاجتماع (١) .

وقد أورد النقاد العرب لنا الكثير من جوانب معرفتهم بالنواحي الاجتماعية والنفسية حين تحدثوا عن دواعى الشعر والأوقات التى يسرع فيها أنثيه ، وينقاد عصيه ، وعن أسباب لين شعر بعض الشعراء ووعورة شعر البعض الآخر ، وأثر البداوة والحضارة فى السهولة والصعوبة ، وفى اللين والتوعر .

يقول ابن قتيبة: " وللشعر دواع تحت البطئ وتبعث المتكلف منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب " وقال عبدالملك بن مروان لأرطاة بن سمية : هل تقول الآن شعرا ؟ فقال : (كيف أقول وأنا) ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ن وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه (٢)

ونجد القاضى الجرجانى حين يتحدث عن الطبائع والغرائز النفسية وأثرها فى الأدب يقول : " وقد كان القوم يختلفون فى ذلك ، وتباين فيه أحوالهم ، فبىرق شعر أحدهم ، ويصلب شعر الآخر ، ويسهل لفظ أحدهم ، ويتوعر منطق غيره ، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع ، وتركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودمائة الكلام بقدر دماثة الخلقة وأنت تجد ذلك ظاهرا فى أهل عصرك وأبناء زمانك ، وترى الجافى الجلف منهم كز الأنفاظ وعر الخطاب " (٣) .

١ - دراسات فى النقد الأدبى د/ كامل السوافيرى ص ١٢٦

٢ - الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر ٨٤/١ ، ٨٦ ط الثالثة ١٩٧٧

٣ - الوساطة للقاضى الجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد على الجاوى ص ١٧ ، ١٨ ط عيسى الحلبى

والحق أن الناقد البصير لابد أن يتزود من الثقافات السابقة بقدر كبير حتى يمكنه التعرف على السمات الفنية في العمل الأدبي وربطها بأصولها الكامنة في ذات الأدب ، لتحقيق الصلة - على وجه ما - بين الأدب والأديب ، إذا بغير هذه الصلة لايتأتى للناقد أن يتأكد من إصالة الفن وصدقه ، فهي سبيلة في الإقناع والإقتناع ، وخاصة حينما يشرع في الشرح والتعليل (١) .

ثالثا : تمارس الناقد بالنقد وخبرته ، أو دربته وممارسته :

من الشروط الهامة للناقد تمارس الناقد بالنقد ، وخبرته أو دربته وممارسته ، وهذه الدربة إنما تأتي من القراءات الكثيرة للنصوص والأجناس الأدبية المختلفة من شعر ومقالة وخطبة وقصة ومسرحية وبها يميز الناقد بين أسلوب وأسلوب ، ومعجم شاعر ومعجم شاعر آخر ، ويوازن بين خيال وخيال ، وصورة وصورة ، فتقافة الناقد واتساع معارفه ، وتنوع جوانب هذه الثقافة ، ومزاولته لمهمته ، ودراسة المتواصلة هي التي تؤدي إلى صحة الحكم على النصوص والكشف عما فيها من جوانب قوة وعوامل ضعف ، وتجعله صرفيا في التمييز بين الحسن والقيبح ، كالصيرفي في النقود الذي يعرف الصحيح من الزائف (٢) .

وقد فطن نقادنا القدامى إلى عملية الدربة وأثرها في العملية النقدية ، ولهذا نجد ابن سلام يشترط في الناقد أن يكون ذا بصر بالشعر ، خبيراً به ، وهو لايعتد بالنقد الذوقي التأثري إلا إذا استوفى الناقد شرطاً من الدربة والممارسة والخبرة الفنية . يقول ابن سلام : " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها

١ - معالم النقد الأدبي د/ عبدالرحمن عثمان ص ٤٣ ط مطبعة المدني .

٢ - دراسات في النقد الأدبي د/ كامل السوافيري ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما يتقفه العين ، ومنها ما يتقفه الأذن ، منها ما يتقفه اليد ، ومنها ما يتقفه اللسان ، ومن ذلك التلؤؤ والياقوت ، لاتعرفه بصفة ولاوزن ، دون المعاينة ممن يبصرة ، ومن ذلك الجهيذه بالدينار والدرهم ، ولاتعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة ، فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها (٠٠٠) وأخذ يضرب الأمثلة بالنخيل والرقيق إلى أن وصل به الحديث عن القراءة والغناء فقال : " ويقال للرجل والمرأة فى القراءة والغناء : إنه لندى الحلق ، طول الصوت ، طويل النفس ، مصيب اللحن - ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بون بعيد ، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلاصفة ينتهى إليها ولا علم يوقف عليه . وإن كثرة المدارس لتعدى على العلم به فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به (١) .

فمضمون كلام ابن سلام أنه وضع معيارا أساسيا لنقد الشعر فقرر أن الشعر صناعة يعرفها أهل العلم بالشعر ، الذين كونوا بخبرتهم وممارستهم له ذوقا أدبيا يعطيهم القدرة على تذوقه ونقده ، والشعر فى هذا كسائر الصناعات لا ينتهى العلم بها إلا عن خبرة وبصر وممارسة وتجريب ودربة ومراعاة . ولتقريب الأمر وتقريره صرب ابن سلام عدة مثل من الخبرة بالجواهر والنقود والنخيل والمتاع وغيرها ٠٠٠٠ فإذا تقرر أن الشعر صناعة فلنتركه

١ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر ج ١ ص ٦٠٥ ، ٧
الجهيذه بالدينار والدرهم الخبرة بهما . والبحرج : الردئ ، والزائف : المغشوش ،
والستوق : الزائف ، والمفرغ : المصمت فلايسمح لرنينه حس ندى الحلق : غير
جافى الحلق ، طرى الحلق ، فهو أرفع لصوته ، وظل الصوت : حسنه عذبة ناعمة
، بهيج النغمة كأنه طل بهيمى .

للخبير المتمرس به ، ينقده ويفسره ويصنفه ويحلله ويقومه بقيمته - وهي هنا قيمة معنوية - ويميز جيده من رديئه (١) .

وأما الأمدى فيرد إلى الدربة تلك القوة الغامضة التى يتميز بها الناقد عن سواه ، والمادة الأدبية هي مجال هذه الدربة ، ودوام النظر فى هذه المادة لا خارجها هو المحك الحقيقى فى تكوين الناقد .
يقول الأمدى :

((..... ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان ، ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهى علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابس . وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته ، وقلت دربته ، بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج بها ، وإلا فلا يتم ذلك (٢) .

إن خصوصية الطاقة النقدية خصوصية كاملة ، واكتسابها لا يحدث بالتلقين ولا التعلم . إنما تكتسب هذه الطاقة متى توافرت شروطها الذاتية . وهى لفرض خصوصيتها تعطى لصاحبها الحق - عند الأمدى - فى نوع من " السلطة النقدية " التى توجب - فى نظره - على الآخرين الأخذ عنه دون التمسك بتقديم الحجج ، تلك الحجج التى يبدو تقديمها غير ممكن فى بعض الحالات ، لأنها تحس أكثر مما يمكن التعبير عنها . وكل ذلك يؤكد ' نقدية '

١ - نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٠ ط دار الطباعة المحمدية .

٢ - الموازنة للأمدى تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ط دار الباز للطباعة .

النقد، كما يؤكد ' أدبية ' الأدب . ذلك لأنه يقيم صرح النقد على أساس التمرس الأدبي الذي يجعل من النقد ذاتا فريدة ، ينهض تفرداها على البصر بالمادة الأولية التي يتعامل معها وهى الأدب الإبداعي (١) .

أما القاضى الجرجانى فنجدة يضع الدربة ضمن عملية الخلق الفنى فيقول عند تحليله لموهبة الشعر : " أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبة من الإحسان " (٢) .

فمضمون كلام الجرجانى أن الدربة شرط هام للموهبة الشعرية لأنها تكسب صاحبها خبرة عملية وبصرا بمضاييق الشعر وطرائق الأداء وعن طريق الدربة والمران يستطيع الأديب - وبخاصة الناشئ - أن يصل إلى الغاية التى يرجوها من الجودة والإتقان (٣) .

والحق أن الدربة والتمرس من أهم الشروط التى يجب على الناقد أن يأخذيهما قبل إصدار الأحكام النقدية ، حتى تأتى تلك الأحكام قوية هادفة مستنيرة فيما تصدره من أحكام بتمرسها ودربتها ، وبهذا تصل إلى الغاية المرجوة من إصدار تلك الأحكام النقدية ، حتى تأتى تلك الأحكام قوية هادفة مستنيرة فيما تصدره من أحكام بتمرسها ودربتها ، وبهذا تصل إلى الغاية

١ - نصوص من النقد العربى القديم د/ محمود الربيعى ص ١٨ ط مطابع سجل العرب

٢ - الوساطة للقاضى الجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد على البجارى ص ١٥ ط عيسى الحلبي .

٣ - القاضى الجرجانى وكتابة الوساطة د/ صلاح الدين محمد عبد التواب ، ص ٦٨ ط دار الطباعة المحمدية .

المرجوة من إصدار تلك الأحكام وتقويم الأعمال الفنية تقويماً يستند إلى الموضوعية السديدة .

٤- ضمير الناقد الأدبي

و نعنى به أن يتوخى الناقد فى نقده وجه الحق . ويتجه لما يرى أنه الصواب ، ويتحرى العدل فى أحكامه ، ويتعدى عن التأثر بالهوى ، ويحاول قدر الطاقة أن يبرأ من الغرض فلا يجمال الأصدقاء والأنصار ، ولا يتحامل على الأعداء والخصوم ، وإنما يقضى بالعدل .

و ضمير الناقد ، وتوخيه العدل ، وابتعاده عن المؤثرات الشخصية أهم الأركان فى النقد ، وأهم الشروط فى الناقد إذ بدونها لا تجدى المعرفة ولا تنفع التجربة ، ولا يصح الحكم ، ولا يعتدل الميزان .

و ضمير الناقد الأدبي ظهر واضحاً عند نقادنا العرب فنجد منهم من أثر العدل فى حكومته والحيادة فى رأيه ، واحتكم إلى الذوق السليم الذى لم تفسده حمى التعصب ، وذلك كما فعل الأمدى فى موازنته ، وكما فعل القاضى الجرجانى فى وساطته ، التى أنصف فيها المتنبى من خصومه وقاس الشعر فيها بمقياس دقيق بعيد عن روح التعصب ، وكما فعل ابن قتيبة الذى احتكم إلى الروح العلمية السديدة التى ترفض التعصب وتحمى العدل والحيادة يقول ابن قتيبة : " ولم أسلك . فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد ، أو استحسناً باستحسان غيره . ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين

الجلال لتقدمه ، وإلى المتأخر (منهم) بعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلا حظه . ووفرت عليه حقه (١) " .
وكثيراً ما اختلفت الموازين ، وفستت الأحكام فى النقد الذى يميل به الناقد عن الحق والعدل ، وعما يرفع الفن ويسمو به إلى إرضاء شخص ، والانحياز إلى أديب أو إغضبه والتحامل عليه .

وينحرف الناقد عن غايته إذا طفق يطرى أثار الأصدقاء ، ويضفى عليها ألوان الثناء ، وآيات الإعجاب والتقدير إرضاء لهم ، وتترلفا إليهم مع أن هذه الآثار هابطة منحدره من الناحية الفنية .
كما ينحرف أيضاً إذا أخذ يتحامل على أثار الخصوم والأعداء ، ويخلق لها المثالب والمعائب ، ويشن عليها الحملات الظالمة وهى جيدة من الناحية الفنية ولا عيب فيها إلا أن الناقد عدو لأصحابها وهدفه أن يغض من أقدارهم ، ويحط من منازلهم .

وفى تاريخ النقد العربى نجد ما يدل على أن بعض النقاد قد استسلم لنوازع نفسه ، وانقاد لهواه ، وشط فى التعصب إلى شاعر بعينه أو التعصب عليه ، فجاءت أحكام غير موضوعية ، تعوزها الدقه فى كثير من الأحيان ، وذلك مثل ما فعل الصولى فى كتابه - أخبار أبى تمام (٢) ، حيث أسرف فى تعصبه لأبى تمام إسرافاً بيناً وكذلك الحاتمى فى - الرسالة الحاتمية فى مأخذ المتنبي المعيبة - وقد كان فيها شديد التحامل على المتنبي حقداً عليه

١ - الشعر والشعراء : لابن قتيبة ٦٨/١ .

٢ - النقد المنهجى عند العرب : محمد مندور ص ٩٤ . ط دار نهضة مصر .

وغيره منه (١) ومما يتصل بهذا التحامل الشديد - رسالة في الكشف عن مساوئ المتنبي - للصاحب بن عباد (المتوفى ٣٧٥ هـ) - وفيها تبدو روح التعصب على المتنبي بينة ، حيث تناول صاحب نقد المتنبي في كثير من شعره ، بأسلوب تهكمى ساخر ، بلغ درجة الفحش أحيانا ، مما جعل نقده شخصيا أكثر منه نقدا موضوعيا (٢) .

وبهذا نعلم أنه كم من أدب رفيع ، وشعر جيد رصين ، وأثر فنى سام تعرض لحملات نقدية ظالمة ، وهجمات حاكمة ، للحط من شأنه ، والغض من قدره فمحا الزمن ذلك النقد الجائر ، وظل الأدب سامق البناء رفيع العماد تتغنى به الأمم ، وتردده الحقب ، وشعر المتنبي خير شاهد على ذلك .
وحقيقة لا بد من تقريرها هنا وهى أن أى نص أدبى ، وأى أثر فنى فى القديم والحديث لا يخلو من محاسن وعيوب ، ومن جوانب قوة وضعف ، والكمال لله وحده ، ومن فتش عن عيب وجده ، وضمير الناقد ومسئوليته ونزاهته كل ذلك يجعله ينأى عن التحيز للأنصار ، والتحامل على الخصوم ، ويحتم عليه أن يذكر المحاسن قبل المساوئ ويوضح جوانب القوة قبل أن يتناول جوانب الضعف ، ويبرز للمحات المشرقة ، والومضات المشعة ، قبل أن يشير إلى ما شاب النص من عيوب (٣) .

والحق أن ضمير الناقد الأدبى هو مقياس احترامه والثقة به ، والاعتداد بآرائه والاطمئنان إلى سلامتها حيث يوليه قراؤه الثقة إذا لمسوا نزاهته وحيوية ضميره ، وإحساسه بمسئوليته ، وعدالة أحكامه . ويهملونه

١ - انظر تاريخ النقد الأدبى والبلاغة : د. محمد زغول سلام ص ٢٧٣ وما بعدها .

٢ - المرجع السابق ص ٢٧٦ وما بعدها .

٣ - دراسات فى النقد الأدبى : د. كامل السوافيرى ص ١٣٨ .

ويعرضون عنه إذا انحرف عن الجادة ، وأصبح أسيرا لأهوائه ونزعاته .
وتجافى عن الحق ونأى عن العدل .

شروط أخرى

أوضحنا فيما سبق أن هناك شروطا ينبغي أن تتوافر فى الناقد ،
وتناولنا منها الشروط الأربعة : ذوقه المرفه ، وثقافته الشاملة ، وتجربته
الكاملة ، وضميره النقدي . ونتناول هنا بإيجاز بعض الشروط الأخرى
لأهميتها فى العملية النقدية وهذه الشروط هى (١) :

١- أن لا يتأثر الناقد بالأحكام النقدية التى تسود بيئة النقاد ، فلا يقلدهم فيها
ما لم يؤمن بها ويعتقد سلامتها ، ذلك لأن النظرة المتحررة هى التى
يجب أن يتحلى بها الناقد ، وهى الطريق لإثراء النقد بأفكار وآراء
جديدة ، تفتح الباب للمناقشة ، حتى تصوب الأحكام التى يثبت خطأها ،
وبغير هذه النظرة تتوارث الأحكام ، ويأخذها الخلف عن السلف ،
وكثيرا ما تغطى على إحسان محسن ، أو تدارى على إساءة مسيء ،
فيحتل مكانة ليس جديرا بها .

٢- أن يكون الناقد حذرا فى أحكامه النقدية ، فلا تكون عبارته موحية بأن ما
يقوله هو القول الفصل الذى لا معقب وراءه ، بل يدع الباب مفتوحا
أمام غيره للإدلاء برأيه ، ويكون سبيله فى ذلك التواضع ، إذ أن ادعاء
الإحاطة بالصواب وتخطئة الآخرين على الإطلاق ، أمر لا يليق بخلق
الناقد ، والنقاد الكبار يتجنبون مثل هذه الانزلاق الخطر فى الأحكام .

١ - انظر فى ميزان النقد الأدبي : طه مصطفى أبوجريشة ص ١٤-١٥ .

٣- على الناقد أن يتحرى الصواب فى أحكامه والسبيل إلى ذلك أن يتجنب خداع النظرة الأولى ، فإنها لا تتجاوز السطح ولا تسبر الأعماق ، والنقد المتأنى المدروس هو النقد الخالد والأثر الباقي ، أما غيره فهو الزبد يذهب جفاء ولا يمكن فى الأرض .

الفصل الثانى النقد فى العصر الجاهلى

النقد في العصر الجاهلي

تقديم:

ولد النقد الأدبي مع مولد الشعر ، ونشأ معه ، وهذا أمر طبيعي ، فإن الشاعر ناقد بطبعه ، يفكر ويقرر ويختار ، ولهذا كان أقدر من غيره على فهم الصنعة الشعرية ، وعلى إدراك أسرار القبح أو الجمال^(١) .

ومن هنا كان من الصعب أن نحكم حكماً موثقاً على الصورة الأولى التي نشأ عليها النقد الأدبي ذلك لأنه ارتبط بالشعر في نشأته ، ومعلوماتنا عن النهج الأول للشعر العربي لا تتجاوز المائة والخمسين عاماً التي سبقت ظهور الإسلام^(٢) .

لكن الذي يمكن أن نؤكد في هذا المجال اعتماداً على ما قرره أئمة الأدب ، أن أول من وطأ متن الشعر : امرؤ القيس بن حجر ، ومهلل بن ربيعة ، يقول الجاحظ :

" أما الشعر ، فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه : امرؤ القيس بن حجر ، ومهلل بن ربيعة ، فإذا استظهرنا الشعر ، وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فماتني عام"^(٣) .

ويقول ابن سلام : " وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل ، قتلتة بنو شيبان ، وكان

١ - دراسات في النقد الأدبي د. حسن جاد ص ٣٧ .

٢ - النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام د. محمد إبراهيم نصر ص ٢٠ ط دار الفكر العربي

٣ - الحيوان للجاحظ ١/٣٧ ط الساسي .

اسم المهلهل عديا ، وإنما سمي مهلهلا لهلهته شعره كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه^(١)

والشعر العربي لم يبدأ حياته على هذا النظام الكامل الذى وجدناه عليه ، وذلك لأن طبيعة الحياة تأبى الطفرة ، ولا تسلم إلا بسنة التطور والارتقاء فمن الطبيعى أن هذا الشعر قطع أحقابا طويلة حتى بلغ هذه الدرجة من النضج والاستواء التى ألفناه عليها ، وكان فى كل خطوة من خطوات تطوره فى سلم الحياة يقف ليرجع بصره فيما أسلف ، ويعد عدته للخطوة المقبلة ، أو الوثبة الجديدة التى سيقوم عليها أوداء ، أو يصلح بها هوجا ، ثم يجدد فى البناء مفيدا من أخطائه السابقة وتجاربه المتعددة ، وتجارب غيره ممن يزاولون مثل صناعته ، وهو فى كل خطوة ينفى مارآه الناس نقصا ، ويضيف ما عساه أن يستقيم بإضافته البناء الذى بناه^(٢) .

وحين نضج هذا الشعر ، واكتملت له صورته الفنية ، فتن به العرب فتراووه وتدوقوه ، وتغنوا به ، ونظروا فيه تلك النظرة التى تلتئم مع حياتهم وطبيعتهم ، ويعدهم عن أساليب الحضارة . فأعلنوا استحسانهم لما استجادوا ، واستهجانهم لما استنبحوا فى عبارات موجزة وأحكام سريعة ، إن كانت صحيحة عادلة فكما تملئها الفطرة السليمة ، لا كما يملئها التعمق فى البحث والدراسة والمنطق الذى يعتمد على التحليل والتعليل^(٣) .

ومن هنا وجد النقد الأدبى فى الجاهلية ، ولكنه وجد هينا يسيرا ملائما لروح العصر ، ملائما للشعر العربى نفسه ، فالشعر الجاهلى إحساس محض أو يكاد ، والنقد كذلك ، كلاهما قائم على الانفعال والتأثر . فالشاعر مهتاج

^١ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، ٣٩/١ .

^٢ - دراسات فى نقد الأدب العربى د . بدوى طيبانه ص ٥١ .

^٣ - نفس المرجع ص ٥٣ .

بما حوله من الأشياء والحوادث ، والناقد مهتاج بواقع الكلام فى نفسه وكل نقد فى نشأته لابد أن يكون قائما على الانفعال بأثر الكلام المنقود . والنقد العربى لايشذ عن تلك القاعدة ، بل هو من أصدق الأمثلة لها . فالعربى حساس رقيق الحس ، تنال الكلم من نفسه، ويحتاج لها احتياجا ، فإذا حكم على الأدب ، حكم عليه تبعا لتأثره به ، وبمقدار ذلك التأثير . هو يحكم على الأدب ببلاغة الأدب ، ويحكم عليه بالنظرة العجلى ، والأثر السريع^(١) .

صور النقد فى العصر الجاهلى

نستطيع القول إن صور النقد فى العصر الجاهلى كثيرة ومتشعبة ولكنها ترجع فى مجموعها إلى صورتين هما :

- ١- النقد الذاتى التأثيرى .
- ٢- النقد الذى مبعثه الروية والأناة .

أولا : النقد الذاتى التأثيرى :

نعنى بالنقد الذاتى التأثيرى النقد الذى يكون مبعثه الإحساس القائم على الذوق الفطرى ، فهذا النقد قائم على الإحساس بأثر الشعر فى النفس ، وعلى مقدار وقع الكلام عند النقد ، " فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفا ، والعربى يحس أثر الشعر إحساسا فطريا لا تعقيد فيه ، ويتذوقه جيلة وطبعا ، وعماده فى الحكم على ذوقه وعلى ساليقته ، فهما اللذان يهديانه إلى فنون القول ، وإلى المبرز من الشعراء " ^(٢) .

١ - تاريخ النقد الأدبى عند العرب للأستاذ طه أحمد إبراهيم ص ٢٤-٢٥ ط دار الحكمة

بيروت .

٢ - نفس المرجع ١٨٠ .

وهذا النقد الذاتى التائثرى جعلهم يرجعون فى كل ما يتصل بأدبهم إلى السليقة ، ويصدرون عنها فى أحكامهم التى تدور حول ما استخدموا من أنماط أدبية ، وتذوق الجمال فى الأدب مرده عندهم إلى الطبع الذى نشأوا عليه وإلى البيئة ذات الطابع العربى الأصيل فى كل جانب من جوانبها المختلفة ، ولهذا جاء نقدهم مطابقا كفطرتهم وبيئتهم ، وصادرا عن أذواقهم وتأثرهم بالجمال حسبما ركبت فيهم من طباع ، وما درجوا عليه من تمييز بين الغث والسمين من فنون القول (١) .

والناظر فى النصوص النقدية التى وردت فى العصر الجاهلى يلاحظ أن النقد الذاتى التائثرى يأخذ عدة اتجاهات وهى :

أ- النقد اللغوى .

ب- النقد المعنوى .

ج- النقد العروضى (٢) .

د- تقديم الشعراء .

وإليك الحديث عن كل واحد منها بالتفصيل .

أ- النقد اللغوى :

وهو القائم على نقد الخطأ فى الاستعمال اللغوى ، ولقد كان العربى على صلة وثيقة بأسرار لغته ، يدرك بفطرتة الدلالة الوضعية للكلمات فإذا ابتعد الشاعر عن تلك الدلالة ، واستعمل الكلمة فى غير موضعها ، دون أن

١- معالم النقد الأدبى د/ عبدالرحمن عثمان ص ٩١ .

٢- المرجع السابق ص ٩٤ ، وراجع أيضا دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٣٨ ومابعداها ، وراجع أيضا النقد الأدبى فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام د/ محمد إبراهيم نصر ص ٨٦ ومابعداها .

يلمح علاقة بين المعنى الأصلي للكلمة ، والمعنى الذى نقلها إليه أحس بذلك إحساسا مباشرا وعبر عن ذلك الإحساس بما تجود به قريحته .

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ما روى عن أبى عبيدة قال : مر المسيب بن علس بمجلس بنى قيس بن ثعلبة فاستثدوه . فأنشدهم :

ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم . نحييك عن شحط وإن لم تكلم

فلما بلغ قوله :

وقد أتناسى الهم عند ادكاره . بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال طرفة - وهو صبى يلعب مع الصبيان : ' استنوق الجمل ' (١) .

والصيعرية سمة فى عنق الناقة لا البعير - كما استعملها العرب - وقد استعملها المسيب خطأ فى وصف الجمل فأكرر عليه طرفة بعبارة ساخرة هى :

استنوق الجمل ، معتمدا على حسه اللغوى فى تخطئة الشاعر الذى بعد عن

الصواب فى استعماله اللفظ ، ومن هنا نرى أن طرفة أدرك بفطرتة أن كلمة

(الصيعرية) وضعت للدلالة على تلك السمة فى عنق الناقة ، فلما ابتعد بها

الشاعر عن أصل وضعها من غير سبب معقول . فطن إلى ذلك بفطرتة ،

ونبه الشاعر إلى خطئه بهذه العبارة التى صارت مثلا .

ومن النقد اللغوى ما روى أن الأعشى أنشد قيس بن معديكرب أحد أشراف

اليمن شعرا فى مدحه ، جاء فيه :

ونبت قيسا ولم أبله . وقد زعموا ساد أهل اليمن

فعابه قيس لما شاب معناه ولم ينفعه لإصلاحه البيت بقوله :

ونبت قيسا ولم آته . على نأيه ساد أهل اليمن (٢)

١- المؤشج للمرزبانى تحقيق محمد على البحاوى ص ٩٣ ط نهضة مصر .

٢- نفس المرجع ٦١ ، وإنما عابه قيس لقوله ولم أبله ، فقد أضفى بهذه العبارة على النبأ ظل الشك فيه ، ولقوله زعموا والزعم مطية الكذب .

فقيس استطاع أن يتنبه إلى خطأ الأعشى حين ذهب إلى أن سيادة قيس على أهل اليمن كانت زعماً لا حقيقة ، و " زعموا " كما يقولون مطية الكذب وذلك لأن الدقة في فهم الألفاظ وفي استعمالها كان يتحراها كل عربى ، وفى هذا دليل على أن العربى كان شديد الحساسية فى إدراك التلاؤم بين الكلمة وما وضعت له ، فإذا ابتعدت عن معناها ، وانحرفت عن دلالتها عد ذلك عيباً .
والظاهر أن هذا اللون من النقد كان قليلاً نادراً ، لأن العربى كان شديد الحساسية بلغته ، ودقيق الإصابة فيها ، يجرى فى استعمال الكلمات على طبعه وسليقته ، فإذا ظهر شئ يخالف الطبع والسليقة فطنت إليه الأنواق الناشئة وعافته وذلك نادر . . . ولعل هذا هو الذى يعال لنا قلة النصوص التى نقلها الرواه فى هذا الشأن (١) .

ب - النقد المعنوى

وإذا كان العربى شديد الحساسية بلغته . . . دقيق الإصابة فيها ، يجرى فى استعمالها على طبعه وسليقته . . . فإنه كذلك يدرك بفطرته أن اللغة وضعت للتعبير عن ذاته وعن إحساسه وعن قيمه ومثله ، وعن البيئة والطبيعة من حوله ، فإذا طابقت لغته المعنى الذى عبر عنه مطابقة سليمة رضى عن ذلك وإطمأن إليه ، وعبر عن إعجابه ورضاه ، وإن ابتعدت عباراته عن إصابة الهدف بأن جنح إلى مبالغة لا يرضاها أو انحرف إلى معنى لا يرى صحة الإفضاء به أو التحدث فيه لبعده عن قيمه العامة ومثله

١ - النقد الأدبى فى العصر الجاهلى وصنر الإسلام د/ محمد إبراهيم نصر ص ٨٧ .

التي ارتضاها ، أو قصرت عبارته عن التجاوب مع المقام الذي يتحدث فيه
(١) .

والحقيقة الهامة التي لها وزن كبير في النقد الجاهلي من جهة المعنى هي : أن
العربي بذوقه الفطري وثقافته التي عرفناها له كان حريصا كل الحرص على
تطوير فنه الشعري ، والصعود به إلى مستوى أليق بهذا الفن الجميل ، ومن
هنا ظهرت بعض المقاييس النقدية، التي تتصل بنقدهم لمعاني الشعراء وأهم
هذه المقاييس هي

- ١- النظر في المبالغة وملاءمتها للطبع الجاهلي .
 - ٢- الملاءمة بين الألفاظ وما تدل عليه .
 - ٣- النظرة في وجود الشعر من حيث أداء وظيفته الجمالية (٢) .
- ولتوضيح هذه المقاييس نذكر الأمثلة والنماذج التي تدلل على هذه المقاييس
معقبين عليها بما يكشف عن سماتها ويجلو طابعها .
- ١- من أمثلة النظر في المبالغة وملاءمتها للطبع الجاهلي ما عيب به المهلهل
بن ربيعة في قوله :

فلولا الريح أسمع أهل حجر .: صليل البيض تقرع بالذكور

فقد وصف بأنه أكذب بيت قالت له العرب ، لأن منزله كان على شاطئ
الفرات من أرض الشام وحجر هي اليمامة وبينهما مسافة أيام (٣) .

ومثله قول الطمحان القيني (٤)

- المرجع السابق ص ٨٨ .

٢ - معالم النقد الأدبي د/ عبدالرحمن عثمان ص ٩٨ .

٣ - الموشح للمرزباني ص ٩٠ ، والعمدة لابن رشيق ٦٢/٢ ، والذكور أجود السيوف .

٤ - أبو الطمحان القيني : اسمه حنظلة بن الشرقى ، وقيل ربيعة بن عوف بن غنم بن
كنانة بن القين بن الجسر ، شاعر مشهور .

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم .: دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه (١)

والمر في عيب أمثال هذه الأبيات أن العرب كانوا يؤثرون الصدق في المعنى ويمقتون المبالغة في تصويره حتى تكون المعاني معقولة بعيدة عن الفساد يقول ابن رشيق : " ومنهم من يعيب المبالغة وينكرها ويرأها عيبا وهجنة في الكلام ، قال بعض الحذاق ينقد الشعر : المبالغة ربما أحوالت المعنى ولبسته على السامع ، فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره ، لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه " (٢) .

٢- ومن النماذج التي يظهر فيها الربط بين الألفاظ ومعانيها في تراث الجاهليين - نقد النابغة الذبياني بيتي حسان بن ثابت - وقبل أن أسوق هذا النموذج لا بد لنا أن نعلم أن العرب اجتمعوا على الرضا بأراء النابغة وقضائه بين شعرائهم ، وهذا يدل على أمرين لهما خطرهما في هذا المقام .
أولهما : أن العرب في الجاهلية كانوا معنيين بالنقد على أنه وسيلة إلى تطوير الفن الشعري ، لأن النقد في تقديرهم استنهاض لهمم الشعراء وإذكاء لروح المنافسة والسبق فيما بينهم ، ولأن مجد القبيلة يتمثل في براعة شاعرها ، والقضاء له بالإحسان والجودة على مشهد من الحرب جميعا .

وثانيهما : وهو خاص باختيار الناقد ، فهم يشترطون فيه أن يكون شاعرا فحلا ، وصاحب تجارب وبصر بالشعر على ضوء خبرته الواسعة ، والنابغة قد تمكن من الصعود على هذه القمة في العصر الجاهلي ، إذ رشحته تاريخه الطويل في قول الشعر وإبداعه لأن تضرب له قبه حمراء في سوق عكاظ ،

١ - الموشح ٩٠ ، عيون الأخبار ٢٥/٤ ، والصناعتين ٣٧٢ ، والجزع نوع من الخرز تصنع منه العقود ، ونظمه سلكة في سلك .

٢ - العمدة ٥٣/٢ .

وكانت الشعراء تأتيه لتعرض عليه قصائدها ، فمن نوه به وأنتى عليه وامتدح شعره طار ذكره محققا فى الأفاق كالأعشى والخنساء^(١) .

يروى أن حسان بن ثابت أنشد النابغة الذبياني قصيدة قال فيها مفتخرا :

لنا الجففات الغريلمعن بالضحى .: وأسيفنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق .: فأكرم خالا وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة : أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفائك وأسيفك ، وفخرت بمن

ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك^(٢) .

ونقد النابغة لحسان فيه عدة نقاط :

١- شهد النابغة لحسان بأنه شاعر ، وجاء ذلك فى مقدمة نقده ، ولاريب فى

أن تقديم هذا الحكم الذى يشهد لحسان بالشاعرية يدل على أن النابغة

ذو بصر بالشعر وبالنفوس^(٣) .

٢- نقد البيت الأول يدل على وجوب التعبير عن المعنى باللفظ الذى يؤدية

أداء كاملا ، بحيث ينهض اللفظ بحق المعنى ، وهذه ملاحظة بارعة

لأن العرب تستحسن المبالغة فى مواطن معينة ، والفخر من هذه

المواطن التى تجمل فيها وتستحب^(٤) . ٣- نقد النابغة للبيت الثانى يدل

على وعى بتقاليد العرب وعاداتهم التى تعند بالأباء والأجداد وتقيم وزنا

لحسب القبيلة ونسبها .

وعلى هذا فإن نقد النابغة يقوم على تفضيل المبالغة جريا وراء المثل

الأعلى فى المعنى ، كما يقوم أيضا على تقديس ما اعتاد عليه القوم .

١ - معالم النقد الأدبى د/ عبدالرحمن عثمان ص ١٠١ .

٢ - الموشح ص ٦٩ .

٣ - الذوق الأدبى د/ عبدالفتاح عفيفى ص ٢٣ .

٤ - معالم النقد الأدبى د/ عبدالرحمن عثمان ص ١٠٣ .

وتقديس المثل الأعلى مائل في أن (الجفنان) وهي جمع مؤنث سالم لا تدل على الكثرة مثل (الجفان) ، لأن جمع المؤنث السالم إنما يدل - في أصل وضعة - على عدد قليل ، على عكس جمع التكسير إذا كان للكثرة فهو يدل - في أصل وضعة - على أعداد مفرطة في الكثرة والكثرة تناسب الفخر ، ولو قال الشاعر (لنا الجفان) لوصل إلى ما يريد النابغة من المبالغة ، ولحقق المثل الأعلى في الفخر .

وتقديس المثل الأعلى أيضا مائل في أن كلمة (أسيفنا) - وإن كانت جمع تكسير - جمع قلة ، فجموع القلة الأربعة (أفعل - أفعلة ، أفعال ، فعلة) إنما تدل - في أصل وضعها - على أعداد لا ترفع لأكثر من عشرة ، وقد تهبط إلى ثلاثة ، والعدد القليل في موطن الفخر غير مستحب عند العرب ، ولو قال (سيوفنا) لوصل إلى غايته في الفخر .

ولقد حاول النابغة الذبياني أن يصل إلى تحقيق المثل الأعلى القائم على المبالغة في الفخر عن طريق ناقدة لفظية مستخدما ذوقه الأدبي وحسه اللغوي .

أما من ناحية العرف والعادة وما جرى عليه العرب في الافتخار بأصولهم من آباء وأجداد - لا الافتخار بأبنائهم وفروعهم - فقد طبقها النابغة الذبياني على قوله حسان بن ثابت : (وأكرم بنا ابنما) ، ولم يقل : (فأكرم بنا أبا) ، وهذه مسألة - وإن كانت معنوية - ترجع إلى الذوق الذي استهجن أن يفخر الشاعر بابنه لأبائه ، كما يفعل المفتخرون من العرب (١) .

٤- نقد النابغة لا يستند على أسس وقواعد ، وإنما يعتمد على الذوق وحده ، وهذا الذوق إنما يقوم على العقل وعلى الحاسة اللغوية بالإضافة إلى التقاليد المتوارثة ، وبهذا كان نقد النابغة ذاتيا تأثريا .

٣- ومن النماذج التي تنتظر إلى جودة الشعر من حيث أداء وظيفته الجمالية ما أورده المرزبانى بسنده قائلا : تحاكم الزبرقان بن بدر (١) ، وعمرو بن الأهتم (٢) ، وعبد بن الطبيب ، والمخبل السعدى إلى ربعة بن حذار الأسدى فى الشعر ، أيهم أشعر ؟ فقال للزبرقان : أما أنت فشعرك كلحم أسخن (٣) . لا هو أنضج فأكل ولا ترك نينا فينتفع به ، وأما أنت يا عمرو ، فإن شعرك كبرود حبر (٤) ، يتلأأ فيها البصر ، فكما أعيد فيها النظر نقص البصر . وأما أنت يا مخبل فإن شعرك قصر عن شعرهم ، وارتفع عن شعر غيرهم ، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة (٥) . أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر (٦) .

الزبرقان : اسمه حصين بن بدر بن امرئ القيس وسمى الزبرقان لجمالية والزبرقان القمر ، قدم مع وفد بني تميم على النبي ، ونادوا رسول الله من وراء الحجرات ، وأسلم وعاش إلى خلافة معاوية وكان شاعرا مقلدا .
راجع ترجمته فى الإصابة ٥٢٤/١ ، والاستيعاب ٥٦٠ .
١- عمرو بن الأهتم : هو عمرو بن سنان بن سمي ، وهو جاهلى إسلامى وكان خطيبا شاعرا ، راجع ترجمته وأخباره فى زهر الآداب (٥) ، والشعر والشعراء ٦٣٦/٢ والمفضليات ١٢٣ ، ٢٠٩ .

٢- أسخن : وضع على النار مدة غير كافية فلم يتم نضجه .

٣- البرود : الثياب المخططة ، الحبر : هى الثياب الموشاة .

٤- المزادة هنا : ما يوضع فيه الماء

٥- الموشح ص ٩١ .

فحكم ربعة الأسدى بين الشعراء الأربعة هو فى حقيقته حكم على شعرهم وقد بنى هذا الحكم على تشبيهات مادية تماثل تلك التى يعرفها العربى ، ويألفها فى بيئته (١) .

وخلاصة هذه التشبيهات أن شعر الزبرقان كلام فى صورة الشعر لم يبلغ درجة النضج ، بل هو فاسد لاغناء فيه ، لأنه فقد الجزالة ، وحرارة العاطفة التى تجعل له طعما ممتازا .

وشعر عمرو بن الأهتم يبهر العين فتعجب به لأول نظرة ، لأن ألفاظه براقة وأساليبه خلابة ، فإذا فتش الناظر فى حقيقته ، واستكنه معانيه لم يجد شيئا .

وشعر المخبل السعدى شعر متوسط لاينهض بصاحبة ، حتى يرقى إلى مرتبة الفحول ، ولا ينحط إلى درجة كلام المتشاعرين .

وفى شعر عبده بن الطبيب جزالة وإحكام قوة أسر لايرى الناظر فيه ضعفا ، ولايلمح فى أساليبه أو معانيه وهنا ، فهو أشعر الأربعة .

وهذه الأحكام من ربعة بعيدة عن التفصيل ، وعن الوضوح ، وعن الدقة ، وعن الاستشهاد ، وعن الدليل ، لأنها أوصاف عامة ، ولكنها تنم عن ذوق يحاول التمييز بين الجيد والردئ ، وتدلل على محاولة تقويم الشعر تقويما يعتمد على الانطباع العام ، والبادرة السريعة والخاطرة الفجة التى يملئها ذوق من عاش فى هذه البيئة التى تعيش الفطرة ، وتغيب عنها الدقة ، وتفتقد إلى التعليل المريح ، ولاتعرف من المعايير النقدية شيئا إلا الذوق الذى يحس الجمال دون أن يعرف سببه (٢) .

^١ - دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طبانة ص ٧٠ .

^٢ - الذوق الأدبى ص ٢٨ .

ومن النماذج التي تنتظر إلى جودة الشعر أيضا نقد أم جندب لشعر زوجها ، وابن عمها علقمة الفحل ، فهو كما تقول الرواية : أن الشاعرين احتكما إليها في أيهما أشعر ؟! فاقترحت عليهما أن ينشد كل منهما قصيدة في موضوع واحد ومن بحر واحد ، وقافية متحدة ، فلما أنشدها القصيدتين ، قالت لزوجها : علقمة أشعر منك ، قال كيف ؟. قالت : لأنك قلت :

فللسوط ألهور ، وللساق درة . وللزجر منه وقع أخرج مهذب^(١) .

وجهدت فرسك بسوطك في زجرك ، ومريته فأتعبته بساقك ، وقال علقمة

فأدر كهن ثانيا من عنانه . يمر كمر الراح المتحلب^(٢) .

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه ، لم يضربه ولم يتعبه^(٣) .

فإذا نظرنا إلى هذا النموذج نلاحظ أن كلا من الشاعرين وصف فرسه في حال الجرى ، فعلقمة قد وصف المثل الأعلى لجرى الفرس ، فبالغ إذ جعل فرسه يدرك الصيد ، وصاحبه علقمة الراكب عليه ثنى عنانه ، ولم يضربه بسوطه ، ولم يتعبه ولم يكلفه فوق طاقته ، فطاقته عالية لأنه أقوى الأفراس وأسرعها ، وإذا استطاع أن يدرك الصيد بقوته المعتادة دون جهد منه ، ودون إجهاد له من راكبه .

وأما أمروء القيس فقد وصف واقع فرسه فبين أنه ألهمه بسوطه ، وأجهد بزره ، ولولا الضرب والزجر ما أسرع الفرس .

^١ - ألهور : اجتهد من الفرس في عدوه ، درة : إذا غمر الفرس بالساق أسرع ، الأخرج ذكر النعام : المهذب : المزعج في حربه .

^٢ - الراح : السحاب ، المتحلب : الساقط المتتابع ، أو السائل كأنه لسرعته لايجرى ويتحرك بل يسيل سيلانا .

^٣ - الموشح ٢٤ ، والشعر والشعراء ٢٢٤/١ ، و ٢٢٥ .

ولقد نظرت زوج امرؤ القيس إلى الصورة المثلى للفرس، وما ينبغي أن يكون له من قوة وسرعة فجعلته المقياس الذى تحكم به للشاعر أو عليّة ، ومن هنا حكمت لعلمة بالتفوق والشاعرية ، وخذلت زوجها امرأ القيس^(١) . وبهذا نعلم أن حكم أم جندب يدل على أنها تريد من الشاعر أن يصور الكمال الواقع فى الحياة لا الحال الواقع فعلا . . . فليس المطلوب من الشاعر فى نظرها أن يكون صادقا فى تصويره واقعيّا فى نظريته وإنما ينبغي أن ينظر إلى المثل الأعلى فيجب أن يكون جواد امرؤ القيس ، أصلب عودا ، وأجمل منظرا ، وأكثر سرعة ، وأشد احتمالا ، وألا يلهيه فارسة بسوط ولا يسرجه بساق ، ولا يجره بصوت^(٢))

وحكم أم جندب اعتمد على سليقتها العربية الحساسة ، وربطها بين الشاعر وبيئته وما يكون فيها ومعايشتها الفاهمة لطبائع الفرس ، ومدى استجابته للفارس ، ومعرفتها نوعية الفرس الجيدة من الرديئة ، وما يليق بكل منها وما يستجيب له^(٣) .

والحق أن هذا النقد أخذ شكل البدايات والمطالع والنظرة الجزئية التى واكبت التيار النقدي الذى ساد هذا العصر ، ولكن هذه النظرة لم تكن دقيقة لأنها نظرت إلى جزئية واحدة وهى الصفة المثالية ، ولأنها تغاضت عن أن يكون العيب فى فرس امرؤ القيس لا فى الشاعر أو فى مقدرة على الوصف الشعري .

^١ - الذوق الأدبي ص ٢٥

^٢ - النقد الأدبي فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام د/ محمد إبراهيم نصر ص ٤٧ ، ٤٨

^٣ - النقد الأدبي د/ سعد ظلام ص ٣٠ .

ج- ١١ نقد العروض:

الشعر العربي فى نشأته ارتبط ببعض الأنغام الموسيقية ، وقد مرت هذه الأنغام بمرآحل مختلفة حتى استقرت على نظام معين أصبح جبلة وطبعاً وبخاصة عند الذين رزقوا موهبة الشعر ، وبهذا اتفق الشعراء على نغمات معينة تألف جميعها فى الوزن والقافية ، وقد نتج عن هذا الاتفاق أن الأدواق العربية فى الجاهلية ألفت هذه الرتبة التى تحققها وحدة الإيقاع ووحدة النغم ، ونفرت من النشاز الموسيقى الناجم عن الاضطراب الذى وقع فيه بعض الشعراء .

ولهم من ذلك ملاحظات قيمة منها عيبتهم على النابغة الذبياني أنه كان يقوى فى شعره ، فقد ذكر الرواة أنه لم يقو (١) أحد من الطبقة الأولى ولا أشباههم إلا النابغة فى قوله:

أمن آل مية رائح أو متدى .: عجلا ن ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غدا .: وبذاك خبرنا الغراب الأسود (٢)
وفى قوله:

سقط النصف ولم ترد إسقاطه .: فتناولته واتقنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه .: عنم يكاد من اللطافة يعقد (٣)
وقد قدم النابغة المدينة فعيب ذلك عليه فلم يأبه له حتى أسمعوه أياه فى غناء ، حيث قالوا للجارية إذا صرت إلى القافية فرتلى ، فلما قالت :

١ - الإقواء : هو اختلاف حركة الروى فى أبيات القصيدة الواحدة ، وهو من عيوب القافية .

٢ - الزاد هنا : التوديع والسلام ، والبوارح : الطيور التى كانت العرب فى الجاهلية يتطيرون بها ومنها الغراب .

٣ - النصف كنصف الخمار ، عنم : شجرلين الأغصان تشبه به بنان الجوارى

"الغراب الأسود ، وباليذ ، علم فانتبه فلم يعد فيه ، وقال : قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ورحلت عنها وأنا أشعر الناس" (١) .

وممن أقوى في شعره من الجاهليين بشر بن أبي خازم يقول أبو عمرو بن العلاء : فحلان من الشعراء كان يقويان . النابغة وبشر بن أبي خازم ، فأما النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره فلم يعد إلى إقواء ، وأما بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سودة : إنك تقوى قال وما الإقواء؟ قال : قولك :

ألم تر أن طول الدهر يسلى .: وينسى مثل ما نسيت جزام

ثم قلت :

وكانوا قومنا فبنوا علينا .: فسقناهم إلى البلد الشامي

فقال : تبينت خطي ولست بعائد" (٢) .

(د) تقديم الشعراء:

من صور نقد الشعر الذاتية عند الجاهليين تقديمهم شاعرا على غيره تقديمًا مطلقا دون إبداء علة معقولة تسوغ التقديم أو تعزز الحكم ، وتخرج به عن حيز الذاتية وأثر الهوى إلى دائرة الموضوعية السديدة (٣) ، ومنها :

ماروى من أن الحطيئة سئل عن أشعر الناس فقال : أبودؤاد حيث

يقول

لأ أعد الإقتار عدما ولكن .: فقد من قدر زنته الإعدام

من رجال من الأقارب فادوا .: من حذاق هم الرؤوس الكرام

١ - الموشح ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ١/١٠١ ، وطبقات فحول الشعراء ١/٦٧ ، ٦٨ ،

٢ - الموشح ص ٦٧ ، ٦٨ .

٣ - النقد الأدبي في أطوار تكوينه عند العرب د/ محروس منشاوي الجالي ص ٨٧ .

فيهم للملايين أناة :. وعرام إذا يراد العرام
فعلى إثرهم تساقط نفسى :. حشرات ، وذكرهم لى سقام (١)
وعلى الرغم من أن هذه الأبيات من أجود شعر أبى دؤاد كما يقول ابن قتيبة،
فإن سر تقديم الحطينة لصاحبها أن معانيها تجاوبت مع إحساسه الذاتى ،
وأنها أُرضت فيه نزعة الشهيرة فى تكسبه بشعره ، بيد أنه لم يعلل لحكمة
حتى يكون قويميا ، كما أن حكمة لا يخلو من المبالغة .
ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قول لبيد - وقد سئل من أشعر الناس ؟ -
فقال : الملك الضليل ، قيل : ثم من ؟ قال الشاب القليل ، قيل ثم من ؟
قال : الشيخ أبو عقيل - يعنى نفسه " (٢) .

ثانيا : النقد الذى مبعته الروية والأناة وله عدة صور :

(أ) التنقيف والتنقيح

(ب) الرواية والتلمذة

(ج) الاختيار

التنقيف والتنقيح :

وهذه عملية فنية بحثه كانت من صنع الشعراء أنفسهم تمثل نظرتهم
إلى فن الشعر وما ينبغى أن يكون عليه من نضج حتى يحظى بإعجاب
سامعيه أو ينجو من مواذنتهم على الأقل .
وقد بدت هذه العملية النقدية فى تهذيب الشاعر شعرة وتنقيفه وتنقيحه
ومراجعته وتمحيصه وبالتالي فى صنعته حتى يظهر على الناس مبرأ مما

١ - - الشعر والشعراء ٢٤٤/١ ، ٢٤٥

٢ - - العمدة ٩٥/١ .

يشينه وبسمجه ، وهذا لون من النقد العملى الذى يقوم على نقد الشاعر صنعته قبل أن ينقدها غيره (١) .

وهذه العملية بدت واضحة عند بعض الشعراء فى العصر العباسى فنجد بعضهم يحتفل بنظم شعره ، ويتأنى فيه ويتمهل ، ويغير فيه ويبدل ، ويضيف ويحذف ، ليرضى هو عن شعره قبل أن يرضى من يستمعون إليه من العرب الفصحاء الذين يحسون بأذواقهم جمال الكلمة ووقع التعبير .

وخير من يمثل هذه العملية الشاعر الكبير زهير بن أبى سلمى الذى سمى قصائد الطويلة الحوليات ، لأنها لم تنظم مرة واحدة ، ولم يدعها صاحبها فور إعدادها ، وإنما أعاد فيها النظر : يهذب وينقح ، ويغير ويحذف ويضيف ، ثم عرضها على الأصدقاء ممن يثق فى أذواقهم وإخلاصهم ، ويقال : إنه كان يعدها فى أربعة أشهر ، وينظر فيها ويراجعها وينقح فيها ويهذب فى أربعة أشهر ثانية ،

ثم يعرضها على ذوى البرأى الصائب والذوق السليم ، والنقاة المخلصة فى أربعة أشهر أخرى ، ليروا فيها رأيهم ، ويقدموا نصيحهم ، وقد يستجيب لهم فيغير ويبدل ، ويزيد أو ينقص ، متى اقتنع بذلك وتذوقه واطمأن إلى أنه أجمل صياغة ، وأحسن أثرا مما قد صاغة هو ، وما يزال كذلك يبدع وينقد ويسمح للآخرين بنقده حتى تستوى له فى حول كامل مطولته أو حوليته منفحة غاية التنقيح (٢) .

وقد تحدث الجاحظ عن هذه العملية النقدية عند بعض الشعراء الجاهلين ووصف الجهد الذى كان يبذله هؤلاء لتتقيد شعرهم وصناعاته

١ - النقد الأدبى فى أطوار تكوينه عند العرب ٩٦ .

٢ - الذوق الأدبى د/ عبدالفتاح على عفيفى ص ٢٠ .

صناعة محكمة بقوله : " ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده
حولا كريتا وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه
، اتهاما لعقله ، وتتبع على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه
عيار على شعره ، إشفافا على أدبه ، وإحرازا لما خوله الله من نعمته ،
وكانون يسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحكمات ، ليصير
قائلها فحلا خنذيذا (١) وشاعرا مفلحا (٢) .

ولقد اشتهر بهذه العملية من الشعراء الجاهلين أوس بن حجر وزهير
بن أبى سلمى ، وكعب بن زهير والحطيئة وطويل الغنوى والنمر بن تولى
وغيرهم ، ممن سموا عبيد الشعر (٣) ، وتمثل هذه الطريقة خطوة كبيرة من
خطوات نقد الشعر فى العصر الجاهلى .

فها هو ذا كعب بن زهير يذكر الشعر وحاجته إلى التقويم والتقييف ويذكر
فضله وفضل الحطيئة فيقول (٤) :

ومن للقوافى شأنها من يحوكها . : إذا ما ثوى كعب وفوز جروول (٥)
يقومها حتى تلين متونها . : فيقصر عنها كل ما يتمثل (٦)

١ - خنذيذا : تاما . قال الجاحظ : والشعراء عندهم أربع طبقات : فأولهم الفحل الخنذيذ ،
والخنذيذ هو التام ، ودونه الشاعر المفلح ، ثم الشاعر الشويعر ، راجع البيان والتبيين
٤/٢

٢ - البيان والتبيين للجاحظ ٢/٢ : ط دار الكتب العلمية بيروت .
٣ - العمدة ١٣٣/١ .

٤ - الشعر والشعراء ١٥٩/١ .

٥ - القوافى : الأشعار . شأنها من يحركها : ألحق بها العيب من يتصدى لصنعها ونسجها
ثوى ، فوز : مات . جروول : اسم الحطيئة ، وهو جروول بن أوس بن مالك .
٦ - يقومها : يهذبها ويقوم معوجيا . المتنون جمع متن ، وهو الظهر ، أى تستقيم كما
يريد . ما يتمثل : ما يشتهر كالمثل .

والحطنية يذكر صعوبة المرتقى إلى جيد الشعر ، وحاجة الشاعر إزاءه إلى
الحد والخبرة ، إذ يقول (١) :

الشعر صعب وطويل سلمه . : . إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه . : . يريد أن يعربه فيجمه

وعملية التنقيف والتنقيح تصور إدراكهم لقيمة الفن الشعرى وما ينبغي
أن يكون عليه من جمال ونضج ، " ومن هنا يصح لنا أن نستنتج أن العرب
فى تلك المرحلة كانوا على علم ولو غير ناضج بالجمال الشعرى ومقاييسه
الفنية ، ومعطياته العامة ، يؤكد ذلك ما سبق أن ذكرناه من أن بعض كبار
الشعراء كزهير مثلاً كان ينقح شعره ، فلا يخرج قصائده إلا بعد حول كامل
يقسمه على مراحل ، وهذه القصائد سميت ' بالحواليات ' ولا يكون التنقيح
إلا إذا أدرك الشاعر بعض النواحي التى يرتكن إليها فى عمله هذا " (٢) .

وعناية الشاعر الجاهلى بشعره : بالنظر فيه وتقويمه وتنقيفه منحى
نقدى جاهلى ، سار على نهجه كثير من الشعراء الذين تتابعوا عبر العصور^(٣) .
ومن هؤلاء الشعراء الذين جروا فى طلق الشعراء الجاهلين عدى بن
الرقاع ، وسويد بن كراع ، ومروان بن أبى حفصة ، فها هو ذا عدى بن
الرقاع يتحدث عن تقويمه لشعره وتنقيفه له فيقول :

وقصيدة قد بت أجمع بينها . : . حتى أقوم ميلها وسنادها

١ - الأغاني : ١٩٦/٢ .

٢ - النقد الأدبى د/ سعد ظلام ص ٣٣ .

٣ - مجلة الجامعة الإسلامية بالمدنية المنورة العدد (٥٩) لسنة ١٤٠٣ هـ مقال للدكتور
محمد عارف محمود حسين تحت عنوان " ملامح النقد الأدبى ومقاييسه فى العصر
الجاهلى " ص ٢٨٥ .

نظر المثقف في كعوب قناته .: حتى يقيم ثقافه منآدها (١)
وهذا سويد بن كراع (٢) يصف نزعة الصناعة وصفا أدبيا في وجه البداهة
والارتجال إذا يقول (٣):

أبيت بأبواب القوافي كأنما .: أصادى بها سربا من الوحش نزعا (٤)
أكالنها حتى أعرس بعدما .: يكون سحيرا أو بعيد فأهجعا (٥)

ثم يقول

وجشمنى خوف ابن عفان ردها .: فتثقتها حولا جريدا ومربعا (٦)
وقد كان فى نفسى عليها زيادة .: فلم أر إلا أطيع وأسمعا

الرواية:

كانت رواية الشعر فى العصر الجاهلى هى الأداة الطيبة لنشره
وذيوعه ، وكانت هناك طبقة تحترفها احترافا هى طبقة الشعراء أنفسهم ،
فقد كان من يريد نظم الشعر وصوغه يلزم شاعرا يروى عنه شعره ،
ومايزال يروى له و لغيره حتى ينفق لسانه ، ويسيل عليه ينبوع الشعر
والفن (٧) .

-
- ١ - الشعر والشعراء ٨٤/١ ، والسناد هنا العيب فى الشعر ، والمناد : المعوج .
 - ٢ - هو سويد بن كراع العكلى ، من بنى الحارث بن عوف : شاعر فارس مقدم ، كان
فى العصر الأموى صاحب الراى والتقدم .
 - ٣ - الشعر والشعراء ٨٤/١ .
 - ٤ - أصادى : أراجى وأخاى ، النزاع : جمع نازع ، وهو الغريب .
 - ٥ - أكالنها : أرقبها . التعريس النزول فى وجه السحر .
 - ٦ - الجريد : التام الكامل
 - ٧ - العصر الجاهلى د/ شوقي ضيف ص ١٤٢ ط دار المعارف التاسعة .

وبهذا كانت الرواية تمثل مدرسة فنية يتعلم فيها الناشئ أو المبتدئ من الشعراء أصول الفن، كما يتعلم الحرفيون اليوم أصول الحرفة وقواعد المهنة (١).

والملاحظ أن مدرسة الرواة تتسلسل فى طبقات أو حلقات ، وكل حلقة تأخذ عن سابقتها وتسلم إلى لاحقتها ، ومن ثم نشأت السلاسل الشعرية فى كثير من القبائل ، مثل :

سلسلة أوس بن حجر الذى كان زوجا لأم زهير بن أبى سلمى ، فنشأ هذا راوية لأوس ، وعن زهير أخذ ابنه كعب

وسلسلة المهلهل خال امرئ القيس

وسلسلة المرقش الأكبر عم المرقش الأصغر عم طرفة بن العبد

وسلسلة الهذليين (٢).

وأما عن دور الرواية فى النقد فى العصر الجاهلى فدورها كبير ، وللرواة منزلة عالية هناك ، فهم كالصحف السيارة فى الذيوع والانتشار وكانوا يقومون بما تقوم به الإذاعة المسموعة والمرئية فى النشر والوصول إلى المستمع المشاهد ، وهم كالموسوعات فى تسجيل الشعر وحفظه ، ومعرفة الشعر وأخباره وقصائده وهم المحامون عن شعرائهم يذودون عنهم ويدافعون عن شعرهم فى إخلاص وحماس ، ومن هذا المنطلق أباحوا لأنفسهم نقد هذا الشعر ، ثم تعديل بما يتمشى مع هذا النقد فى حدود ضيقة تجعل الشاعر يتقبل هذا النقد وذلك التعديله ، لعلمه أن راوية شعره مخلص له ولشعره ، ولثقته فى ذوقه الذى أملى عليه ذلك التعديل ، وقد ساعد الرواة

١ - من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى د/ سعد ظلام ص ٤٣ ط مؤسسة يوم المستشفيات .

٢ - فى تاريخ الأدب الجاهلى د/ على الجندى ص ١١٩ ، ١٢٠ ط مكتبة الشباب .

على القيام بهذا الدور الذى تقوم به الصحف والإذاعات والموسوعات ، والذى يقوم به النقاد عدم التدوين فى ذلك الوقت اعتمادا على روايته حفظا من الذاكرة (١) .

وهذا التعديل من جانب الرواة قد يفسر ظاهرة الروايات المتعددة فى الشعر على وجه من الوجوه ، من حيث ترتيب القصيدة ، أو اختلاف بعض كلماتها ، ومن حيث الزيادة أو النقصان فى أبياتها .

ودور الرواة - على هذا الوجه - دور ناقد ، لأن الرواية ينشد شعر من يروى له ، وعمله يقتضى أن يكرر الإنشاد ، وهذا قد تتكشف له - فى أثناء الإنشاد أو فى أثناء مناقشة ما قاله الشاعر - بعض العيوب الصغيرة ، وقد يتجرب أو يحد عمله - غير مكتف بالإنشاد أو غير مكتف برأيه فى القصيدة - فيصلح ما تراءى له ، ثم ينشد القصيدة منقحة حرصا منه على شاعره الذى يريد له المنزلة العالية ، والمكانة المرموقة ، عند من يتلقون شعرة من المتدوقين .

الاختيار

ونعنى به أن يفضن الناقد بذكائه ولما حيته إلى أن أدبا ما أو أديبا ما قد بلغ درجة من الحسن والجودة ، فصار بحيث ينبغى أن يشار إليه وأن يجعل فى صدر نوعه ، وأنموذجا لجنسه (٢) .

والاختيار من العمليات النقدية التى توافر فيها الذوق والعقل جميعا ، والتى صدرت عن رؤية واثقة ، ولم تأت عفوا أو ارتجالا ، واختيار العرب

١ - الذوق الأدبى ص ٢١ .

٢ - اتجاهات النقد الأدبى العربى ، للأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود ص ٤٧ د دار الطباعة المحمدية .

للمعلقات دليل واضح على ذلك : قال ابن عبدربه : " قد بلغ من كلف العرب بالشعر وتقصيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطى المدرجة وعلقتها باستار الكعبة " (١)

وهذا الاختيار يعكس تصور المختار للمثل الأعلى الذى يروقه كما أنه يدل على تذوقه للصور الفنية الناضجة التى كانت عليها هذه القصائد مبنى ومعنى ، والتى ظل الذوق العربى يألفها وينسج على منوالها طوال عصور الأدب المتتابعة (٢) - على الرغم من تعدد الثقافات وتنوع المذاهب - ولما كان " اختيار الرجل الشعر قطعة من عقله " (٣) كما يقول الراغب الأصبهانى فإن هذا الاختيار فى جوهره عملية نقدية بحثه تمثل ذوق المختار وإحساسه بالجمال وتقديره له تقديرا يقوم على التروى والتؤدة دون الارتجال والاندفاع .

ولم تزل الأذواق المتقنة حتى عصرنا هذا تستجيد هذه القصائد وتعددها نموذجا حيا للشعر الجاهلى وتقدمها على سواها من مآثور الجاهلين فى هذا الفن ، وفى هذا دليل على سلامة ذوق الجاهلين وصفاء ملكاتهم .

١ - العقد الفريد لابن عبدربه ٨٩/٣

٢ - النقد الأدبى فى أطوار تكوينه عند العرب د/ محروس منشاوى الجالى ص ١٠٢

٣ - محاضرات الأدباء ٩٣/١ . والبيان والتبيين ٥٤/١ بيروت .

طبيعته الأحكام النقدية وسماتها في العصر الجاهلي :-

لعلنا نستطيع - من خلال ما تقدم من حديث عن صور النقد الجاهلي - أن نستنتج طبيعة الأحكام النقدية في هذا العصر ، وأن نقف على سماتها وهي تتمثل في الأمور الآتية :

١- الذوق الفطري :

إن طبيعته الأحكام النقدية في العصر الجاهلي اتسمت بالذوق الفطري ، فلم تكن للنقد أصول معروفة ، ولا مقاييس مقررة ، " بل كانت مجرد لمحات ذوقية ، ونظرات شخصية ، وتقوم على ما تلهمهم به طبائعهم الأدبية ، وسليقتهم العربية ، وأذواقهم الشاعرة ، وحسهم اللغوي الدقيق بلغتهم ، وإحاطتهم بأسرارها ، ووقوفهم على ما للألفاظ من دلالات وإحياءات في شتى صورها " (١)

وحيثما نحاول تطبيق هذه السمة الذوقية الفطرية التي على أساسها كان الناقد الجاهلي يستلهم أحكامه ، ويبنى نقده حينما نحاول تطبيق ذلك على ما تقدم من لمحات نقدية ، نجد ذلك واضحا تمام الوضوح ، فنقد النابغة لشعر حسان بن ثابت - والذي أوردناه من قبل -

كان مستمدا من فهم النابغة لطبيعة اللغة العربية ، ومعرفته التامة بدلالات الألفاظ ، وماتوحى به أبنية الكلمات من معان وإحياءات .

ونقد أهل المدينة لشعر النابغة ، لما فيه من إقواء ، كان نابعا من فهم العربي لطبيعة الشعر العربي ، ولما ينبغي أن يكون عليه من انسجام في الوزن ، واتساق في النغم ، والأمر الذي يتطلب - ضمن ما تتطلبه قواعد

١ - يرجع مقال الدكتور محمد عارف محمود حسين السابق بمجلة الجامعة الإسلامية ص

الشعر العربى - وحدة حركة الروى التى تكسب الشعر اتساقا وانسجاما ، ولذا كان اختلاف حركة الروى - الإقواء - فى شعر النابغة مذهباً لروعة الوزن ، واتساقه ، بل محدثاً لنوع من التنافر فى النغم ، مما جعله غير متسق ولا منسجم .

ونقد طرفه لشعر المتلمس لوصفة الجمل بصفة الناقة ، كان مبنياً على فهم واع بطبيعة البيئة العربية ومعرفة تامة بالسمات والصفات ، والتى تتميز بها الحيوانات العربية ، لاسيما الحيوانات التى كانت مرتبطة بحياة العربى ، وكان العربى مرتبطاً بها .

٣ - الارتجال فى الأحكام :

وهذه السمة تتصل اتصالاً مباشراً بالذوق الفطرى الذى يعد أساساً هاماً فى صدور الأحكام النقدية . . غير أن هذه الظاهرة تعد أثراً من آثار التدفق . . فبعد أن يتذوق الناقد الشعر يصدر حكمه إما ارتجالاً وإما بعد إناة وروية ، ودراسة موضوعية لنواحي الجودة أو الرداءة . ولكن السمة الغالبة فى النقد الجاهلى هى سمة الارتجال ، والبعد عن الدراسة التفصيلية للقصيدة وتحليلها (١) .

والذى ينظر فى تلك الأقوال المأثورة فى النقد الجاهلى يرى لأول وهلة أنها متمسكة بالارتجال . وأنه ليس فى أكثر تلك الأحكام ما ينبئ عن النظرة الفاحصة ، أو الدراسة المعمنة التى ينشأ عنها الرأى الذى يدعمه البرهان ، وتؤيده الحجة ، ويستعان عليه بالخبرة الواسعة ، والعقلية المستتيرة ، والتفكير المتقن (٢) .

١ - النقد الأدبى د/ محمد إبراهيم نصر ص ٨٣ .

٢ - دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طبانة ص ٦١ .

٣- الجزئية :

ونقصد بها تناول الناقد لجزئيات من الجوانب الفنية للقصيدة ، كجانب الألفاظ أو جانب المعانى ، أو جانب الوزن ، مثلا ، دون تناوله للقصيدة كلها تتأولا متكاملا يتجه إلى ذلك النقد الحديث (١) .

فيتناول الناقد الجاهلى لفظة ، أو ألفاظا ، فيصفها - مثلا - بالسلاسة أو الجزالة ، أو يتناول معنى أو معانى وردت فى القصيدة ، فيسمها بالصحة أو الخطأ ، أو بالوضوح أو الغموض . وخير ما يمثل ذلك مما قدمنا من أمثلة : نقد طرفه لشعر المتلمس ، فقد استهدف فيه طرفة جانب المعنى ، ونظر فيه فوجده خطأ .

ومنه - أيضا - نقد أهل المدينة لشعر النابغة ، فهو نقد استهدف جانب الوزن - أو الشكل الموسيقى - ورأى فيه نشازا فى الوزن ، حيث اختلفت حركة الروى فى الأبيات ، فأحدثت هذا النشاز فى الوزن ، والتنافر فى النغم ، مما آذى السمع ، وأذهب بشئ غير يسير من روعة الوزن . وكذلك نقد النابغة لببت حسان السابق الذكر ، كله منصرف إلى الألفاظ وكلمات دون تناول النقد للنص كعمل فنى متكامل .

والملاحظ أن الناقد الجاهلى أما أن يتعرض للشعر أو للشاعر ، هذان هما الميدانان اللذان جال فيهما النقد جولات خفيفة فى العصر الجاهلى : الحكم على الشعر والتتويه بمكانة الشعراء ، فأما غير ذلك من البحث فى طريقة الشاعر ، أو مذهبه الأدبى ، أو صلة الشعر بالحياة الاجتماعية ، فذلك ما لم يعرفه العصر الجاهلى .

١ - مقال الدكتور محمد عارف محمود حسين السابق بمجلة الجامعة الإسلامية ص ٢٩٥ ، ويرجع أيضا النقد الأدبى د/ سعد ظلام ص ٣١ .

٤- المصوم:

ونعنى به أن يطلق الناقد - فى أحيان كثيرة - أحكامه ، ويرسل آراءه ، دون أن يذكر سببا ، أو يردف علة ، وخير مثل لذلك قول الحطيئة - وقد سئل عن أشعر العرب - : أشعر العرب الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه .: يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

يقصد زهيرا ، ثم سئل : ثم من ؟ قال : الذى يقول:

من يسأل الناس يحرموه .: وسائل الله لا يخب

يعنى عبيد الأبرص (١) .

ومن ذلك حكمهم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة عليا فى الجودة بالموازنة بغيرها ، كقولهم فى قصيدة سويد بن أبى كاهل الشكرى التى مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا .: فوصلنا الحبل منها ما اتسع

قولهم عنها أنها من خير القصائد ودعوها البيتمة" (٢) .

٥- الأيجاز:

ونعنى به أن الناقد كثيرا ما يغلف حكمة النقدى بعبارة موجزة ، يفهم منها ما يراد ولكن دون شرح أو تفصيل ، وذلك يتضح من نقد طرفة لشعر المتلمس السابق ، حينما قال : " استنوق الجمل " فهذه عبارة موجزة تحمل حكما نقديا عيب به على شعر المتلمس الذى وصف الجمل بسمه الناقة .

١ - الشعر والشعراء ٢٢٠/١ / ٢٢١ .

٢ - الفضليات هامش ١٩٠ .

الفصل الثالث

النقد في عصر صدر الإسلام

النقد في عصر صدر الإسلام

تمهيد :

لا يستطيع ناقد من النقاد الذين يكتبون عن النقد في عصر صدر الإسلام ، أن يخوض لجة هذا البحر العميق إلا إذا لفت الأنظار إلى الزنبوع الأول في تكوين هذا العصر الأدبي وهو القرآن الكريم ، الذي بهر العرب - وفي مقدمتهم الشعراء - بروعة أسلوبه وسحر بيانه ، وهم فرسان القول ، وأساطين البلاغة والفصاحة ، واستيقن الشعراء أنه ليس في استطاعتهم أن يجاروا أسلوبه فتراجعوا وتقهقروا .

وقد أحدث القرآن تأثيرا كبيرا في حياة العرب فقد نقلهم من البدو إلى الحضارة ، فتحضر بذلك أدبهم . وهو الذي وصلهم بالأمم والثقافات الأخرى ، فتحضر بذلك شعرهم ونثرهم . وهو الذي كون بهم إمبراطورية إسلامية كبرى ، فذاغت آثارهم واتسع أفقها وتعددت بيئاتها وهو الذي جعل العرب - أو المسلمين - يطبعون الحضارة العامة بطابع إسلامي خالد^(١) .

ومما هو معروف لدى نقاد الأدب ودارسيه ، أن القرآن قد جمع العرب على لهجة قريش التي نزل بها ، وأنه حول العربية إلى لغة قديمة وحفظ لها أصولها ومعالمها ، كما أحل فيها معاني جديدة وألفاظا جديدة عبرت عن هذه المعاني ، وأنه كذلك هذب اللغة من الحوشية والألفاظ الغريبة واختط أسلوبا جزلا له طلاوته ورونقه مع وضوح قصده والوصول إلى غرضه من أقرب طريق^(٢) .

١ - في الأدب الإسلامي د- سليمان حسن ربيع ، ص ٢٦ ط مطبعة السعادة .
٢ - راجع : أثر القرآن في اللغة انجليزية للشيخ أحمد حسن الباقوري ، وتاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي د/ شوقي ضيف ج ٢ ص ٣٠ وما بعدها بتصرف ط دار المعارف الثامنة

ولما كان العرب مفطورين على تنوّق جيد الكلام ، فلقد وقفوا أمام بلاغة القرآن مبهورين مشدوهين ، وذلك لقوة تأثيره فى النفوس وجمال وقوعه فى الأذان ، وبما له من خصائص أسلوبية تميز بما عن كلامهم وبذ فيها آدابهم ، حتى وجدنا من صد عن الدعوة ٤ ولم يذعن لصاحبها - صلى الله عليه وسلم - لم يقو على أن يكتم إعجابه أو يخفى دهشته عن روعة القرآن وأخذه بناصية القلوب (١)

وذلك كما كان من الوليد بن المغيرة الذى وصف القرآن وصفا دقيقا فى قوله الذائع :

"إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر إن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه" (٢) ومع أن القوم كانوا أرباب فصاحة ولسن وأنهم جدوا فى العناد ولجوا فى المكابرة ، فلقد تحداهم القرآن بأن يأتوا بمثل أقصر سورة فعجزوا ٤ وهيبات لهم أو لغيرهم أن يأتوا بمثل ما تحداهم به "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" (٣) ومن ثم كان القرآن ينبوعا قويا من ينباع "التي اكسبت اللغة عذوبة فى اللفظ ، ورقة فى التركيب ، ودقة فى الأداء ، وقوة فى المنطق ، وثروة فى المعانى" (٤) .

وهناك ينبوع آخر هو كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى كان فى فصاحته لسانه وبلاغة قوله بالمحل الأفضل ، والموضع الذى لا يجهل ،

١ - النقد الأدبى د/ محروس منشاوى الجالى ص ١١٧

٢ - السيرة النبوية لابن هشام ٢٧١/١ ، ط دار الفكر بالقاهرة .

٣ - سورة الإسراء الآية (٨٨) .

٤ - تاريخ الأدب العربى للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ٩٠ ط نيضة مصر .

سلاسة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، وفصاحة لفظ وجزالة قول ، وصحة معنى ، وقلة تكلف (١) .

ومن المنفق عليه بين نقاد الأدب ودارسية أن الحديث النبوى ساعد على تهذيب الألسنة وتنقيف الطباع ، والقضاء على عهد الحوشية والغرابية والمعاظلة والتعقيد فى البيان ، وأحل محل ذلك السلاسة والسهولة والرونق والوضوح وسلامة الأسلوب والبيان ، وقضى على سجع الكهان ، ورفع منزلة النثر ، وهذب أغراض الأدب وفنونه ، وأصبح موردا عذبا من الثقافة الأدبية على توالى العصور (٢) .

وهذان النبوعان القويان كان لهما عميق الأثر فى تكوين الأدب فى هذا العصر وما تلاه من عصور ، حيث عكف الناس على القرآن يتدبرون معانيه ويتدارسون آيه ، ويتخذون منه مثلا فريدا فى التعبير والتصوير ويتزودون من أساليب الراقية وصوره المثلى ومعانيه السامية ، ومثل ذلك كان موقفهم من البيان النبوى الرائع البليغ المؤثر .

ومعنى هذا أن الإسلام قد انتقل بالأذواق من طور إلى طور ، وأنه أحدث تغييرا هائلا فى الحياة الأدبية مما دفع الشيخ عبدالمتعال الصعيدى لتأليف سفر كبير فى هذا العصر أطلق عليه اسم - الإصلاح الإسلامى فى أدب صدر الإسلام - وكان هدفة من هذا الكتاب بيان النهضة الدينية والأدبية معا ، ولكن النهضة الدينية كانت هى المقصودة أولا ، وقد تبع هذه المحاولة النهوض بالأدب ثانيا ، ليسير فى سبيل الإصلاح الدينى ، وليؤدى رسالته فى هذه النهضة

١ - راجع: النتاج الأدبى للشيخ عبدالمتعال الصعيدى موضوعاته وخصائصة (رسالة دكتوراة للمؤلف) ص ٥٤٣ .

٢ - الحياة الأدبية فى عصرى الجاهلية وصدر الإسلام للدكتورين - خفاجى وصلاح عبدالنواب ص ٢٨٠ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

الدينية السياسية الجديدة ، لأنها ترمى إلى جمع كلمة العرب على دين يرفع رأسها بين الأمم ، ويجعلها أمه مثالية وهذا لن يكون إلا إذا سار الأدب مع الدين جنباً لجنب فى التمهيد لهذه النهضة ليكون لسانها الناطق بدعوتها ، المؤيد لأهدافها وأغراضها () .

^١ - راجع : النتاج الأدبى للشيخ عبدالمتعال الصعيدى (رسالة دكتوراه للمؤلف) بكاية اللغة العربية بالقاهرة ، ص ١١٠ .

موقف الإسلام من الشعر والشعراء

هناك هدف أساسي من الحديث عن موقف الإسلام من الشعر والشعراء ، وهذا الهدف هو الرد على الوهم الشائع بين بعض النقاد ، وفحواه أن الشعر ضعف في عصر النبوة عن مستواه الفني ، وذلك لأن الإسلام يكره الشعر بل ويحرمه ، واستدل هؤلاء بالأدلة الآتية :

- ١- قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون) (١) .
- ٢- وقال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) (٢) استخلصوا من هذا أن القرآن يحط من قدر الشعر بدليل أن الله كرم نبيه ولم يعلمه الشعر ، وما ذلك إلا لأن الشعر ينقص من قدرة ويحط من منزلته .
- ٣- وقوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أبوهريرة ' لأن يمتلى جوف أحدكم قبحا يريه ، خير من أن يمتلى شعرا " (٣) .
- ٤- متابعة هؤلاء النقاد الأصمعي الذي يرى : أن " الشعر نكد بابيه الشر ، فإذا دخل في الخير ضعف ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان قد علا في الجاهلية والإسلام ، فلما دخل شعره في الخير - من مرأى النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر - رضوان الله عليهم - لأن شعره وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرجيل والهجاء والمديح ، والتشبيب بالنساء ، وصفة

١ - الشعراء : ٢٢٣ .

٢ - يس : ٦٩ .

٣ - صحيح مسلم ٤/ ١٧٦٩ تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الكتب العربية فيصل الحلبى .

الخمير والخيل والحروب والافتخار ، فإذا أدخلته من باب الخير لان " (١) .
والحق أننا إذا نظرنا إلى الأدلة السابقة نظرة تأمل وتدقيق نستطيع أن ندفع
تلك الشبهة من خلال النظرة الصائبة لهذه الأدلة .

فآية الأولى لا تقصد إلى تهجين الشعر بعامة ، ودم الشعراء أجمعين ،
فالاستدلال بها على ما ذكره تعميم خاطئ ، وتأويل للآية على غير وجهها
الصحيح ، ذلك أن أولى الأقوال بالصواب في تأويلها ما ذهب إليه أهل التأويل
من المفسرين ، من أن المراد بالشعراء المذمومين في الآية الكريمة شعراء
المشركين ، الذين يتبعهم غواة الناس أوسفهاؤهم " (٢) .

وتعلل الآية لهذا الحكم بأن هؤلاء الشعراء (في كل واد يهييمون ،
وأنهم يقولون ما لا يفعلون) ، أى أنهم يذهبون في شعرهم على غير قصد ، بل
يجورون عن الحق ، وطريق الرشاد ، وقصد السبيل ، وهذا " مثلٌ ضربه الله
لهم في افتتانهم في الوجوه ، التي يفتنون فيها بغير حق ، فيمدحون بالباطل
قوماً ، ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور " (٣) .

ومما يدل على أن المعنى بالشعراء في الآية شعراء المشركين خاصة
قولة تعالى بعد هذا التعليل : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، وهو استثناء
للمؤمنين من الشعراء بعامة ، قصد به شعراء رسول الله بخاصه ، الذين
نافحوا عنه وعن دعوته وأصحابه ضد شعراء المشركين ، بدليل قوله تعالى
بعد ذلك : (وانتصروا من بعد ما ظلموا) ، أى انتصروا ممن هجأهم من

١ - الشعر والشعراء ٣١١/١ . والموشح ص ٧١ .

٢ - الأدب في عصر النبوة والخلفاء الراشدين د/ صلاح الدين الهادي ، ص ٢٢١ ط
الثانية ١٩٧٩ .

٣ - تفسير الطبري ٧٨/١٩ ط دار الريان للتراث .

شعراء المشركين ظلما ، بشعرهم وهجائهم أيهم ، وإجابتهم عما هجوههم به^(١) .

وإذا دققنا النظر في آية الاستثناء نجد أن القرآن الكريم - كما لاحظ الفخر الرازي - استثنى الموصوفين بأربعة أمور : الإيمان ، والعمل الصالح ، وأن شعرهم في التوحيد والنبوة ودعوة الخلق إلى الخير ، وهو قوله تعالى : (وذكروا الله كثيرا) وألا يذكروا هجوا أحد إلا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ، وهو قوله تعالى : (وانتصروا من بعد ما ظلموا)^(٢) ونؤيد كلامنا بما قاله ابن رشيقي يقول : " فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم ترأنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فهو غلط ، وسوء تأويل ، لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، ومسوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك : ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ، ويجيبون المشركين عنه ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : " هؤلاء أشد على قريش من نضح النبل " ^(٣) . فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يشيهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم ^(٤) .

١ - نفس المرجع ٨٠/١٩ .
٢ - مفاتيح الغيب ١٨٠/١٢ ط دار الفد العربي .
٣ - نضح النبل : الرمي بها .
٤ - العمدة ٣١/١ .

وخلصه القول إن الآية لا يصح الاستدلال بها على كراهية القرآن للشعر ، لأن القرآن لم يكره الشعر من حيث هو شعر ، وإنما يكره شعرا معيناً ويكره شعراء بعينهم وهم الذين يؤذون الرسول والمؤمنين وأما الشعراء الذين دافعوا عن الإسلام ، وذادوا عن حوضه وترسموا الأخلاق الفاضلة والقيم العالية فهذه الطائفة التي يجعلها القرآن .

وأما الآية الثانية التي تنفي الشعر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فليس في نفيه عنه غض لقيمة الشعر ، أو تقليل من شأنه ، بل في نفيه عنه دلالة إعجاب أشد ، فقد نفى الله عن نبيه الشعر الذي عرف بين العرب بقوة التأثير ، وبلاغة الدلالة ، والقدرة على الفصاحة ، فلئن كان نثر العرب أقل تأثيراً فقد علمه الله سبحانه وتعالى نبيه كلاماً من جنس سائر النثر (١) ولكنه أقوى تأثيراً ، وأعظم بياناً من الشعر وأما قوله تعالى (وما ينبغي له) فالمقصود ، وما ينبغي له أن يبلغ عنا مالم نعلمه ، لأمانته ومشهور صدقه (٢)

ولابن رشيقي كلام طيب في معرض الرد على من لم يفهم الآية على وجهها ، حيث يقول : " ولو كان كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غض من الشعر ، لكانت أميته غصاً من الكتابة ، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد " (٣)

ونرى أن الله سبحانه ينزه رسوله عن كونه شاعراً ، حين نسبت قريش فضيلة الرسول ، وحجته البالغة إلى تأثير الشعر ، لا إلى فضل الرسالة ، وزعمت أنه ما يملؤه ليس وحياً من عند الله ، بل إلهاماً من شيطان الشعر .

١ - النقد الأدبي - / محمد إبراهيم نصر ص ١٢٧ .

٢ - العمدة ٢١/١ .

٣ - نفس المرجع والصفحة .

وأما قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لأن يمتلى جوف أحدكم قيحاً يريه خير من أن يمتلى شعراً " . . فيرد على الذين استدلوا به بأمرين :
الأول : إن مفهوم الحديث أن من غلب الشعر على قلبه ، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، والشعر وغيره - مما جرى هذا المجرى من شطرنج وغيره - سواء . وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدباً وفكاهة وإقامة مروءة فلا جناح عليه وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين ، والجلّة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين (١) .

الثاني : يتعلق برواية الحديث وهي منقوصة بدليل قول عائشة - رضى الله عنها - يرحم الله أبا هريرة حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخرة ، إن المشركين كانوا يهاجمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلى شعراً من مهاجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢) .

فحديث النبی صلى الله عليه وسلم ليس مقصوداً به الشعر عامة ، وإنما قصد به الشعر الذى لا يتفق مع آداب الإسلام ، والدليل القاطع على ذلك أن النبی صلى الله عليه وسلم استمع إلى الشعر واستنشد ، بل ورواه وكافأ عليه . ومن ذلك أنه لما أنشده النابغة الجعدي :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى . . . ويتلو كتاباً كالمجرة نيراً
 بلغنا السماء مجدنا وجدودنا . . . وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

١ - العمدة ٢٢/١ ، ويرجع أيضاً العبارة وتأليفها فى كتابى نقد النثر والبرهان بشرح د/ محمد السعدى فرهود ص ١٣٢ .
 ٢ - روح المعانى ٢٢٥/١١ ط دار الفكر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إلى أين أبا ليلى ؟" فقال :
إلى الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله (١) .
وأنشده حسان بن ثابت حين جأوب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله:
هجوت محمدا فأجبت عنه .: وعند الله في ذاك الجزاء
فقال جزاؤك عند الله الجنة يا حسان (٢) .

وأما ما قاله الأصمعي فهذا رأى لا نقره عليه ، لأن الغرض الشعري
لا ينبغي أن يكون أساسا للحكم على ضعف الشاعر أو قوته ، وإلا ترتب على
ذلك أن تكون كل الأشعار في مجال الشر قوية ، وكل الأشعار في مجال الخير
ضعيفة ، وهذا مالم يقل به أحد ، وما يخالف واقع الشعر في القديم والحديث .
كذلك فإن يترتب على هذا الحكم أيضا أن يسقط الناقد من حساباته
عاطفة الشاعر وانفعاله النفسي ، ومدى ارتباطه بالموضوع الذي يعبر عنه
إحساسه به ، حين يصدر حكمه على شعر الشاعر .
علما بأن قوة العاطفة وصدق الانفعال هما اللذان يكسبان الشعر القوة والجودة
بصرف النظر عن الموضوع ذاته في المديح كان أو في الهجاء ، وفي التهنية
كان أو في الرثاء (٣) .

فإذا كان الأصمعي قد اتخذ من هبوط المستوى الفني في مرثي حسان
سببا للحكم على الشعر الإسلامي بالضعف ، فليس هذا بصحيح ، لأنه ليس
شرطا أن يجيد الشاعر في كل فنون الشعر ، وما زلنا نتذكر أن الفحول أنفسهم
من شعراء الجاهلية لم يبرعوا جميعا في كل فنون الشعر وأغراضه ، وما زال
القول المشهور يتردد في كتب الأدب عن أشهر شعراء الجاهلية وهم :

١ - الشعر ولشعراء ٢٩٥/١ ، والعمدة ٥٣/١ .

٢ - العمدة ٥٣/١ .

٣ - موقف الإسلام من الشعر . د/ صلاح الدين محمد عبدالنواب ص ٥٨ ط مطبعة السعادة

امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب والنايعة إذا رهب^(١)

كذلك فإن حسان بن ثابت لم يكثر من النظم فى الرثاء فى جاهليته ، وأكثر من الفخر فى جاهليته وإسلامه ، فأبدع فى العصرين ، وإذا كان الشعر صناعة يجيد صاحبها ويوجد فيها إذا رغب أو رهب ، كما يرى النقاد من معاصرى الأصمعى ، فإن " أصعب الشعر الرثاء ، لأنه لا يعمل لرغبة ولا لرهبة " ^(٢)

ثم ماذا يريد الأصمعى بضعف الشعر فى الإسلام وهو يستشهد بشعر حسان ، وذلك فيما نقله ابن قتيبة عنه من أن الشعر نكد بابه الشر ، فإذا دخل فى الخير ضعف . . هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره ؟ ^(٣)

هل يريد الأصمعى بذلك الضعف أو تلك الليونة ما يظهر على الشعر الإسلامى من سهولة الألفاظ ووضوح العبارات ، وبعده عن غرابة الألفاظ ووعورة الأساليب ، بشكل أكثر مما عليه الشعر الجاهلى ؟

إذا كان الأمر كذلك ، فليس هذا بالعيب الذى يمكن أن يؤخذ على شعر حسان ، بل إن الأمر على العكس ، لأنه يدل على مدى تأثر حسان بالظروف الجديدة التى ظهرت آثارها واضحة على الحياة العربية ، كما ظهر أثرها أيضا فى أسلوب التعبير عن هذه الحياة ، ولا يمكن أن تعد إستجابة الشاعر لبيئته فكرا وأسلوبا من مظاهر الضعف أو اللين . ^(٤)

١ - العمدة ٩٥/١ . أحمد فؤاد الغول ص ٥٨ . ط لوران للطباعة والنشر الإسكندرية
٢ - الشعر فى الإسلام د . أحمد فؤاد الغول ص ٥٨ . ط لوران للطباعة والنشر الإسكندرية
٣ - الشعر والشعراء ٣١١/١ ، والموشح ص ٧١ .
٤ - موقف الإسلام من الشعر ، د . صلاح الدين محمد عبدالتواب ص ٥٩ .

ثم إذا كان الأصمعى يعد مرأى حسان حين وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ضعيفة لخلوها من صور التفجع و الجزع الشديد بألفاظ طنانة رنانة على غرار المرأى الجاهلية ، فإن الأصمعى يدرك جيدا أن الإسلام لا يرضى ذلك النوع من الرثاء القديم فى صخبه وجزعه وعويله وتفجعه ، وأحاله إلى تأبين وإشادة بالمناقب الإسلامية الرفيعة ، مع تقبل ورضا بقضاء الله وقدره واستبشار بما وعد الله به عباده الصابرين ، ومن ثم غدا الرثاء يصدر عن نفس مؤمنة متعقلة ، لا عن عاطفة متطيرة مسرفة فى حزنها .. فإذا كان الأصمعى يرمى هذه الروح بالسهولة واللين والضعف فتلك روح الإسلام التى ترفض فى الرثاء ، بل وفى غير الرثاء ذلك الصخب وهذا العويل ، لأنه ينافى ما ينبغى أن يكون عليه الإنسان من الثبات ومن الوقار . (١)

بعد هذا العرض يتضح لنا موقف الإسلام من الشعر ، فنرى أن الإسلام لم يضعفه كما زعم بعض النقاد ، وإنما وقف منه موقف الموجه إلى الطريق الأقوم الذى يتفق مع مبادئ هذا الدين ، ليكون الشعر وسيلة بناء للمجتمع الإسلامى ، ودعوة للأخلاق الفاضلة لا وسيلة تقويض وهدم ، ولم يقف الإسلام من الشعر موقف الجمود الذى يؤدى إلى خمود جذوته ، وإنما طور وجدد فى معانى الشعر وموضوعاته وأسلوبه وصياغته ، ولم يعد فيه مجال للمعانى الساقطة التى تشيع عواطف البعض ، وإنما هى معانى تتكأعلى الالتزام بالعقيدة والدين والدعوة إلى الفضائل ، وبهذا أشاعت الحب والتآخى بين الناس ، ومن هنا نعلم أن الإسلام لم يضعف بعض الأغراض الشعرية ، وإنما انتقل بها إلى طور جديد يتلثم مع طبيعته السمحة وآدابه العالية .

ولم يتوقف الأثر الإسلامى فى تطوير فن الشعر عند المعانى والأغراض، وإنما طور أيضا فى الأسلوب والصياغة فقد تأثرت بروح الإسلام، وبعدت عن الغريب والوحشى حتى يستطيع الناس فهمها وتذوقها واتجه الشعر فى صورته وتشبيهاته وأساليبه إلى بعض ما أشتمل عليه القرآن من صور بدیعة وأساليب جديدة .

النظرة النبوية فى النقد الأدبى

إن الحديث عن النظرة النبوية فى النقد الأدبى يتمثل فى ثلاثه أمور هى:

١- نقد المضمون .

٢- نقد الشكل .

٣- الحكم على الشعراء .

أولا : نقد المضمون :

إذا نظرنا إلى ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أحاديث وتعليقات على الشعر والشعراء ، باستحسان أو استهجان نجدها قد ركزت على مضمون الشعر ومادته ، وتوقفت بإصرار عند ما فيها من قيم وأفكار ، وقد كان هذا الاهتمام بمادة الشعر طبيعيا لأمر :

أحدها : أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى رسول ، بعث مصلحا ومعلما وهاديا ودالا للناس على طريق الخير ، أرسل ليتمم مكارم الأخلاق ، ويرسخ القيم الفاضلة الخيرة ، وليحارب مفاهيم الجاهلية ومثلها المنحرفة الفاسدة .

ثانيها : أن للشعر العربى أثرا كبيرا فى صياغة فكر القوم ، وتكوين فلسفتهم ، إنه مستودع علمهم ، وسجل حكمتهم ، ومصدر المعرفة الثرائى الرحيب عندهم ، عنه يصدر رون وإليه يرجعون ، ولحكمة يصدعون . ومن ثم كان طبيعيا بل ضروريا تأصيل القيم الرفيعة لهذا الفن المهم فى حياة العرب ، أو تسديد ما اعتور هذه القيم من زيغ وانحراف

وثالث هذه الأمور : أن الأداة الفنية - عند الحديث عن نظرية إسلامية فى الفن الشعرى مثلا - لا تشكل عقبة ما ، ولا تحدث إشكالية معينة ، فالإسلام

لا يلزم الشعراء بأسلوب فنى محدد ، ولا يقيدهم بطريقة خاصة من طرائق القول وأفانين التعبير ، وإنما يترك ذلك للشعراء - فى كل زمان ومكان - إيراد مواهبهم ونفردهم وتمكنهم من نواحي الفن أن الأداة الفنية قيمة متغيرة متجددة متطورة ، كما أن هذه الأداة كانت لدى الشعراء العرب - حين جاء الإسلام - فى قمة نضجها وتألقها ، لم تكن فجأة ولابدائية . كان العرب أساتذة فى فن القول ، أساطين فى البلاغة والبيان . وعندما تعانق هذه الأداة المتألقة قيما رفيعة - راح الإسلام يرسخها ويدعوها إليها - يصل الشعر إلى القمة السامقة النبيلة التى يرضى الإسلام عنها (١) .

والملاحظ على نقد المضمون فى كلامه صلى الله عليه وسلم أنه يتفرع إلى فرعين أحدهما يدخل تحت نمط الاستحسان وثانيهما يدخل تحت نمط الرفض والاستهجان .

أما عن الفرع الأول فقد استحسن الرسول - عليه السلام - نماذج معينة من الشعر ، وكان استحسانه لها يمثل موقفا نقديا ، كما يمثل - فى الوقت نفسه - توجيها إلى نمط من القول تصلح به الحياة ، ويرضى عنه الإسلام وكان له - عليه السلام - تعليقات وتعقيبات على هذه النماذج ترسم بعض الملامح والمعالم التى نتحدث عنها فى سبيل بناء شعر إسلامى صحيح التصور سليم الرؤية .

قال - عليه السلام -: " أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد :

ألا كل شئ ما خلا الله باطل " (٢) .

وإنما جاء هذا الصدق من ترجمة هذا القول عن وحى الروح الإسلامية

١ - النظرة النبوية فى نقد الشعر ، د/ وليد قصاب ص ٥٩ ، ٦٠ ط المكتبة الحديثة العيين

٢ - فتح البارى ٤٤٧/١٠ ، وسنن ابن ماجه ١٢٣٦/٢ ط الريان .

وكان يعجب بقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا .: ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويقول : "إنها كلمة نبي" (١) .

ويقول عدى بن زيد :

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه .: فكل قرين بالمقارن يقتدى

ويقول : " كلمة نبي ألقيت على لسان شاعر " (٢) .

وسمع عائشة تنشئ قول الشاعر

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه .: يوما فتدركه عواقب ماجنى

يجزيك أو يشنى عليك وإن من .: أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال : " صدق يا عائشة ، لا يشكر الله من لا يشكر الناس " (٣) .

وأشدد قول سويد بن عامر المصطلقى :

لا تأمنن وإن أمسيت فى حرم .: إن المنايا بجنبى كل إنسان

فاسلك طريقك تمشى غير مختشع .: حتى تلاقى الذى منى لك المانى

فكل ذى صاحب يوما مفارقه .: وكل زاد وإن أبقىته فان

والخير والشر مقرونان فى قرن .: بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبی صلى الله عليه وسلم : " لو أدرك هذا الإسلام لأسلم " (٤) .

وقال لكعب بن مالك : أترى الله نسى لك قولك

١ - الأدب المفرد : ٣٤٨ / والترمذى ٢/٨/٤ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ١٠٥/٦

٢ - الإيجاز والإعجاز للثعالبي : ٣٨

٣ - العقد الفريد لابن عبد ربه ١٠٩/٦ ط مكتبة الرياض الحديثة .

٤ - نفس المرجع والصفحة

زعمت سخينة أن ستغلب ربها .: وليتلبن مغالب الغلاب (١).

وينشد ابن رواحه في مدحه

فثبت الله ما آتاك من حسن .: تثبتت موسى ونصرا كالذي نصروا

فيقبل عليه بوجهه، ويقول داعيا له : "واياك فثبت الله يا ابن رواحة" (٢).

وينشده النابغة الجعدي :

ولأخير في حلم إذا لم يكن له .: بواذر تحمي صفوه أن يكذرا

ولأخير في جهل إذا لم يكن له .: حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرأ

فيزداد ارتياح الرسول إلى ما يسمع من وحي الروح الدينية ، ومن التوجيه

الخلقى الرشيد ، ويقول له ، أجدت . لايفضض الله فاك "

قال : فبقى عمره لم ينقص له سن (٣).

أما عن الفرع الثانى الذى استهجنه النبى صلى الله عليه وسلم

ورفضه وأبدى عليه ملاحظات تشعر بالتحفظ وعدم الرضى ، "لأن الرؤية

الإسلامية لم تكن شديدة الوضوح لدى أصحابها ، فما تزال تشوب هذه الرؤية

نزعات جاهلية تفسد صفاءها وتعكر سلامتها ، فكانت تعليقات رسول الله عليها

تسديدا وتوجيها" (٤) . ولفت نظر للشاعر إلى أن يلتزم الحق ، والأیجمع به

القول فى تلك الوديان التى حذر منها القرآن الكريم فى آية الشعراء

سمع- صلى الله عليه وسلم - رجلا ينشد :

إنى امرؤ حميرى حين تنسبنى .: لامن ريعة آبائى ولا مضر

١ - طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٢٢ .

٢ - العمدة ١/ ٢١٠ .

٣ - الشعر والشعراء ١/ ٢٩٥ ، والعقد الفريد ٦/ ١١٠ .

٤ - النظرة النبوية فى نقد الشعر . د/ وليد قصاب ص ٤٢ .

فقال له : ذلك الأم لك وأبعد من الله ورسوله " (١) ،
فمن الواضح أن الرجل يفخر فخرا جاهليا ، ومبعثه عصبية قبلية نهى
عنها الإسلام ، يفخر بحمير ، ويسفه ماعداها ، وهو مزهو بأنه منها وليس من
ربيعة أو مضر ، وفي ذلك ما فيه من التباعد من الله ورسوله ، فنبهه النبي -
صلى الله عليه وسلم - إلى أن الفخر الحقيقي ينبغى أن يكون بكل ما يقرب من
الله ورسوله ، ويدنى من الإسلام . فهي نفى لقيمة وإرساء قيمة أخرى محلها .
وأنشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله: (٢)

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا . : وإنا نترجف فوق ذلك مظهرنا
فقال له صلى الله عليه وسلم: " إلى أين المظهر يا أبا ليلى ؟ " وكأنه ينبه بهذا
التساؤل الكيس إلى ما في ظاهر الكلام من استعلاء جاهلي ، وإلى هذا أراد النبي
صلى الله عليه وسلم أن ينبه إليه ، فأحسن التخلص ، وأجاب بالمعية : " إلى
الجنة " . وقبل الرسول الجواب مادام صاحبه قد فهم المراد وعده تخريجا ذكيا ،
فأمن على قول النابغة : " إن شاء الله " .
وعندما أنشده كعب بن زهير مادحا وتائبا قصيدته المشهورة ، وفيها :

إن النبي لنور يستضاء به . : مهند من سيوف الهند مسلول
فقال له مصححا : " بل من سيوف الله " (٣) فشتان - في القيمة - ما بين سيف
الله وسيف الهند .

١ - المحاسن والمساوئ للبيهقي ص ٧٦ ط دار صائر بيروت .

٢ - الشعر والشعراء ٢٩٥/١ ، والعمدة ٥٣/١ .

٣ - معجم الشعراء : للمرزباني ص ٢٣١ تحقيق عبدالستار فراج ، ط البايي الحلبي .

والخلاصة أن نقد المضمون عند النبي صلى الله عليه وسلم كان نقدا توجيهيا دفع الشعر للاعتراف من بحر العقيدة ، والنهل من ينبوعها النثر ، وكل ما اتفق معها فهو الحق ، وكل ما جافاها ، أو اعتد بقيم تتكبد لها مرفوض مستهجن ، يحتاج إلى توجيه وتصويب .

ثانيا نقدا الشكل .

أثرت عن النبي صلى الله عليه وسلم أقوال حددت بعض الملامح لفن القول ، وهى ملامح لاتخص الشعر وحدة ، بل يشترك فيها الشعر والنثر ، بل ربما كانت أقرب إلى تصوير طبيعة النثر كالخطبة والموعظة وما شاكل ذلك . ومن هذه الملامح التى تتصل بالشكل .

١- الطبع والتكلف :

هذا مقياس نقدى دقيق يعد وليد هذا العصر وأثر من آثار ثقافته الجديدة - القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف- ، فلقد ذم القرآن التكلف ونهى عنه ، وحسبك فى ذمه أن الله عز وجل أمر رسوله الكريم بالتبرأ منه فى قوله : ' قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين' (١) :

وقد أثرت عن النبي صلى الله عليه وسلم أقوال كثيرة نهى عن التكلف والمبالغة وحذر من التشادق والتنعط ، فقال : " هلك المتنعطون " أو ' هلك المكثرون ' (٢) . وقال فى حديث آخر : " إن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون " (٣) .

١ - سورة ص آية ٨٦ .

٢ - رياض الصالحين : ٦٥٧ .

٣ - الترغيب والترهيب ٥٦٢/٣ .

فالبلاغة تنفر من النقص والتكلف في القول ، فإن ذلك مما ينافي الطبع ، ويحول بين الكلام وبين وصوله إلى النفس ، لأنه لم يصدر عن طبع سليم وسليقة صافية ، وإنما هو نتاج الكد والاستكراه^(١) .

ومن منطق ذم التكلف وتهجين صاحبه وعيب كلامه ، أنكر صلى الله عليه وسلم على من سأله قائلا : " أرأيت من لا شرب ولا أكل وصاح فاستهل^(٢) ، أليس مثل ذلك يطل " ^(٣) بقوله : " أسجع كسجع الجاهلية " ^(٤) . لأن هذا اللون من السجع الممقوت يتوارى من خلفه المعنى وتفتقد قيمته بين بهرج الصنعة ، وهو ما يشين الكلام ويبعد الأسلوب عن الطبع السمع السهل ، وهذا إلى أنه كان يعتمد فيه أصحابه إلى التزليل والتمويه وخدعه الناس .

٢- جمال اللفظة واختارها :

الناظر في كلامه صلى الله عليه وسلم يلاحظ أنه كان يتخير في خطابه ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها وألطفها وأبعدها عن ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش ، فلم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا ضخابا ولا فظا ، وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك ، وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس من أهله .

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم أن يقول الرجل خبثت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي ، ومعناها واحد أى غثت نفسي

^١ - النظرة النبوية في نقد الشعر ، د/ وليد قصاب ص ٦١ .

^٢ - استهل الصبي رفع صوته عند الولادة .

^٣ - يطل : أى لاتدفع دية ، ويعرف هذا الحديث بحديث الجنين .

^٤ - نقد النثر ص ١٠٧ ط دار الكتب العلمية بيروت .

وساء خلقها فكره لهم لفظ الخبث لما فيه من القبح والشناعة وأرشدهم إلى استعمال الحسن وهجران القبيح وإبدال اللفظ المكروه بأحسن منه .

٣- ومن الأمثلة أيضا عييه صلى الله عليه وسلم على خطيب قوله : " من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصيهما فقد غوى ، وقال له " بئس الخطيب أنت " وإنما كرهه من ذلك الجمع بين الاسمين لما فيه من التسوية . ومن ذلك قوله : " لاتقولوا : ماشاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم ماشاء فلان " وقال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال : " جعلتني لله ندا ؟ قل : ما شاء الله وحده " (١) .

٤- فالملاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أرسى قاعدة نقدية مهمة وهي حسن انتقاء الألفاظ التي تتشكل المعاني وتليق بها : وهذا ما أسماه البلاغيون " مشاكلة اللفظ للمعنى " أى اختيار الألفاظ التي تعبر عن المعنى بلفظ جميل .

٣- الإيجاز

الواضح فى نظرتة صلى الله عليه وسلم إلى الفن القولى ميله إلى الإيجاز ، وعدم التزيد والتطويل، وهذا شئ طبيعى لأن الله منحه كمال العقل، وغلبة فكره على لسانه ، فقل كلمة وتنزه عن الحشو، وبرئت نظراته النقدية من شوائب الإطالة

فالنبي صلى الله عليه وسلم أعجب بقول ' ليبيد ' :

" ألاكل شئ ما خلا الله باطل "

لأنه بالإضافة إلى ما يحمله من معنى يتفق مع العقيدة الإسلامية فقد دل على هذا المعنى فى عبارة وجيزة من شأنها ان تذاع وتنتشر وكذلك

١ - زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم ٩/٢ ط المطبعة المصرية .

استحسن قول طرفه :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا .: وياتيك بالأخبار من لم تزود

ثالثا الحكم على الشعراء :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد الفصحاء والبلغاء ، ذا حاسة نقدية ومتميزة ، وقد كان عارفا بمكانة الشعراء وأقدارهم ، ومدى ما يمكن أن يبلغه شعر كل منهم (١) . وقد أثرت عنه أحكام نقدية دقيقة على شعراء الدعوة الإسلامية الثلاثة وعلى غيرهم . لقد كان عليه السلام يدرك شاعرية حسان ، ويحس بتفوقه على صاحبيه ، وأنه استطاع أن يبلغ من الكفار ما لم يبلغه أصحابه ، وقد تجلّى ذلك فى قوله : " أمرت عبدا لله بن رواحه فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى(٢) .

وبسبب تقدير النبى صلى الله عليه وسلم لشاعرية حسان ، وإدراكه لها كان يستدعيه فى الملمات ، ويطلب منه أن يقول ... قدم عليه وقد تميم وفيهم شعراؤهم وخطبائهم اللسن المفوهون ، ونادوا بصوت عال جاف : اخرج إلينا يامحمد ، فخرج إليهم ، فقالوا جئنا لنفاخر بك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فقال نعم : قد أذنت لخطيبكم فليقم ، فتحدث خطيبهم عطار بن الحاجب ، ثم قام خطيب النبى ، ثابت بن قيس ، فأفحمه ، ثم قام الزبرقان بن بدر شاعرهم ، فأنشد مفاخرا فى استعلاء :

نحن الكرام فلاحى يعادلنا .: منا الملوك وفينا تنصب البيع

١ - النظرة النبوية فى نقد الشعر د . وليد قصاب ص ٨١ .

٢ - مصابيح السنة للإمام البغوى ١٠٨/٢ ط دار القلم بيروت

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم يستدعى من بين شعرائه حسان بالذات ،
فجاء حسان ، وأجاب الزبرقان على البديهة بقصيدته المشهورة :
إن الذوائب من فخر وأخوتهم . : قد بينوا سنة للناس تتبع

فقام عطار بن الحاجب فقال :
أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا . : إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأننا فروع الناس في كل موطن . : وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
فقال حسان بن ثابت :

منعنا رسول الله من غضب له . : على أنف راض من معد وراغم
هل المجد إلا السؤدد الفرد والندى . : وجاء الملوك واحتمال العظام
فما كان من القوم - وقد أدت الكلمة دورها على أمثل وجه - إلا أن
وقف منهم الأقرع بن حابس فقال "إن هذا الرجل لمؤتى له" (١) ، والله لشاعره
أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا" (٢) . ثم أسلمو جميعا . فمن
الواضح صدق فراسة النبي في حسان ، وصواب حسه النقدي فيه ، فقد أقرله
الأعداء أنفسهم ، وحملهم شعره الذي لا قبل لهم به .

كما أثرت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحكام نقدية على عدد آخر
من الشعراء ، ولعل أبرزها حكمة المشهور على امرئ القيس ، فقد أقر
بشاعريته - على شركه وعهره - وسماه قائد الشعراء ، وأصاحب لواء الشعراء
ومن الواضح أن هذا حكم فني خالص ، أشار فيه النبي إلى الملكة الفنية
العالية التي يتمتع بها هذا الشاعر والتي تجعله على رأس الشعراء ، ولكن

١ - مؤتى ميسر له مسهل

٢ - الأغاني ٥١٢/٢ ط كتاب التحرير .

الإقرار بالشاعرية - وهو العدل والإنصاف - شئ ، وقبول هذا الشعراء أو رفضه شئ آخر ، فامرؤ القيس عند النبي شاعر ، ولكنه شاعر ضلال وعهر ، ولم يسخر شعر في خير أوفق ، فمصيره إلى النار .

قال صلى الله عليه وسلم وقد ذكر عند امرؤ القيس : " امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار " (١) وفي رواية " هو قائد الشعراء وصاحب لوائهم " (٢) وفي رواية أن حسان سئل : من أشعر الناس ؟ فقال امرؤ القيس . فأيده النبي وقال " صدقت " ولكنه بين رأى الإسلام في هذا الشاعر وأمثاله فقال : " رفيع في الدنيا ، خامل في الآخرة ، شريف في الدنيا ، وضعيع في الآخرة هو قائد الشعراء إلى النار " (٣)

وهكذا بدا النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذه الأقوال التي أثرت عنه ذا حس نقدي مرهف ، وموهبة عالية في تذوق الشعر ، وتمييز أقدار الشعراء ، معرفة مكانتهم وموقعهم في الشعر العربي ، وقد نبهنا ، في حكمه على امرئ القيس ، إلى قاعدة نقدية مهمة ، وهي أن الإقرار بشاعرية شاعر ، وتقدير هذه الشاعرية ، والتنويه بها ، لايعنى على الإطلاق وقبول ما يصدر عنها ، فالحكم الفني على الشعر والشعراء شئ ، والموقف الفكري أو العقدي من هذا الشعر شئ آخر .

١ طبقات الشافعية الكبرى للسيكي ، تحقيق عبد الفتاح الطلو ومحمود الطناحي ١/ ٢٢٦ ط

عيسى الباني الحلبي .

٢ العقد الفريد ٦/ ١٠٤ .

٣ شرح شواهد المغنى للسيوطي ١/ ٢٣ ط دار الحياة بيروت .

النظرة العمرية في النقد الأدبي

النظرة العمرية في النقد الأدبي تتمثل في أمرين هما :

(أ) النظرة الموضوعية .

(ب) النظرة الدينية الخلقية

(أ) النظرة الموضوعية :-

وجد في صدر الإسلام من استطاع أن يضع بنقده الأسس الجمالية للشعر ، على ضوء المبادئ الخلقية الإسلامية ، وكان أبرز هؤلاء عمر بن الخطاب الذي أثرت عنه أخبار عديدة تدل على فطنته وثقافته وطبعه ، وحببه الشديد للشعر وتعلقه بمدارسه وتذوقه وإدراكه رأى فيه ، حتى كان موضع إشادة وتنويه من السابقين واللاحقين على السواء .

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال لي عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنشدنى لأشعر شعراءكم ، قلت من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير ، قلت ولم كان كذلك ؟ قال : كان لا يعاظم^(١) بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه^(٢) .

وموطن الأهمية في هذا الخبر هو ما يشير إليه من تفضيل عمر لوجوه نقده، وما بدا فيه من اعتماده على الموضوعية ، التي تقوم على أسباب جوهرية في الكلام ، تصلح أساسا للأحكام ، وقاعدة ومعيارا يقوم الشعر والأدب به ، فقد نظر في الألفاظ والأساليب والمعاني والمنهج ، فوصف ألفاظ زهير بالسماحة والألفة، وأسلوبه بالوضوح والجمال والسلاسة والخلو من التعقيد

^١ - المعاظمه في الكلام : أن يركب بعضه بعضا ويتداخل حتى يتقل نطقه وسماعه .

^٢ - العمدة لابن رشيق ٩٨/١ .

والتركيب والتوعر ، ومعانيه بالصحة والصدق ، ومنهجة بالتزام الحق والصدق والاعتدال والقصد والتباعد من الإفراط والغلو (١) .

ويرى الدكتور بدوى طبانة (٢) أن كلمة عمر هذه هي أقدم النصوص التى وصلت إلينا من حيث اعتمادها على تفصيل أسباب اختيار الشعر ، وتفضيل الشاعر ، وعلى الرغم من قدمها فإنها تضع مقاييس صالحة يقاس بها الأدب ، فقد تناولت أهم أركان الشعر ، وهى أساليبه ومعانيه ، وظلت تلك المقاييس نواة النقد الأدبى فى عصور الأدب العربى حتى عصرنا الحاضر .

وليس فى نقاد الأدب العربى من لم يحذر من التوعر والتعقيد ، فبشر ابن المعتز " توفى سنة (٢٠١هـ) فى صحيفته المشهورة (٣) فى البلاغة يرى أن التوعر يسلم إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك المعانى ويشين الألفاظ .

أما المبالغة فى الصفات فكثير من نقاد الأدب العربى يعيونها مع اختلاف بيئاتهم وثقافتهم .

وعلى هذا فإن كلمة عمر يمكن أن تعد أول بارقة فى النقد الأدبى ، وأول أساس للنظر فى الأدب نظرة موضوعية .

ويرى الأستاذ طه أحمد إبراهيم أن نقد عمر ظاهرة جديدة لاعد لنا بها من قبل ، فهو حين قدم زهيراً لم يحكم بذلك فحسب بل شرح هذا التفضيل . لماذا يفضل عمر زهيراً ، ويعدده أشعر العرب ؟ لأنه سهل العبارات ، لا تعقيد

١ - فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش ، ص ٨٣ ط دار المعارف

٢ - دراسات فى نقد الأدب العربى ، د/ بدوى طبانة ص ٩٦ وما بعدها .

٣ - الصنائع لأبى العسكرى تحقيق على محمد الجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،

ص ١٤٠ ط دار الفكر العربى ، والعمدة لابن رشيق ٢١٢/١ .

فى تراكييه ، ولاحوشى فى ألفاظه ، ثم هو فى معانيه بعيد عن الغلو ، بعيد عن الإفراط فى الثناء ، لا يمدح الرجل إلا بما فيه . فضل زهيراً لأمر ترجع إلى الصياغة والمعانى ، وأورد ما يراه من خصائص زهير فيهما فى شئ من التحديد^(١) .

والحق أن عمر أول ناقد موضوعى تعرض نصاً للصياغة و المعانى ، وحدد خصائص لهذه وتلك ، وهو أول من أقام حكماً فى النقد على أصول متميزة ، كان عمر قوى التمييز فى كل ما يخوض فيه ، صحيح الاستنباط ، موفقاً فى استخراج الأحكام الشرعية ، وهذه الروح سرت إلى الأدب كذلك ، فأسند رأيه فى زهير إلى أمور محسنة وأسباب قائمة .

ومن هناك نستطيع القول بأنه قد واءم بين الشكل والمضمون ، لأنه قرر مبدأين هامين فى صناعة الشعر :

- ١- الحق فى الصناعة الشعرية ، وذلك يتناول الشكل أو التصوير .
 - ٢- الصدق فى الوصف ، بحيث لا يجانب المنطق ، وهذا يتعلق بالمضمون .
- وبهذا وضع الأساس الذى قام عليه النقد العربى فى أغلب صورته حتى عصر عبد القاهر الجرجانى حين تحدث فى " دلائل الإعجاز " عن النظرة الجمالية فى الشعر^(٢)

وبذلك عدوا نقد عمر هذا فلتة سابقة لأوانها فى النقد العربى ، أنها فيما يظهر كانت أول تحليل يتوسع فى أسباب الحكم الأدبى^(٣) ، ويلم بالناحية الشعورية كالصدق فى الإحساس والصدق فى التعبير .

١ - تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، للأستاذ طه أحمد إبراهيم ص ٣١ ط دار الحكمة بيروت .

٢ - معالم النقد الأدبى د/ عبد الرحمن عثمان ص ١٢٠ ، ١٢١ ط المبنى .

وهذه المميزات امتاز بها شعر زهير في نظر عمر كانت سببا في ذيوع شعره وبقائه إلى اليوم ، فقد روى أن عمر قال لابنة زهير حين سألتها : ما فعلت حلل هرم ابن سنان التي كساها أباك ؟
قالت : أبلاها الدهر .

قال : لكن ماكساه أبوك هرما ما لم يبيله الدهر .
وقال عمر رضى الله عنه لبعض ولد هرم بن سنان : أنشدني ما قاله فيكم زهير ، فأنشده ، فقال لقد كان يقول فيكم فيحسن ، قال يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل ، قال عمر : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم (١) .
ولم يتوقف نقد عمر لشعر زهير عند النظرة السابقة ، بل نجده يكثر من ترديد قول زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث .: يمين أو نفار أو جلاء (٢)

متعجبا من علمه بالحقوق ، وتفصيله بينها ، واستيفائه أقسامها ، وصواب القسمة في بيته ، ويقول : " لو أدركت زهيراً لوليت القضاء لمعرفته (٣) " وأية معرفة في دائرة الحق و اقتضاء الحقوق أدق من التقاء فكر زهير في جاهليته مع ما ارتضاه الإسلام في إثبات الحق فهو يثبت أما بالقسم ، أو بالمنافرة إلى حاكم يحكم بالعدل ، أو الجلاء ببرهان واضح يجلو الحق ويوضح الدعوى ،

٢ - النقد الأدبي لسيد قطب ص ١١٧ ، ١١٨ ، ط دار الشروق .

١ - العمدة ٨١/١ .

٢ - الصنائع ٣٥١ ، العمدة ٥٥/١ .

٣ - المرجع السابق نفس الصفحة .

وهذا أيضا يتفق مع القاعدة الإسلامية التي تقول "البينة على من ادعى واليمين على من أنكر" (١)

والملاحظ أن إعجاب عمر بهذا البيت يسير على هديه للنظرة السابقة لشعر زهير ، فهو لم يقف عند مضمونه ومعرفة زهير بمقاطع الحق وحده ، وإنما أعجب - فوق ذلك - بما في البيت من جمال تقسيم ورقه صنعة وهذا يتصل بالشكل وبهذا يكون قد واءم بين الشكل والمضمون .

ولم تقتصر نظرات عمر في نقده على شعر زهير وإعجابه به نجده يؤثر شعر النابغة الذبياني أيضا لوضوحه وصدق نزعتيه ، ولمعانيه الخلقية في بعض أغراضه ، وقدمه على شعراء غطفان كلها في هذا الخبر الذي أورد ابن قتيبة : - خرج عمر وببابه وفد غطفان فقال : أى شعرائكم الذى يقول :

أيتك عاريا خلقا ثيابي .: على خوف تظن بى الظنون

فأفيت الأمانة لم تخنها .: كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : النابغة قال فأى شعرائكم الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ربة .: وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة ، قال : فأى شعرائكم الذى يقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى .: وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : النابغة ، قال هذا أشعر شعرائكم (٢)

فإذا وقفنا عند البيت الأول من هذا النموذج لبيان نظرة عمر النقدية نلاحظ أن النابغة قد برع في تصوير حال المادح الخائف المعتذر . فقد صورته

١ - فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش ص ٨٤ .

٢ - الشعر والشعراء ١/١٦٤ ، ١٦٥ .

أتيا عاريا خلق الثياب بما في العرى من الفضيحة التي تتطلب الستر ، وبما في الثياب الخلقة من منظر يبعث على الإشفاق والتأثر لدى الملك وصوره خائفا يركب الخوف ويعلوه ، ويمتطيه ويسير به ، وكأن الظنون هي الأخرى تطارده وتفتش عليه وتبحث عنه .

وهو تصوير يحرك في نفس الممدوح كل أنواع السماح والعطاء . ومن هنا نفطن إلى حكم عمر له بأنه أشعر العرب ، وأشعر شعراء غطفان ، لصدقه في التصوير والعاطفة (١) .

والنعت الذي أطلقه عمر رضى الله عنه لزهير (شاعر الشعراء) والذي أطلقه عن النابغة (أشعر الشعراء) يضعنا أمام روايتين متعارضتين ، ولكن الحقيقة النقدية أنه ليس هناك تعارض ، نتيجة إلقاء الحكم على أساس من التأثير الوقتي والانفعال السريع ، فقد أعجب عمر رضى الله عنه بأبيات زهير في وقت معين وأحوال خاصة ، ثم تغير الزمن واختلفت الأحوال ، فجاء تغير الحكم (٢) .

١ - النقد الأدبي د/سعد ظلام ص ٣٦ .

٢ من مظاهر النقد الأدبي عند العرب د/ رفعت ذكي محمود عفيفي ، ص ٦٧ .

النظرة الدينية الخلقية

كانت نظرات عمر النقدية لمضمون الأدب مستمدة من روح الإسلام وقيمة ومصلحة المسلمين ، وهو المنهج الذى أرسى قواعده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبهذا كان عمر يمثل بنقطة التلميذ النابه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أرساه لنا من أسس النقد الأدبى الإسلامى (١) ، وقاس المضمون الأدبى بمقاييس دينية خلقية بحته يحمد منها ما وافق جوهر الإسلام ومبادئه ويذم منها ما خرج على هذه المبادئ .

ويتضح هذا المقياس الدينى الخلقى فى تقدير عمر بن الخطاب لشعر سحيم عبد بنى الحساس ، فقد أنشد عمر قوله :

عميرة ودع إن تجهزت غاديا : كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر : لو كنت قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك (٢) .

فلما أنشده :

فبات وسادانا إلى عجانة : وحقف تهاده الرياح تهاديا

وهبت شمال آخر الليل قرة : ولا ثوب إلا درعها وردائيا

فما زال بردى طيبا من ثيابها : إلى الحول حتى ألهج الثوب باليا (٣)

١ - المرجع السابق ٧٦ ، ٧٧ .

٢ - الكامل للمبرد ٣٧٢/١ ط مؤسسة المعارف بيروت

٣ - الوساد والوسادة : ما تتوسده وتجعله تحت رأسك . والعجانة : شجرة خضراء مظلمة الخضرة . ليس لها ورق وإنما هى قضبان كالإنسان القاعد ، ومنبتة فى السهول . والحقف ما استطال واعوج وأشرف من الرمل . تهاده : أصلها تهادهاه ، وحذف إحدى التاعين . يصف الرمل بالنعومة والسهولة ، حتى تنقله هذه الرياح ، كأنما هى تهادهاه بينها ، الشمال : ريح الشمال الباردة . والقرة : الشديدة البرد . ودرع المرأة :

فقال له عمر : ويلك إنك مقتول (١)

وعمر فى تعليقه على مطلع القصيدة راضى كل الرضا على المنهج الشعرى حتى إنه تمنى منه تقديم الإسلام على الشيب ليعطيه العطاء الجزيل ، وفى تعليقه على الأبيات راض كل الرضا على السهولة والجمال الذى يلوح فى رقة الشعر وعذوبته ، ولهذا كان تعليقه على السحر الحلال "ويلك" وهى كلمة على ما تتضمن من إشفاق وزجر تتضمن أيضا قبولاً لهذا المنهج السحر الذى وجدته فى شاعر مسلم تعلق فى صدر قصيدته بالإسلام ، ثم مضى فيها خالياً إلى نفسه وذكرياته الحلوة فى غير فحش .

وبمقياس الدين والخلق كذلك كان موقف عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - من الشعراء الذين أذعوا فى هجاء الناس ونهش أعراضهم ، كما كان من النجاشى ، الذى هجا بنى العجلان ، فاستعدوا عليه عمر ، وقالوا له :-
يا أمير المؤمنين هجانا - فقال : وما قال ؟ فأنشدوه قوله :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة . : لا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر ليت آل الخطاب هكذا : قالوا وقد قال أيضا :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم . : وتأكل من كعب وعوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمة : قالوا فإنه قال :

وما سسمى العجلان إلا لقيهم . : خذ القعب وأحلب أيها العبد واعجل

ثوب ذو يدين تلبسه العواتق . يقول : إن شدة البرد ألجأت كل واحد إلى حضن صاحبه ، إذ لا غطاء معهما . ثم ذكر فى البيت التالى : أن طيبها وطيب ثوبها عبق بثوبه عاملاً .

فقال عمر : خير القوم خادهم (وكلنا عبيد لله) ثم بعث إلى حسان والخطيئة ، وكان عمر محبوبا عنده ، فسألها ، فقال حسان مثل قوله في شعر الخطيئة ، فهدد عمر النجاشي وقال له : إن عدت قطعت لسانك (١) .
وهذه الرواية توضح سعة أفق عمر رضى الله عنه ، وحسن إدراكه للمعاني ، مما جعله يفسر كل بيت تفسيراً غير ما فهمه المهجورون ، لعله يستل ما فى نفوسهم من ألم .

وإذا كانت غاية النقد إصدار الحكم على العمل الأدبى ، فإن كلمات عمر تعد من النقد فى الصميم ، فقد جاءوا إليه يلتمسون تأييده فى هجاء الشاعر إياهم وإنزال العقوبة به ، فبدأ فى أول الأمر أن رأى عمر يخالف ما ذهبوا إليه فزعم لهم ما رأوه هجوا فى هذا الشعر يمكن أن يعد مديحاً ، وتمنى لو كانت بعض تلك الصفات التى رماهم بها الشاعر فى خاصة آله . ولا شك أنه يحسب فى النقد الموضوعى ذلك البحث عن معانى الأشعار والحكم عليها (٢) .
ومثل هذا موقفه من الخطيئة الذى جئى به إليه متهما بهجاء الزبرقان بن بدر حيث يقول فيه :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها . : . واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وفيه نسى عمر أنه الأديب الذواق الرواية ، ولم يذكر إلا أنه القاضى الذى يدرأ الحدود بالشبهات ولا يحكم بما يعلم دون ما يعلمه أهل الصناعة ، وقال للزبرقان : ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة ، ثم سأل حسان فقضى أنه هجاء وأوحش فى هجائه ، بعد وفاته .

١ - الشعر والشعراء ١/ ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، العمدة ١/ ٥٢ .

٢ - دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدرى طبانة ص ٩٥ ، ٩٥ .

ولعلك تدرك ما هدف إليه عمر - رضى الله عنه - فى توجيه الشعراء وربط شعرهم بالدين ومبادئة، بحيث يتحرون فيه عنصر الصدق فى المضمون والغرض، ويبعدون عن خبث اللسان ووساوس النفس مما انتهى إليهم من أدران الجاهلية.

النظريات النقدية لبقية الخلفاء الراشدين:

أبو بكر

أثر عن أبى بكر الصديق بعض النظرات النقدية منها ما يتصل بنقد المعنى وتوجيهه إلى النظرة الإسلامية. من ذلك ما يروى أن لبيد الشاعر المخضرم قام على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال:

الأكل شئ ما خلا الله باطل •

فقال أبو بكر: صدقت

فلما قال: وكل نعيم لا محالة زائل

قال: كذبت، عند الله نعيم لا يزول^(١) •

ومنها ما يتصل بالحكم على الشعراء فقد روى أنه كان يحكم للناطقة بين شعراء عصره بقوله " هو أحسنهم شعرا، وأعذبهم بحرا، وأبعدهم قعرا"^(٢) • وهنا نجد أن نظرة أبى بكر النقدية إلى الشعر يبدو فيها الإجمال والعموم كعادة نقاد الشعر فى عصره واستمرارا للفترة العربية القديمة فى النقد والنظرة إلى الشعر، إلا أن فى هذه العبارة النقدية الموجزة سمة مركزة، فهو يعد العمق سببا فى المقارنة والمفاضلة فليست أحكام الصديق مبنية على المعانى

١ - الموشح ص ٨٤ •

٢ - العمدة ١/ ٩٥ •

السطحية والعموميات مثل حسن الشعر وعذوبته، بل إنه يسبر الغور وينفذ إلى العمق، فيلمس أثرا للفكر والعقل في المعنى والصورة، ولعل ذلك قد نفخ على الصديق من مصدر ثقافته الجديدة من إعجابه بنظم القرآن الكريم وما جاء به من معان بعيدة عن التقرير، وما أصلته وأصله من جميل الإيقاع الصوتي الذي يحدث أوقع الأثر في النفوس (١).

ومنها ما يتصل بالنقد اللغوي ومن ذلك ما روى أن أبا بكر رضى الله عنه سأل رجلا يبيع الثياب فقال: أتبيعني هذا الثوب يا رجل ؟ قال الرجل لا عفاك الله.

ففتن أبو بكر رضى الله عنه إلى هذا الاستعمال اللغوي الذي قرره البالغون فيما بعد في موضوع الفصل والوصل.. حيث أوجبوا الفصل بالواو في هذه المسألة لأن "لا" تتضمن جملة خبرية مضمونها (لا أبيعك هذا الثوب). والجملة الثانية: دعائية وهي (عفاك الله).

وهذا التعقيد اللغوي يرتبط بالمعنى، إذ يحتمل أن يكون النفي منصبا على الجملة الدعائية، فيكون دعاء عليا لاله. وقد أدرك ذلك أبو بكر قبل أن يضع البلاغيون قواعدهم لأن الحس اللغوي كان قويا لديه (٢).

عثمان

كان عثمان بن عفان رضى الله عنه - على زهده ونسكه - يتذوق الشعر وينظر فيه وينقده مسببا ومعللا لحكمه، أنشد قول زهير:

١ - موقف الإسلام من الشعر د/ صلاح الدين محمد عبدالتواب ص ١١٢ ، وراجع أيضا

الشعر في الإسلام د/ أحمد فؤاد الغول ص ٢٩ .

٢ - النقد الأدبي د/ محمد إبراهيم نصر ص ١٦٥ .

ومهما تكن عند امرئ من خليقة .: وإن خالها تخفى على الناس تعلم
فأعجبه صواب معناه فقال: أحسن زهير وصدق، فلو أن رجلاً دخل بيتاً في
جوف البيت لتحدث به الناس^(١) .

على بن أبى طالب:

منح الله علياً بن أبى طالب موهبة تهديه إلى التدقيق والتفسير وتعيينه
على التقدير والتقويم ، وكان صاحب ذوق مصفى هداه لإدراك الجمال الفنى
ومعرفة أسبابه^(٢) ، مما أدى إلى ظهور بعض النظرات النقدية فى تراثه الأدبى،
وكانت محل إعجاب وتقدير من النقاد العرب .

فقد روى ابن رشيّق أن علياً كان يقول: "الشعر ميزان القول"^(٣) مما
يضعنا أمام نظرة نقدية للإمام على رضى الله عنه ، الذى كان يزن الشاعر بما
يتميز به من فكر ورأى ، وما يصدر عنه من عبارة وكان يقول : قيمة كل
امرئ ما يحسنه . وعد حسن القول بما يحمل من معنى راق وفكر دقيق،
وأسلوب فصيح^(٤) .

يقول العقاد : "إن نقد على للشعراء كان نقد عليم بصير، يعرف
اختلاف مذاهب القول ، واختلاف وجوه المقابلة ، والتفضيل على حسب
المذاهب"^(٥) .

١ - العمدة ١/٤١ .
٢ - النثر الفنى عند الإمام على بن أبى طالب (رسالة ماجستير للمؤلف) بكلية اللغة
العربية بالقاهرة ص ٣٤٨ .

٣ - العمدة ١/٢٨ .
٤ - من مظاهر النقد الأدبى عند العرب د/ رفعت زكى محمود ص ٨٣ .
٥ - عبقرية الإمام للعقاد ص ١٣٩ ط دار المعارف .

والذى يؤكد كلام العقاد ما ورد عن الإمام على أن ميزان المفاضلة بين شاعر وشاعر لا تجوز إلا بين المتعاصرين يقول : لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجروا معنا علمنا من السابق منهم ، وإذ لم يكن فالذى لم يقل لرغبة ولا لرهبة ، ففيل :ومن هو ؟ فقال : الكندى قيل : ولم ؟ قال : لأنى رأيت أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة (١) .

وهنا يبدو الجديد فى نظرة على رضى الله عنه إلى أن الشعر ..
فالتفاضل لا يجرى إلا بين الشعراء المتعارضين ، ولا يتم ذلك على وجه الدقة إلا إذا نصبنا لهم راية واحدة ليحروا نحوها ، وكأنه هنا يشترط وحدة الموضوع الشعرى للمتسابقين من الشعراء ، وبذلك يضع للمفاضلة شرطين : المعاصرة ووحدة الموضوع ، وإذا كان لابد من المفاضلة بين الشعراء القدامى - وقد تعذرت شروطها - فأفضلهم من لم يقل لرغبة ولا لرهبة ، أى أن أفضلهم من فاض الشعر من روحه وفيض نفسه ، كالنبع الفيض الذى يتفجر الماء من أعماقه فيسير ررقا ، يعطى ويسقى عطاء تلقائيا ، ولعمري أنها نظرة مبتكرة فى تقديم التلقائية والطبع على الصنعة والتعمل (٢) .

المقاييس النقدية فى عصر صدر الإسلام

١ - الالتزام بمبادئ الدين والخلق :

وجه الدين الجديد الشعراء والأدباء إلى ضرورة الالتزام بالأفكار والاتجاهات التى تلائم روح الإسلام الدينية والأخلاقية والدين والأخلاق

١ - العمدة ٤١/١ ، ٤٢ .

٢ - موقف الإسلام من الشعر د/ صلاح الدين محمد عبدالتواب ص ١٢١ ، والشعر فى

الإسلام د/ أحمد فؤاد الغول ص ٥٣ .

يسيران دائما في سبيل واحد ، ويهدفان إلى غاية واحدة ، هي صلاح العقيدة وصلاح المجتمع ، وتحصيل أسباب السعادة في الدنيا والآخرة . وهذا المقياس فوق كونه مقياسا دينيا خلقيا ، فإنه مقياس فني دقيق لأن الصدق الفني هو سبيل الجمال في الفنون جميعا ، وعلى ذلك نقول إن نظرية الفن للفن افتراض مرفوض في الفكر الإسلامي وبالتالي في الأدب العربي الذي هو ثمرة هذا الفكر ووليدة الأصيل وهو ما يسمى في القرآن وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ويأتى الالتزام الأخلاقي في الفن في عبارة القرآن إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

وقد ظهر هذا المقياس واضحا في تعليقات النبي صلى الله عليه وسلم على لبيد وطرفة والنابغة الجعدي ، وتعليق أبي بكر على لبيد ، وتعليق عمر على زهير بن أبي سلمى وفي تقديره لشعر سحيم عبد بنى الحساس . وعلى ذلك نقول إن النقد قد طبع بطابع ديني يتمثل في تصدية للعقيدة ، ورعاية الأخلاق الإسلامية وكان هذا الطابع مقياس للأدب العربي ونقده .

٢- الموضوعية :

هذا مقياس نقدي واضح عند بعض نقاد هذا العصر ، وهو يعتمد على نقد اللفظ والمعنى والأسلوب والمنهج والغرض وتحقيق السماحة في اللفظ ، والسلاسة والوضوح والخلو من التعقيد والمعاظلة والتوعر في التعبير ، والالتزام الطبيعية في الأسلوب ، والصدق والصحة والصواب في معناه ، والحق والقصد والاعتدال والتباعد من الإفراط والغلو في منهجه وتفضيل الإبداع والاختراع في صورته ومعانيه ، حتى أصبحت هذه النظرات والمبادئ رائدة لتطور النقد الأدبي ، وفي قيامه على أسباب موضوعية مفصلة وأصول منهجية واضحة .

وقد ظهرت الموضوعية بوضوح تام في نقد عمر بن الخطاب لزهير،
وقد كشفنا عن موضوعية هذا النقد وسقنا من خلال التحليل البراهين التي تؤيد
ما قلناه

٣- وضع الأسس النقدية للموازنات الأدبية

وضع على بن أبي طالب أساسا هاما للموازنة الشعرية : أساس أنه
لاتفاضل بين الشعراء إلا إذا جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ، ومذهب واحد
في القول .

فإن تساورا في ذلك كله فأجودهم الذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة ،
وكان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة .

الفصل الرابع النقد في العصر الأموي

النقد الأموي

عوامل ازدهار النقد في العصر الأموي

١- تشجيع الخلفاء والأمراء .

فتح الخلفاء والأمراء والقواد أبوابهم للشعراء فوفدوا من كل فج ، وكانت الجوائز التي يرصدونها للشعراء موقوفة على قدر شعرهم ومقدار براعتهم فيه ، فاشتد التنافس بين الشعراء ، وحرص كل منهم على أن يتخير معانيه وألفاظه بحيث تصغي لها القلوب والأسماع ويحظى صاحبها بالجوائز القيمة (١) .

وهذا لون من النقد العملي الذي يقوم به الشعراء أنفسهم ، وقد ساعد عليه سلامة أذواق الخلفاء والأمراء ، الذين هشوا للشعر وطابت له أنفسهم ورغبوا في مديح جيد يرفعهم إلى مصاف الأتقياء (٢) .

وقد اشتهر من خلفاء بني أمية جماعة نقدت الشعر وشجعتة وأصدرت فيه حكما على الشعراء أمثال عبد الملك بن مروان ، سليمان بن عبد الملك ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان عبد الملك على رأس خلفاء بني أمية في مجال النقد والمناقشة ، ومن أمثلة ذلك :

١- تعليقه على بيت عبد الله بن قيس الرقيات من قصيدة يمدحه فيها - بقوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه .: على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأنى من ملوك العجم . وتقول في مصعب :

^١ - راجع : التطور والتجديد في الشعر الأموي د/ شوقي ضيف ط دار المعارف الخامسة

^٢ - النقد الأدبي د/ محروس منشاوي الجالي ص ١٦٢ .

إنما مصعب شهاب من الله .: تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه .: جبروت ولا له كبرياء (١)

يقول أبو عبدالله المرزباني بصدور تعقيبه على نقد عبدالملك هذا :
"فوجه عيب عبدالملك إنما هو من أجل أن المادح عدل به عن الفضائل النفسية
التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة وما جانس ذلك ، ودخل في جملة -
ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة وذلك غلط وعيب" (٢) .
٢- دخل جرير على عبدالملك بن مروان ، فأنشده قوله :

أتصحوأم فؤادك غير صاح .: عشية هم صحبتك بالرواح

فقال عبدالملك : بل فؤادك فلما انتهى جرير إلى قوله :

ألستم خير من ركب المطايا .: وأندى العالمين بطون راح

جعل عبدالملك يقول : نحن كذلك ، ردها على ، فأخذ جرير يرددها ، والخليفة
يطرب لذلك ويقول : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت ، وأمر له
بمائة من الأبل (٣) .

والشاهد هو البيت الذي استجاده الخليفة . واستعاده ، وجعله أنموذجاً
للمديح ، ولقد طرب الخليفة لمعنى البيت لا للفظه ولا لنظمه ، لأن القصيدة كلها
على نمط واحد من اللفظ والنظم . وهذا البيت طرق كوامن الفخار والعزة فيه
فأخذته الأريحية له واستخفت به السرور ، إذ يسمع مديحاً بالجوهر والندى يفوق

١ - طبقات فحول الشعراء ٢ / ٦٤٩ ، والصناعتين ص ١٠٤ .

٢ - الموشح ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

٣ - ذيل الأمالي ص ٤٤ ط دار الكتب العلمية بيروت .

جود العالمين ونداهم ، ومديحا بالقدرة التي ليس فوقها قدرة بشر على ركوب المطايا (١) .

٣- قال الأصمعي : اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج . فقال من مدحني منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتي فهذا الخلعة له ، فقال الفرزدق : فمن يأمن الحجاج والطيرتتقى .: عقوبته إلا ضعيف العزائم فقال جرير

فمن يأمن الحجاج أما عقابه .: فمروأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق .: كما كل ذي دين عليك شفيق
فقال الحجاج للفرزدق : ما علمت شيئا إن الطير تنفر من الصبي والخشبة ،
ودفع الخلعة إلى جرير (٢) .

وإذا كان شرط الحجاج لإعطاء الخلعة ذا شقين هما : الإيجار والدقة في الوصف ، فإن الفرزدق قد حقق الشرط الأول فأوجز بالقياس على جرير ، ولقد حقق الشرط الثاني أيضا إذ وصف الحجاج بالعقاب الصارم الذي لا ينجو منه من يستحقه ، وهذه الصفة أبرز صفات الحجاج ، وعلى هذا كان من العدل أن يمنح الفرزدق الخلعة ، ولكن الحجاج كان متعصبا لجرير لأنه شاعره ، ولأنه هو الذي قدمه لعبد الملك بن مروان ليكون من ما دحيه .

والخلاصة أن ما فعله هؤلاء الخلفاء وأولئك الأمراء في العصر الأموي ، إنما يمثل حركة أدبية نشطة شجع عليها أن الخلفاء من بنى أمية

١- اتجاهات النقد الأدبي العربي للأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود .

٢- الصناعتين ص ١٠٧ .

وولاتهم وقوادهم كانوا عربا خلصا ، بل كانوا من ذوى الحس اللغوى الصافى
والذوق الأدبى النقى .

ولاريب فى أن النقد ، أو هذه الملحوظات قد دفعت الشعراء إلى تصفية
شعرهم مما يشوبه ، وربما دفعتهم أيضا إلى شىء من المبالغة فى المدح (١) .

٣ - الصراع السياسى وما خلفه من أحزاب :

نشأ عن الصراع السياسى فى العصر الأموى عدة أحزاب هى الحزب
الأموى الحاكم ، والحزب الزبيرى المناهض للحكم ، والحزب الشيعى المترقب عودة الحكم
إليه ، ثم حزب الخوارج التأثير على دعوى الوراثة القرشية للخلافة والحكم كل
هذه الأحزاب على اختلاف مذاهبها وأهدافها . . كانت باعثا قويا من بواعث
الأدب وقوة الشعر ، وعاملا حيويا من عوامل خصوبته وتعدد ألوانه ، وتعبيره
الصادق عن تلك الحياة السياسية ، وتصويره الدقيق لجوانب الحياة العربية
وعناصرها النفسية والاجتماعية ولاسيما ميدان الحديث عن العوامل وتصوير
خلجات القلوب .

وقيام الأحزاب السياسية فى هذا العصر أصل كبير ، تفرعت عنه آثار
أدبية كثيرة ، من قيام الشعر السياسى ، والخطابة السياسية ، ومن تعدد مذاهب
الأدباء السياسية والفكرية ، وقيام الهجاء بينهم ، وازدهار فن المدح والحماسة ،
ووصف المعارك ورثاء القتلى ، مما أثمر نهضة الأدب والشعر فى هذا
العصر (٢) .

وقد سابر النقد هذه النهضة الأدبية ، ولمع فى سمائها ، وأخذ ألوانا

- الذوق الأدبى د/ عبدالفتاح على عفيفى ص ٣٨ .

- تاريخ الأدب فى العصر الأموى د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ص ١٣ ط مكتبة الكليات

تختلف فى اتجاهاتها مع اختلاف الحياة فى أرجاء الدولة ، فاتجه فى الحجاز إلى المعانى معملا فيها ذوقه الحضرى ، وأكب على الغزل الذى شاع فى ربوعه ، يقيسه بمقاييس الطبايع السليمة والمشاعر الصادقة ، وما يلائم العفة ويتصل بها من خلق وعذوبة ، واتجه فى الشام ، حيث تزدحم الأقدام فى رحاب الخلفاء وفى ساحات الملك ، وفى العراق حيث يصطرع الأقوام حول المبادئ والأفكار وفى تيارات السياسية والحكم إلى إنكاء نار الخلاف بالمفاضلة بين الشعراء ، والموازنة بين أشعارهم ونقدها ، فبرزت آراء واتجاهات نقدية جديدة متأثرة باختلاف بيئات الشعراء ومنازهم ، وما ساد الشعر من تلون فنونه وتعدد أغراضه تبعا لذلك (١)

٣- مجالس النقد :

أهتم خلفاء بنى أمية بالشعر والشعراء إهتماما كبيرا ، لاعتمادهم عليهم فى الدعوى لهم وإقامة دعائم دولتهم . ومن ثم ظهرت صور هذا الاهتمام فى قصورهم ومجالسهم . وكان للشعراء جانب مذكور فى تلك المجالس ، يستشدهم الخلفاء ويحكمون بينهم ، وينقدون شعرهم ويجيزون المجيد منهم بالجوائز السنوية (٢) .

وهكذا نهض النقد فى هذه الفترة تبعا لاهتمام الخلفاء ومن فى مجالسهم به وكانت هذه المجالس خير مظهر من مظاهر احتفاظهم بخصائص عروبيتهم ، وأهم تلك الخصائص حبهم للشعر ، ولوعهم بسحر البيان ، ودرائتهم بتذوقه ، وقدرتهم على نقده ، وتحسس جوانب الجمال فيه ، وتعرفهم إلى أسباب ضعفه

١ - فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش ص ٩٤ .

٢ - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د/ محمد زغلول سلام ص ٨١ .

أو ردأته ، بفطرتهم السليمة وحسهم المرهف (١) .
فمما ترويه كتب الأدب أن الأقيشر - الشاعر الأموي المشهور -
دخل على عبد الملك بن مروان وعنده قوم ، وجاء ذكر الشعر ، فذكروا قول
نصيب :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت . : فياويح دعد من يهيم بها بعدى

فقال الأقيشر : والله لقد أساء قائل هذا الشعر ، قال عبد الملك :

فكيف كنت تقول لو كنت قائله ؟ قال : كنت أقول :

تحبكم نفسى حياتى فإن أمت . : أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

قال عبد الملك : والله لأنت أسوأ قولاً منه حين توكل بها فقال الأقيشر :

فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال كنت أقول :

تحبكم نفسى حياتى فإن أمت . : فلا صلت دعد لذى خلة بعدى

فقال القوم جميعاً : أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم (٢)

فقد عبد الملك لشعر نصيب وكذا شعر الأقيشر وإجماع الحاضرين على
إصابته يقوم على تحديد المعنى الذى يرمى إليه الشاعر واختيار الألفاظ
المناسبة التى تؤدى هذا المعنى ، وقد أجاد عبد الملك - أيما أجاده - فى إبراز
المعنى الذى أراده الشاعر فيما يناسبه من ألفاظ (٣)

ولم تقتصر مجالس الأدب والنقد على الخلفاء وحدهم ، ولكنها كانت
صورة لمجالس أخرى ذكر فيها الأدب ، ونقد فيها الشعر ، وتلك مجالس

١ - دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طبابة ص ١٠٣ .

٢ - الشعر والشعراء ٤١٩/١

٣ - المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين د/ فوزى السيد عبدربه ص ٨٧ ط دار

الوجوه والكبراء، التي يبدو منها أن العناية بالشعر والكلف بنقده أصبح ظاهرة عامة في هذه الأوساط، وفي تلك النفوس المشبعة بحب لغتها، الهائمة بشعرها وفنها .

فمن ذلك أن سكينة بنت الحسين كانت أديبة ظريفة، تقعد للرجال، ويغشى ناديتها الشعراء، فقالت يوما لكثير عزة: أنت القائل:

فماروضة بالحزن طيبة الثرى .: يمج الندى جثجاثها (١) وعوارها
بأطيب من أردان عزة موهنا .: وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
ويحك وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين توقد بالمندل الرطب نارها
إلا طاب ريحها؟ ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس:

ألم ترياني كلما جئت طارقا .: وجدت بها طيبا وإن لم تطيب (٢)

فالشاعران من مذهب شعري واحد، والمعنى الذي ذهب إليه واحد، وإن اختلف العصر، ولكنها تقول لكثير: ويحك، ما زدت على أن جعلت محبوبتك زنجية منتنة، وتفضل عليه قول امرئ القيس الجاهلي العصر، الذي جعل محبوبته طيبة الرائحة في أي وقت دون أن توقد المنديل . فريحها طيب فطرة وطبيعة (٣) .

ولم تكن تلك المجالس التي تبرز فيها محاسن الشعر وعيوبه وفقا على قصور الخلفاء ودور الكبراء، بل إنها اتخذت مظهرا عاما في سائر الجماعات

١ - الجثجاث: شجر أخضر ينبت بالقيظ له زهرة صفراء طيبة الريح، والعرار: نبت طيب الريح واحدته عرارة، والحزن: ما غلظ من الأرض، والأردان: واحده ردن وهو أصل الكم يقال قميص واسع الرदन .

٢ - العقد الفريد ٣٧٢/٥، والشعر والشعراء ١/

٣ - من مظاهر النقد الأدبي عند العرب، د/ رفعت زكي محمود ص ١٠٦ .

التي تفعل في مجتمعاتها ما يفعل الخلفاء والكبراء في قصورهم ودورهم .
وكان بين بعض الشعراء تواد وتعاطف ، فقد جمعتهم صلة الشعر ، وألف بينهم
ما كان فيهم من اختلاف المنزع والاتجاه ، ولم تعصف بهم ريح التنافس
والتحاسد ، فكانت لهم مجالس لهوهم وسمرهم ، ومن الطبيعي أن مادة السمر
كانت فنهم الشعري ومطارحته ، والنظر في محاسنه ، ودراسة عيوبه (١) .
وهذه المجالس - على اختلافها - تناولت الأدب ونقده ، مما يدل على
شيوخ الذوق الأدبي الرفيع ، وعلى نضج العقل العربي واتساعه ، وبصره
بالقواعد والأصول التي يقوم عليها فن الأدب ، وعلى تمكن ملكة النقد من
نفوس القوم ، وتجاوزها الرجال إلى النساء (٢) .
والخلاصة أن مجالس النقد كانت عاملا قويا من العوامل التي دفعت
النقد إلى الأمام ، وخلفت تراثا نقديا ضخما استحق التسجيل والدراسة واحتل
منزلة في تاريخ حياة النقد الأدبي عند العرب .

٢- تعدد مراكز الشعر وأسواقه

تعدد مركز الشعر وأسواقه في عصر بنى أمية عمل على تجويد
الشعراء أصول فنهم وحذقيهم له ، كما عمل على نمو روح النقد عندهم كذلك ،
حيث كان النقد والشعراء يوازنون بين غرض شعري وآخر في شئ من الفهم
والعمق والوعى ، للمفاضلة بين شاعرين أو أكثر ، وقد كانت تلك الأسواق
بمثابة منتدياتهم الأدبية التي يعلنون فيها عن براعتهم ورفق أدواقهم (٣) .

١ - دراسات في نقد الأدب العربي د/ بدوى طبابة ص ١٠٩ .

٢ - المقاييس البلاغية عند الجاحظ د/ فوزى السيد عبدي ص ٨٨ .

٣ - النقد الأدبي د/ محروس منشاوي الجالي ص ١٦١ .

ومن هذه المراكز سوق المربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة ، وكانت تقومان مقام سوق عكاظ في الجاهلية ، " بل لقد تحولتا إلى ما يشبه مسرحين كبيرين يغدو عليهما شعراء البلديتين ومن يفد عليهما من البادية لينشد والناس خيرا ما صاغوه من أشعار....." (١) .

وبهذا ظهر من شأن البصرة والكوفة ما ظهر ، وصارتا موئل الشعراء المتنافسين ، واشتجر النقاول والتطاول والجدل والخلاف بين الخصوم منهم . وفي صفوف الأحزاب السياسية المختلفة ، وكثر شعر الحماسة والفخر والهجاء والمديح ، وصارت البصرة ومربدها وكناسة الكوفة ومسجدها من أقوى العوامل التي حدثت بالشعراء إلى تنقيح وتهذيب أشعارهم حتى ينجوا من نقذات النقد ونظرات الشعراء ، وبهذا كانت هذه الأسواق مجالا خصبا للنقد والنقاد وجدوا فيه بغيتهم التي يتطلعون إليها

٥- النقائص:

فن جديد من الشعر في العصر الأموي، استلزمه الجدل السياسي والقبلي والاجتماعي والأدبي، ونبغ فيه كثير من الشعراء كجرير والفرزدق والأخطل.. يقول أحدهم قصيدة في موضوع وغالبا ما يكون الفخر أو الهجاء، فيهب الآخر للرد على الشاعر والأخذ بالثأر، فينظم قصيدة في موضوع وعلى نمط القصيدة الأولى وزنا وقافية غالبا، يبطل فيها معاني الشاعر الأول وكل أفكاره.

وقد ظهر أثر النقائص في ازدهار الحركة النقدية واضحا في أن كل شاعر منهم التف حوله فريق من أنصاره المعجبين بشعره، يحاولون أن

١ - البلاغة تطور وتاريخ د/ شوقي ضيف ص ١٦ ط دار المعارف .

يظهروا للناس محاسنة وأسباب تفوقة، كذلك يخسبون شعر معارضيه. ومن مجموع هذه المحاسن والمساوئ للشعر والشعراء حصل ذلك التراث المروى من النقد، قبل أن يؤلف فيه العلماء أمثال ابن سلام^(١) .

وكانت النقائض أشبه بمدرسة شعرية نقدية معاً، فكانت نظرة الشعراء إليها على أنها ميدان إصالة شعرية لا يثبت فيه إلا الأصلاء في هذا الفن^(٢) وبهذا أسهمت النقائض في فهم الأساليب الشعرية التي استعملها كل شاعر، وأشاعت جواً من الوعي الأدبي والنقد بين الشعب العربي.

وقد حققت النقائض ثورة نقدية قامت على مظاهر مختلفة بعضها لغوى والآخر نحوى والثالث أدبي، وأعادت للشعر فخامته ورقية الفنى، وكست فنونه وأغراضه ديباجة من القوة والازدهار^(٣)

٦- نشأة علوم العربية :

وضعت في هذا العصر نواة علوم العربية، كعلمى اللغة والنحو . . . وهى الله لهذه اللغة العلماء المخلصين ، الذين ضبطوا شاردها ، ووضعوا لها الضوابط التى تضمن لها العصمة من الخطأ والزلل والضياع من أمثال : يحيى بن يعمر ، وعيسى بن عمر النقى ، وعبدالله بن إسحاق الحضرمى وأبو عمرو بن العلاء وغيرهم .

ومن الطبيعى أن يؤثر هذا النشاط العلمى فى مجالى اللغة والنحو على الأدب والشعر والنقد ، ومن ثم على بروز الكثير من الملاحظات البيانية

^١ - تاريخ النقد والبلاغة ، د/ محمد ز غلول سلام ص ٨١ .

^٢ - النقد الأدبى ، د/ سعد ظلام ٤٦ .

^٣ - من مظاهر النقد الأدبى عند العرب ، د/ رفعت ذكى محمود غففى ص ٩٦ .

والبلاغية وعمقها . فقد وجد الشعراء أنفسهم - لأول مرة- أمام عقول متخصصة فى اللغة وقواعدها ، تعرف أصولها وضوابطها ، وتميز الكلام - جيده من رديئه - تميزا دقيقا .

وقد كان هؤلاء العلماء ينظرون فى أعمال الأدباء والشعراء ، ويتعقبونهم ، ويبرزون ما فيها من أسباب الحسن والجودة أو القبح والرداءة ، وما عسى أن يقع فيه الشعراء من المخالفات لضوابطهم التى وصلوا إليها^(١) . ومن هنا نرى أن نشأة هذه العلوم فى اللسان العربى كانت عاملا قويا فى اتساع مجال النقد الأدبى ، "وذلك لأنها أضافت مقاييس جديدة إلى مقاييسه فى الشكل والوزن والأسلوب ، وتلك المقاييس كانت تهدف إلى احتذاء العرب فى سنن كلامها"^(٢) .

أو بعبارة أخرى كان نقدهم للشعراء الذين عاصروهم أو سبقوهم تطبيقا على ما عرفوا من نهج العرب فى تعبيرهم .

^١ -المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، أ د فوزى السيد عبدربه ص ٩٥، ٩٥ .

^٢ -دراسات فى نقد الأدب العربى د/بذوى طيبانه ص ١٢٥ .

المدارس النقدية فى العصر الأموى واتجاهاتها

تمهيد

كان للنقد الأدبى دوره الرائد فى النهضة الفكرية واللغوية والأدبية فى هذا العصر ، وقد اتخذ أشكالا تتواءم مع كل بيئة من بيئاته وطوائفه من طوائفه ، وكانت هذه الأشكال وتلك الاتجاهات النقدية نتيجة حتمية لأسباب صنعتها كل بيئة من البيئات العربية المختلفة ، وقد استطاعت هذه الأسباب أن تلون النظرات النقدية بطريقة واضحة وأن تؤثر فى الآراء اللغوية تأثيرا واضحا (١) .

وقد ظهرت المدارس الأدبية فى أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية وأطرافها ، وتتوزع معها النقد الأدبى تنوعا ملحوظا ، فمثلا كان للمدرسة الأدبية التى قامت فى المدينة المنورة وأطرافها نمط خاص بها فى التعبير والتذوق الجمالى للأدب وصار لشعراء البادية عشاق ومريدون يؤثرون أسلوبهم ويحبون طريقة تعبيرهم ، وأصبح كذلك لأدباء البصرة والكوفة مذهب يختلفون به عن مذهب شعراء الشام حيث الخلافة التى تملك الإشقاء والإسعاد (٢) .

وما من شك أن اختلاف تلك البيئات الأدبية وغيرها فى العصر الأموى كان له أكبر الأثر فى توجيه الأدب والنقد ورسم اتجاهاته فى نطاق التذوق الجمالى أو التحليل العلمى الذى استند إلى القواعد والأسس الفنية أو إلى العصبية والنزعات القبلية التى حاول حكام بنى أمية أن يثيروها ونجحوا فى ذلك بعد أن كان الإسلام قد أسدل عليها ستار من المحبة والإخاء والتسامح .

١ - مجله كلية اللغة العربية بالقاهرة ، مقال للدكتور إبراهيم محمد قاسم بعنوان " النقد

الأدبى فى ظلال بنى أمية ص ٤٢٠ ، العدد الثالث ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٢ - معالم النقد الأدبى د/ عبدالرحمن عثمان ص ١٢٨ .

لقد برزت فى المجتمع عصبية أخرى كان لها دور واضح فى الأدب والنقد تلك هى العصبية العربية والعصبية الشعبية (١) .

بعد هذا التمهيد الذى ألمحنا فيه لدور النقد فى هذا العصر ، وظهور المدارس الأدبية حسب اختلاف البيئات ، نقول إن المدارس النقدية فى هذا العصر ثلاث مدارس وهى : مدرسة الحجاز ، ومدرسة الشام ، ومدرسة العراق ، وإليك الحديث عن كل مدرسة واتجاهها وأعلامها .

أولاً - مدرسة الحجاز :

وهى مدرسة الغزل وكان النقد فيها مطبوعاً بطابع الذوق الفنى والرفقة ، والروح الإنسانية (٢) ، تبعاً لأدب هذه البيئة الذى شاع فيه ما شاع فيها من رقة وخفة وظرف ، وتذوق رفيع للجمال وأساليب القول (٣) .

يقول الأستاذ أحمد أمين وهو بصدد حديثه عن الحجاز فى العصر الأموى : أنه نشأ فيه أدب رقيق يتفق وروح العصر ، فيه دعابة وفيه وصف للنساء صريح ، وفيه قصص لأحداث الشعراء مع النساء هذا الأدب الجديد فى هذه البيئة اللاهية استتبع كذلك رقياً فى النقد يدل على رقى فى الذوق (٤) . والنقد فى هذه المدرسة غالباً ما اتجه إلى المعانى التى وعها النص ، والتى كان الناقد يعرضها على ذوقه الحضرى ، فيقبل منها ما يراه مؤامراً لهذا الذوق ، وما هو أليق لعاطفة الحب وأنسب لفن الغزل .

١ - مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد الثالث المقال السابق ص ٤٢٠ .

٢ - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د/ محمد زغلول سلام ص ٨٥ .

٣ - دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٤٤ .

٤ - النقد الأدبى ٢ / ٤٢١ للأستاذ أحمد أمين .

وقد اشتهر نقد أصحاب هذه المدرسة بنقد الذواقين تارة وبنقد الشعراء تارة أخرى ، والمراد بالذواقين جماعة النقاد الذين اشتهروا بتذوق الشعر وتدارسه وتقويمه وإبداء رأى فيه وإن لم ينظموه ويقرعوا له ، والمراد بنقد الشعراء جماعة النقاد الذين نقدوا الشعر وهم شعراء وصدرنقدهم عن تجربة شعورية ، وجمع نقدهم بين النظرية والتطبيق .
ومن أشهر النقاد الذواقين فى هذه المدرسة ابن أبى عتيق ، وسكينة بيت الحسين .

أما عن ابن أبى عتيق فقد كان له تميز ظاهر بين نقاد العصر الأموى ، فإذا ما كانت الكثرة الغالبة منهم تنقد الشعر حين تتاح لهم فرصة نقده فقد كان ابن أبى عتيق يخلق هذه الفرصة ويعطى الشعر ونقده نفسه ووقته ما قد يتيح لقائل أن يقول : إنه جعل ذلك شغله ، وتكلم فيه بما يصلح أن يكون أسسا وأصولا ومقاييس فى نقد الأدب ^(١) .

فمثلا نراه يقدم عمرو بن أبى ربيعة ، ويؤثر شعره ، ويفضله على غيره من شعراء مذهبه الغزلى ، ويقول " لشعر ابن أبى ربيعة نوبة بالقلب ، وعلوق بالنفس ودرك للحاجة ، ليست لشعر غيره . وما عصى الله جل ذكره بشعر أكثر مما عصى بشعر عمرو بن أبى ربيعة . فخذنى ما أصف لك : أشعر الناس من دق معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه ، وأثارت معانيه ، وأعرب عن حاجته ^(٢) .

فهذا لون من الملاحظات النقدية والمقاييس الأدبية التى رآها وعرضها ابن أبى عتيق للشعر الجيد والشاعر البارع ، وهى مقاييس هامة ، تكشف عن

^١ - فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش ص ١١٠ .

^٢ - الأغانى ١ / ٥١ ، ٥٢ ط كتاب التحرير .

تطور الوعي النقدي وتقدمه ، وقد صار لها شأنها في مجال النقد ، وكانت درجة ارتقى عليها النقد الأدبي في طريق الموضوعية ، والأسس العلمية .
وأهم الأصول النقدية التي ينبغي مراعاتها في صناعة الشعر ونقده في كلام ابن عتيق السابق هي :

- أثر الشعر في النفوس وتأثيره في القلوب وعلوقه بها وإدراك الحاجة به .
- الشعر الجيد ما أثر في نفس سامعيه حتى يحسوا بما أحس به صاحبه .
- الشاعر المجيد هو من ينقل مشاعره إلى غيره نقلاً أميناً عن طريق افتتانه في تصوير عواطفه وتفننه في إبداع تجربته .
- مخالفة شعر ابن أبي ربيعة لمبادئ الدين والخلق لم تقلل من جماله الفني باعتباره شعراً تجمعت فيه خصائص الشعر الجيد - فيما رآه
- أبان الناقد في الجزء الأخير من النص عن المقاييس الفنية التي يحتكم إليها عند المفاضلة بين الشعراء وهي فيما رأى :

دقة المعنى ، ورقة اللفظ ، ولطفه ، وسهولة المخرج بمعنى : حسن التخلص في الانتقال من غرض إلى غرض ومتانة الحشوأي : ترابط النص وتماسك أجزائه . وهذه المقاييس النقدية لا يستهان بها في مثل ذلك العصر (١) .
فالرؤية النقدية للشعر عند أبي عتيق فن مبعثه ومنبته الذوق غايته التكيف مع العمل الفني وإدراك معطياته الحضارية والجمالية ، وهي فن المتعة والتذوق والتأثير . وهذا أسمى ما وصل إليه النقد الحديث .

وبهذا يكون قول ابن أبي عتيق قد شمل العمل الفني من جوانبه حيث ألمح إلى الجانب النفسي في شقه الأول ، وأدرك الجانب الحيوي للعمل في شقه

١ - النقد الأدبي د/ محروس منشاوي الجالي ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

روى أنه اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية نصيب وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص ، فادعى كل منهم أن صاحبه أشعر ثم تراضوا بسكينة فأتوها فأخبروها فقالت لصاحب جرير : أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا .: حين الزيارة فارجمى بسلام

وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق ، قبح الله صاحبك وقبح شعره

ثم قالت لصاحب كثير : أليس صاحبك الذى يقول :

يقرب بعينى ما يقرب بعينها .: وأحسن شئ ما به العين قرت

كأنى أناذى صخرة حين أعرضت .: من الصم لو تمشى بها العصم زلت^(١)
فليس شئ أحب إليهن ولا أقرب لأعينهن من النكاح ، أفيحب صاحبك

أن ينكح ، قبحه الله وقبح شعره .

ثم قالت لصاحب جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها .: ولكن طلا بيها لما فات من عقلى . الخ

ما أرى لصاحبك هوى ، إنما يطلب عقله ، قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم

قالت لصاحب نصيب : أليس صاحبك الذى يقول :

أهيم بدعد ما حيت فإن أمت .: فوا حزانى من ذا يهيم بها بعدى

كأنه يتمنى لها من يتعشقها بعده ، قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ألا قال :

أهيم بدعد ما حيت فإن أمت .: فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لصاحب الأحوص : أليس صاحبك الذى يقول :

من عاشقين توأصلا وتواعدة .: ليلا إذا نجم الثريا حلقا

^١ - العصم من الظباء والوعول : مافى ذراعه أو فى إحداهما بياض وسائر أسود أو أحمر

باتا بأنعم عيشة وألذها .: حتى إذا وضح النهار تفرقا

قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ألا قال : تعانقا (١).

ونقد سكينه هذا - نقد ذوقى يائرى - انصب على معانى الأبيات التى صورت عواطف المحبين فى تلك البيئة المترفة ، التى كثرت فيها شعر الغزل كما كثرت مدارسته ونقده ، وموقفها من الأبيات السابقة يتلخص فى عدم تجاوب أحاسيسها مع ما تضمنته الأبيات من معان بعدت عن المشاعر الصادقة والعواطف الحارة من وجهة نظرها (٢) - وهذا لون من النقد التأثرى الذى يعوزه التعليل المفصل لما أصدره من حكم ، والذى يرفض شعر الشاعر أو يقبله من خلال بيت أو مجموعة من الأبيات دون أن يستقصى شعره فى مجموعته .

ولعل طبيعتها - كأنثى عفيفة - أثرا فى مثل هذا النقد الذى رفض شعر هؤلاء الغزليين ، لأن معانيه لم تتجاوب مع كبرياتها ومع ما تحمله من عواطف تشدها فى كل ما يعرض عليها من شعر الغزل العفيف ، الذى يصور عاطفة الشوق الصادقة و الصباية البريئة .

على أنها جانب الصواب فى نقدها - بيتى الأحوص الأخيرين - من منطق احتكامها إلى طبيعة المرأة هذه ، حيث أنكرت عليه قوله :- تفرقا- مع أن التفرق نتيجة موائمة لسياق الأحداث ، ومتفقة تماما مع مقدماتها ، وقد أثرت عليها كلمة - تعانقا- حتى ترضى نزعة الكبرياء فى المرأة الحرة الكريمة - ممن كانت على شاكلتها .

١ - المشرح ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

٢ - الموازنة بين الشعراء د/ زكى مبارك ص ٩ وما بعدها ط ٢

وإلا فما فائدة التعانق في وضح النهار وبعد انصرام ليل طويل نال فيه العاشقان مرادهما وظفر ببغيتهما ؟

اللهم إلا إذا كانت تقصد دوام الحب بين العاشقين واستمرار الوصل بينهما استمرارا يستحيل معه الفراق (١) .

ومن النقاد الشعراء الذين جمعوا بين قول الشعر وتذوقه كثير وهو من أصحاب الغزل العفيف في بدو الحجاز اجتمع بعمر بن أبي ربيعة شاعر مكة الحضري، من أصحاب الغزل المادي الصريح ، ووجه إليه النقد على قوله :

قالت لها أختها تعاتبها .: لا تفسدن الطواف في عمر

قومي تصدى له لأبصره .: ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها : قد غمزته فأبى .: ثم اسبطرت (٢) تشتد في أثرى

يوجه كثير النقد لعمر بن أبي ربيعة على هذه الأبيات قائلا :

(أهكذا يقال للمرأة ؟ إنما توصف بأنها مطلوبة ممتعة) (٣) .

وذوق كثير الذي تربى على الشعر العربي ، وعلى الغزل العربي ، وعرف ما تستحسنه العرب في المرأة وما تستقبحه ، وما ينبغي أن توصف به الحرة هو الذي حمله على هذا النقد ، ما يزال ذوق العربي حتى عصرنا الحاضر تستحسن أن توصف المرأة بالحياه والإباء والخجل و الامتناع ، ولا يستسيغ أن تكون المرأة طالبة تغازل الرجل وتنشط في التصدى له ، أما هو فيأبى ويجري أمامها (٤) .

١ - النقد الأدبي د/ محروس منشاوي الجالي ص ١٧١ ، ١٧٢ .

٢ - اسبطرت : نشطت .

٣ - العمدة ٢ / ١٢٤ .

٤ - الذوق الأدبي / د عبد الفتاح على عفيفي ص ٣٢ .

وكثير فيما عابه على عمر بن أبي ربيعة يعتمد على ذوق العربي الذي يأبى أن تصور المرأة الإلتصاف بالحياة والتمتع وما إلى ذلك من صفات المثالية .

ثانيا مدرسة الشام :

وهي مدرسة المدح ، وحوله قامت حركة نقدية في قصور الخلفاء وأنديتهم ، كذلك التي قامت في الحجاز حول الغزل .
والنقد هنا كما في الحجاز يعتمد على الذوق الفطري المصقول بطول النظر في الشعر ، واستيعاب نماذجه ، وتمثل طرائق العرب في التعبير والتصوير (١) .

والنقد في هذه المدرسة غالبا ما اتجه إلى تقييم الحركة الشعرية على ضوء اقترابها وابتعادها عن القيم الفنية الموروثة وبخاصة في شعر المدح (٢)
وبهذا كان النقد ينحو منحى اتباعيا تأثريا ، حيث جناح النقاد في كثير من نظراتهم النقدية أو لمحاتهم الذوقية التي أبدوها ، إلى مدى ماظفر به البيت أو الأبيات من اتباع للنماذج القديمة من حيث إصابة المعنى ودقة الوصف والتعبير عن الغرض (٣) .

وكان الخلفاء أنفسهم هم عمد هذه المدرسة ولا سيما الملك بن مروان على رأس خلفاء بني أمية في مجال النقد والمناقشة ، وكان صاحب ذوق أدبي راق يقصده الشعراء بمدحهم فيدقق في معاني شعرهم بذوقه اللطيف وحسه الرهيف ، الذي كان ينفذ إلى أعماق النص يكشف عن جماله أو يبين رداءته .

١ - دراسات في النقد الأدبي د/ حسن جاد ص ٤٤ .

٢ - عن اللغة و الأدب والنقد د/ محمد أحمد العزب ص ٢٨٢ ط دار المعارف .

٣ - النقد الأدبي د / محروس منشاوي الجالي ص ١٥٧ .

ومن صور نقده مارواه صاحب الموشح من أن الراعى النميرى أنشده قصيدته
التي منها قوله :

أخليفة الرحمان إنا معشر :: حنفاء نسجد بكرة وأصيلا

عرب نرى لله فى أموالنا :: حق الزكاة منزلنا تنزيلا

فقال عبد الملك " ليس هذا شرح إسلام وقراءة آية " (١).

ويفيد هذا التعليق أن عبد الملك لم يقبل من الشعر ما كان تقريراً
لمسائل دينية أو خلقية فليس هذا وظيفة الشعر ، وإنما هو : شعور و إحساس
يعبر عنهما فى بيان جميل ونعم بديع وتصوير مفتن ، أما ما قاله الراعى فليس
شعراً ، لأنه لاعاطفة فيه ولاشعور وإنما هو تقرير لحقائق يعرفها العامة .
- ومنها أن كثير أنشده مادحا قوله :

على ابن أبى العاصى دلاص حصينة :: أجاد السدى سردها وأذالها

يئود ضعيف القوم حمل قتيورها :: ويستنضلع القرم الأشم احتمالها (٢).

فقال عبد الملك : قول الأعشى لقيس بن معد يكرب أحب إلى من قولك ، إذ
يقول :

وإذا تجبئى كتيبة ملمومة :: شهباء يخشى الزائدون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة :: بالسيف تضرب معلما أبطالها (٣)

١ - المرشح ص ٢٠٧ .

٢ - دلاص : دروع لينة براقه ملساء ، السدى : صانع السداه قرينة اللحمه فى نسج الثوب ،
سردها : نسجها ، أذالها : أطال ذيلها وهومما يستحسن فى الدروع ، يئود : يتقل ويصعب ،
قتيورها : مسامير الدرع أو الرع نفسها ، القرم : السيد العظيم ، الأشم : المرتفع .

٣ - شهباء : صافية الحديد ، نهال : الرماح المتعطشة للدماء ، الجنة : الدرع الواقية ، معلما
: متحديا أعداءه إذ يعلمهم بمكانه فى الحرب

فقال : يا أمير المؤمنين : وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغريب ،
ووصفك بالحزم والعزم ، فأرضاه . (١)

ومن الواضح أن كثيرا وصف عبدالملك بن مروان بأنه يحتاط لنفسه
في الحرب بدليل أنه يلبس درعا حصينة محكمة الصنع يتقل حملها على
الضعيف ، والاحتياط من صفات ذوى الحزم والعزم والعقل وبعد النظر .

غير أن عبدالملك بن مروان - ولا بد أنه لحزمه وعزمه وبعد نظره
كان يدخل المعركة محتاطا لها - لا يرضى بهذا الوصف الذى يطابق واقعه ،
وإنما يريد من الشاعر أن يبالغ فى شجاعته فيصوره محاربا باسلا يتقدم جنوده ،
ويتحدى أعداءه ، غير حذر ولا محتاط إذ لا يرتدى درع الوقاية ، ولا يتخفى
عن القوم بل يعلمهم بمكانه ويمض يجندل الأبطال من أعدائه (٢) .

- ومنها ما أورده صاحب الأمالى من أن كثير عزة دخل على
عبدالملك بن مروان فقال له . أنت كثير عزة ؟ قال : نعم ، قال أن تسمع
بالمعبدى خير من أن تراه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كل عند محله رحب الفناء ،
شامخ البناء ، على السناء ، ثم أنشأ يقول :

ترى الرجل النحيف فتزدرية .: وفى أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطير إذا تراه .: فيخلف ظنك الرجل الطير
بغاث الطير أطولها رقابا .: ولم تطل البزاة ولا الصقور
خشاش الطير أكثرها فراخا .: وأم الصقر مقلات نزور
ضعاف الأسد أكثرها زئيرا .: وأصرمها اللواتى لا تزيرو . الخ

١ - الموشح ص ١٩٢ .

٢ - الذوق الأدبى د/ عبد الفتاح على عفيفى ص ٣٦ .

فقال عبد الملك : " لله دره ، ما أفصح لسانه ، وأضبط جنانه ، وأطول عنانه ،
والله إنى لأظنه كما وصف نفسه ' (١) " .

وإعجاب عبد الملك بأبيات كثير مرده إلى فصاحة الشاعر في تصوير
معانيه وصدقته في وصف هذه المعاني وصفا قوامه ترتيب الفكر وإجادة التعبير
عنه .

- ومنها ما روى أنه كان ذات ليلة في سمره مع أهل بيته وخاصته ،
فقال لهم : ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر ، وليفضل من رأى
تفضيله فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم : امرؤ القيس ، وقال بعضهم : النابغة ،
وقال بعضهم : الأعشى ، فلما فرغوا قال : أشعر هؤلاء والله عندي الذي يقول
: ثم أنشد شعرا لمعن بن أوس من قصيدة التي مطلعها :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه .: بحلمى عنه وهو ليس له حلم
يحاول رغمى لا يحاول غيره .: وكالموت عندي أن يحل به الرغم
فإن أعف عنه أغض عينا على قذى .: وليس له بالصفح عن ذنبه علم
صبرت على ما كان بينى وبينه .: وما تستوى حرب الأقارب والسلم .: (٢) الخ
فهذه النماذج التي سقنا لعبد الملك بن مروان تدل على أنه كان أدبيا
ناقدا عالما بما قاله الشعراء في المعاني المتنوعة قديما وحديثا ، ذا بصر بمسالك
الشعراء وطرائفهم في المدح ، يعتمد على الذوق في إدراك أسرار الجمال
ومعرفة مواطنه ، وبهذا كان نقده نقد عليم بالأدب ، خبير بأحوال النفوس ،
قادر على التعمق في فهم الشعر وتدقيقه .

١ - الأمالى لأبى على القالى ٤٦/١ ، ٤٧ .

٢ - نفس المرجع ١٠٢/٢ .

ثالثاً : مدرسة العراق

الشعر فى هذه المدرسة يشابه الشعر الجاهلى فى موضوعه وفحولته وأسلوبه ، فالفخر بالأصول والعصبية والصراع بين الشعراء خلف لنا شعر النقائض والأراجيز ، واحتذاء النمط الجاهلى خلف لنا نوعاً من النقد يفاضل بين الشعراء ويوازن بين الأعمال الشعرية ، ويميز بين طرائق التعبير على أساس من فحولة الأسلوب . . . ونمو الحركات السياسية ، خلف لنا نوعاً من الشعر الذى يرفض التوجه للأمراء والتمسح بالملوك واستجداء المال بالمدح - كما فى الشعر الخارجى - نمت إلى جواره حركة نقدية مالت إلى تقييم الشعر على ضوء التزامه بالقيم الدينية والخلقية (١) .

ولا ننسى أن بيئة العراق بيئة علمية ثقافية امتزجت فيها الأصول العربية والأصول الأجنبية ولذلك تأثرت هذه المدرسة بالمنهج العلمى الذى اعتمد فيه نقادها غالباً على قواعد النحو وأصول اللغة ، يقيسون الأدب بمقاييسها ، ويحاولون أن يخضعوا الشعراء لها .

تلك هى مدرسة اللغويين فى العراق التى غلب عليها الطابع اللغوى والنحوى ، وإن لم تهمل الجوانب المعنوية والتعبيرية الأخرى .

ولم يكن هؤلاء العلماء النقاد من اللغويين والنحويين ، على درجة واحدة فى التزام المقياس العلمى ، فالحق أن منهم من كان نقده يقوم أساساً على الأصول المقررة فى اللغة والنحو والعروض . ومنهم من يميل إلى الأصول

١ - عن اللغة والأدب والنقد د/ محمد أحمد العزب ص ٢٨٢ ، وراجع النقد الأدبى لأحمد

أمين ٤٢٤ وما بعدها .

الأدبية الفنية فى التعبير والتصوير (١)

وهؤلاء العلماء قد أفادوا النقد الأدبى من جهات ثلاث :

الأولى : أنه كانت لهم آراؤهم القيمة فى نقد الشعر والحكم على

الشعراء حكما يستند على بعض الأصول والأسس الموضوعية

والثانية : أنهم جمعوا كل ما قاله الأدباء والنقاد قبلهم فى الشعر

والشعراء (٢) .

والثالثة : إنه يعزى إلى هؤلاء الفضل فى رواية الخصومات التى

قامت حول كبار الشعراء - فيما بعد - وذكر الحجج التى كان يوردها أنصار

كل شاعر فى تفضيله (٣) .

والنقد فى هذه المدرسة قد اتجه اتجاها لغويا ، فاتجه إلى اللفظ من

وجهته الإعرابية . ومن جهة الأوزان والقوافى . وتعمقوا كذلك فنقدوه من

ناحية الصياغة والصناعة والثقافة . ثم زاد التعمق والفهم للشعر والشعراء

فكان التنويع والمتعة ولذة الموسيقى والإحساس بألوان من الصياغة منها ما

هو رقيق سهل ، ومنها ما هو صعب متلو ، وعرفوا أنواع المعانى الصائبة

الفاسدة .

ومن أشهر نقاد هذه المدرسة : أبو عمرو بن العلاء والحضرمي

وعنيسة الفيل ، وحماد الراوية ، وخلف الأحمر ، والأصمعي ، وأبو عبيدة

والمفضل الضبي وغيرهم مما سنذكرهم أثناء النماذج التالية .

١ - دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٤٥ ، وراجع تاريخ النقد الأدبى عند العرب

للأستاذ طه أحمد إبراهيم ص ٥٠ .

٢ - النقد الأدبى د/ محروس منشاوى الجالى ص ١٩٤ .

٣ - الموازنة بين أبى تمام والبحترى للأمدى فى مواضع متفرقة .

- روى صاحب الموشح : أن عيسى بن عمر أخذ على النابغة الذبياني تورطه في قوله :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة .: من الرقش فى أنيابها السم نافع
حيث قال : صحته (ناقعا) بالنصب على الحال (١) .
ومثله تخطئه أبى عمرو بن العلاء ابن قيس الرقيات فى بيته:

تبكيكم أسماء معولة .: وتقول ليلي وارزئتيه
بقوله : كان ينبغى أن يقول : وارزئناه ، كما تقول : واعماه وأخياه (٢) .
وكان أبو عبدالله الحضرمي النحوى شديد التعقب لشعر الفرزدق فنقده فى بيته:
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع .: من الناس إلا مسحتا أو مجلف

بأنه عطف الموفوع وهو " مجلف " على المنصوب (مسحتا)
وهذه النماذج ومثلها كثير فى تراث النقاد والعلماء فى ذلك العصر ، قد
انصبت على قواعد الإعراب فى الأبيات ، حيث عاتب فيها ماخرج على أصول
تلك القواعد ، التى وضعها العلماء بعد استقراءهم كلام العرب الخالص ، وهو
نقد نحوى ، ويتمثل فى تخطئة الشعراء فى قواعد الإعراب .
ومما يتصل بنقد العلماء فى ذلك العصر تناولهم الشعر من ناحية
موسيقاه " الوزن والقافية " فأحصوا على الشعراء هفواتهم فى هذا العنصر من
عناصر الشعر ومن ذلك : ملاحظة يونس بن يونس بن حبيب من كثرة الإقواء
فى شعر جرير كقوله :

عرين من عرينة ليس منا .: برئت إلى عرينة من عرين

١ - الموشح ص ٤٢ .

٢ - نفس المرجع ص ٢٤٢ .

عرفنا جعفرًا وبنى عبيد .: وأنكرنا زعانف آخرين (١)
فالنون " في عرين " مكسورة ، وقد كسر من أجلها نون (آخرين)
لمناسبة حركة الروى وصحتها الفتح (٢) .
ولم يتوقف نقد أصحاب هذه المدرسة عند الأصول الفنية التى تتصل
بالنحو واللغة والعروض ، بل تعداه إلى الأصول الفنية التى تتصل بالأدب ،
ونورد نماذج من نقدهم يتبين من خلالها نظرتهم إلى الأصول الفنية
- ذكر صاحب الموشح بسنده أن الأصمعى قال : قرأت على خلف شعر
جرير - فلما بلغت قوله :

ويوم كأبهام القطاة محبب .: إلى هواه غالب لى باطله
رزقنا به الصيد الغرير ولم نكن .: كمن نبه محرومة وحبائله
فيالك يوما خيريه قبل شره .: تغيب واشيه وأقصر عاذله
فقال : وبه : وما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ قلت له . هكذا قرأته على أبى
عمرو ، فقال لى : صدقت وكذا قال جرير ، وكان قليل التقيق مشرد الألفاظ
وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، فقلت ، فكيف يجب أن تقول ؟ قال :
الأجود له لو قال : فيالك يوما خيريه دون شره ، فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة
قديمًا تصلح من أشعار القدماء ، فقلت : والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا" (٣) .
فنقد خلف بيت جرير تناول عنصرين من عناصر الشعر هما ،
المعنى الذى تورط فيه جرير وجانب الصواب فيه ، واللفظ الذى لم يحكم جرير

١ - الموشح ص ١٧٥ .

٢ - راجع: تاريخ النقد العربى ص ٩٥ د/ محمد زغلول سلام

٣ - الموشح ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

صنعتة وسبكه وهو نقد فنى دقيق (١) .

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول فى شعر ذى الرمة : " إنما شعره نقط عروس : يضمحل عن قليل (٢) ، وأبعاد ظباء : لها مشم فى أول شمشها (٣) ثم تعود إلى أرواح البعر (٤) .

فقد شبه شعر ذى الرمة بنقط العروس الذى يذهب بالغسل ، وبأبعاد الظباء التى لها رائحة مقبولة من أثر النبات الطيب الذى تأكله ، ثم لا تلبث أن تزول أى أن شعره حلو أول ما تسمعه ، فإذا كررت إنشاده ضعف ، بمعنى أنه غير عميق الأثر فى النفس وإنما هو كالشئ البراق يعطى دفعة واحدة كل ماله من رواء . وقد رأى الأصمعى فى شعر ذى الرمة مثل هذا رأى فى قوله " إن شعر ذى الرمة حلو أول ما نسمعه فإذا كثر إنشاده ضعف ، ولم يكن له حسن . . . إلخ (٥) .

ومن هنا نرى أن أبا العلاء يهتدى من خلال حديثه عن ذى الرمة إلى أن حلاوة اللفظ وخلاصة الصورة لا تكفيان وحدها فى الحكم بالجمال للشعر ، بل لابد من أن تكمن فيه عناصر ذاتية يبقى بها جديدا على طول الإنشاد ، وبهذا يجمع بين الشكل والمضمون فى الصورة الشعرية .

١ - النقد الأدبى د/ محروس منشاوى الجالى ص ٢٠٠ .

٢ - نقط عروس : ما تنقط به المرأة خدها من السواد تجعله كالخال على خدها ، تتحسن بذلك ، وهو سريع الزوال ، وربما أراد ما تظلى به من الزعفران عند العرس .

٣ - مشم : يعنى رائحة طيبة تسم ، وبعر الظباء طيب الرائحة مادام رطباً لما تأكل من الشبج والقيصوم والنبات الطيب الريح ، فإذا جف كان كسائر البعر .

٤ - طبقات فحول الشعراء ٥٥١/٢ ، والموشح ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

٥ - الموشح ص ٢٢٤ .

وذكر أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان عدى بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم ، يعارضها ولا يجري مجاريها ، والعرب لاتزوى شعره ، لأن ألفاظه ليست بنجدية ، وكان نصرانيا من عباد الحيرة قد قرأ الكتب (١) .

وقال الأصمعي : " كان عدى لا يحسن أن ينعت الخيل ، وأخذ عليه قوله في صفة الفرس " فارها متتابعاً " وقال لا يقال للفرس " فاره " إنما يقال له ' جواد " وعتيق " (٢) الخ .

فعدى في نظر الأصمعي مقصر في وصف الخيل وحاول الأصمعي أن يدل على نقده بالمثل الذي ذكره من كلام عدى . وهناك نظرات نقدية كثيرة تتسم بالدقة والعمق أثرت عن الأصمعي ، ومن أهمها الصلة بين الشعر وبيئته الاجتماعية وذلك حينما نظر في شعر حسان بن ثابت (٣) ، وأنه في الإسلام أضعف منه في الجاهلية ، لأن الشعر قائم على الأهواء والشر ، فإذا دخل في الخير ضعف . وكأن الشعر في رأى الأصمعي صدى للحياة الاجتماعية ، فالأصمعي حرص على تدعيم الصلة بين شعر حسان والحياة الاجتماعية في عهده .

سمات وخصائص النقد في العصر الأموي :

١- اتسع نطاق النقد في هذه الفترة وكثر الخائضون فيه حتى شمل الشعراء والأدباء والسوقة والملوك والرجال والنساء ، مما جعله تنصب فيه أدواق مختلفة كثيرة ومما وسع آفاقه وعدد جوانبه

١ - الشعر والشعراء ١/ ٢٣٦ .

٢ - نفس المرجع والصفحة .

٣ - يرجع لكلام الأصمعي في موقف الإسلام من الشعر من هذا الكتاب .

٢- تشعب القول في هذا النقد ، وتعددت نواحيه بتعدد الأغراض التي برزت في هذا العصر فهناك نقد انصب على الغزل في بيئة الحجاز ، وآخر انصب على المديح في بيئة الشام ، وثالث تناول الفخر والهجاء في بيئة العراق (١) .

٣- رسم هذا النقد لبعض أغراض الشعر طريقها ، وألم بجوانب هامة من أدبها فالنقاد الحجازيون وضعوا للغزل رسوما ، فسكينة ابنه الحسين تأخذ على جرير سوء معاملته لطيف المحبوبة ، وكثير يستنكر على عمر أن يفضح الحرائر وعمر يستنكر على كثير مالمصة بمحبوبته من مسخ وجرب وطرده .

والنقاد الشاميون وضعوا للمديح أدبه فدعوا إلى سلامة مطالع القصائد ، وبينوا أن ما يمدح به الملوك غير ما يمدح به الآخرون ، فالملوك يوصفون بالرزانة والرصانة وأصالة الرأي وعدم الجزع عند الحوادث وعلى هذا فليس لمادح أن يمدح الخليفة العظيم بصباحة الوجه وجمال المحيا وانتلاف التاج على المفرق .

٤- النقد الأموي التفت إلى بواعث الشعر عند الشاعر وأثرها في تجويد فن دون آخر ، فغفه جرير أورثته هذا النسيب الرقيق الذي يبكي العجوز على شبابها والشابه على أحبابها ، وفجور الفرزدق هو الذي جعله لا يحسن من هذا النسيب ما يحسنه جرير وبهذا ظهر اتجاه (النقد الشعوري) إلى جانب النقد التذوقي ، وهو خطوة متقدمة ، ومظهر جديد في النقد الأدبي في العصر الأموي (٢) .

١ - رحلة مع النقد الأدبي د/ فخرى الخضراوى ص ٨١ وما بعدها ط دار الفكر العربي .

٢ - من مظاهر النقد الأدبي عند العرب د/ رفعت زكي محمود عفيفي ص ١١١ .

٥- بنى النقد فى العصر الأموى على الذوق الفطرى وخاصة فى بيئة الحجاز، وقد عملت البيئة والحضارة فى تهذيبه، وأقيم على الطبع والسليقة ومن ثم كان التعليل فيه فطرياً ساذجاً بعيداً عن روح العلم والمنهج.

٦- اتجه النقد بصفة عامة إلى الوضوح والسهولة، واتسم بالأصالة الفنية والعمق فى فهم النصوص، وعلى ضوء الذوق المثقف الذكى، أو التعليل العلمى . (١)

٧- ظهور اتجاهات جديدة فى النقد، تتجه إلى المعانى والأفكار والتصوير وتصحيح الخيال لدى بعض الشعراء، كما رأينا فى تصحيح خلف لرواية جرير (خيرته قبل شره) إلى خيرته دون شره.

الفصل الخامس

النقد في العصر العباسي

النقد في العصر العباسي

تمهيد

العصر العباسي هو عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل ولا من بعد أثمرت فيه الفنون الإسلامية وزهت الآداب العربية ، ونقلت العلوم الأجنبية ونضج العقل العربي فوجد سبيلا إلى البحث ومجالا للتفكير . وملوك هذه الدولة ينتمون إلي العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، انتزعوا الخلافة قسراً من يد الأمويين بمعونة الفرس ، وأقاموا عرشها بالعراق ، وتبوأ منهم سبعة وثلاثون خليفة في خمسة قرون وبعض قرن ، حتى ثلّ ذلك العرش هلاكو سنة ست وخمسين وستمائة (١) .

ومنذ هذا العصر تقريباً شرع النقد الأدبي يخطو خطوات جديدة في سبيل تكوين بنانه وإقامة منهجيته ، بحكم اتجاهه نحو الثقافة يأخذ منها ما يدعم الطبع ويصقل الذوق وينمي ملكة التقويم ، وقد أخذ أعلامه الذين تخصصوا في ممارسته يصدرون في أحكامهم عن ذوق تدعمه المعارف وتغذيه الثقافات على الرغم من تباين منازعهم وتفاوت ثقافتهم واختلاف اتجاهاتهم ، بيد أنهم التقوا جميعاً في نقطة واحدة هي : النهوض بهذا الفن الجميل والسير به قدماً نحو التكوين والتكامل (٢) .

يقول الأستاذ أحمد أمين : " إذا وصلنا إلي النقد في العصر العباسي رأينا إمعاناً في الحضارة والترف ، رأينا الشعر والأدب يتحولان إلي فن

- تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ٢١٠ ط نهضة مصر .

- النقد الأدبي د/ محروس منشاوي الجالي ص ٢٠٣ .

وصناعة بعد أن كانا يصدران عن طبع وسليقة ، حتى لنرى كثيراً من الكتاب والشعراء من الموالي الذين عدوا عرباً بالمربي ، ورأينا الثقافات الأجنبية تتدفق على المملكة الإسلامية من فارسية وهندية ويونانية ، ورأينا كل مجموعة من المعارف تتحول إلى علم حتى اللغة والنحو والصرف فكان طبيعياً أن يتحول الذوق الفطري إلى ذوق متقف ثقافة علمية واسعة ، وأن يتأثر النقد الأدبي بهذه الثروة العلمية والأدبية الواسعة " (١)

عوامل ازدهار النقد في العصر العباسي

١- غزارة الثقافة وتعدد روافدها وتنوع ألوانها :

ازدهرت الحياة الثقافية في هذا العصر ازدهاراً كبيراً ، وتلاقت في الحواضر الإسلامية شتى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة في العلم والثقافة (٢) ، وقد أزكى الإسلام جذوة المعرفة في نفوس العرب ، ودفعهم دفعا إلى العلم والتعلم ، ولم يمض نحو قرن حتى وضعت أصول العلوم اللغوية والدينية .

بدأت الثقافات الأصلية والوافدة تتفاعل في العقول ، وتحدث تحولا كبيرا في الذوق ، وقد شمل هذا التحول الشعر فبدأ يتجه إلى الثراء والوحدة ، والشاعر الذي بدأ يحدد لنفسه إطاراً فنياً ينظم فيه ، وفلسفة خاصة يشعر خلالها . كم برزت اتجاهات فنية استقطبت بعض الشعراء فتحمسوا لها وأقبلوا عليها كمذهب البديع أو شعراء الصنعة ، وكمذهب الشعراء المطبوعين

١ - النقد الأدبي للأستاذ أحمد أمين ص ٤٣٥ .

٢ - تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول د / محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٣ ط مكتبة

أول الشعراء العرب الذي وقف عند قمته البحتري ، وبدأ الشعراء ينقلون ما وعته ذكرتهم من فكر غربي إلى سياحة الشعر العربي كما فعل أبو العتاهية (١) ، كما شملت الناقد الذي بدأ يلاحظ الظواهر ، والقضايا ويبحثها بموضوعية ويبيدي آراءه فيها على أساس من اتجاهاته وميوله ومعتقداته الفكرية ، ويحلل ويعلل ليصل إلى أحكام واستنتاجات مفيدة (٢) .

وقد أثرت هذه الثقافات في النقد تأثيراً كبيراً وكانت من أقوى عوامل ازدهاره لأنها وجهته لمعيشة قضايا عصره ، وجعلته يبعد عن اللمحات والآراء العاجلة ، وانتحى ناحية منهجية في موضوعية وتحديد.

كما كانت هذه الثقافة بما أودعته العقل من ثراء بداية مرحلة نقدية جديدة من اليقظة والوعي والتجديد ، فلم يعد النقد أو الناقد يعبان بالآراء المتفرقة أو المبعثرة . بل راح يصيب آراءه ، ويسجل أفكاره وانطباعاته في إطار فلسفي يلزمه في وعي وتحديد (٣) .

٢- عناية الخلفاء والأمراء بالشعراء :

احتفظ الخلفاء والأمراء ولاسيما في الصدر الأول من العصر العباسي بأعظم خصائص العروبة ، وهي حب الشعر وتقدير غرر الكلام ، والقدرة على تمييز جيده من رديئة ، ونقد ألفاظه ومعانيه بحاستهم الفنية وأذواقهم المرهفة ، وبقيت لهم مع ذلك أريحياتهم وسخاؤهم ، فأطلقوا أيديهم بالعطاء

١- راجع الأغاني ٢ / ٤٤٩ وما بعدها .

٢- النقد الأدبي د / سعد ظلام ص ١٧٥ .

٣- المرجع السابق نفس الصفحة .

للشعراء ، كما كان يفعل بنو أمية ، وكان لهذا البذل أبعد الأثر في رواج الشعر ونقده ، والتصرف في فنونه (١) .

وجالس الخلفاء عدداً من الشعراء أنسوا فيهم رقي الأسلوب، وحلاوة العبارة وسمو الأفكار وروعة المعاني، إضافة إلى مالها من تشجيع هؤلاء الشعراء، وميولهم التي تواكب الاتجاهات السياسية لخلفاء بني العباس، مما جعل مجالس الخلفاء تزدان وتردهي بفحول الشعراء، الذين ذهبوا إلى شعرهم وجودونه وينقحونه حتى ينالوا به الحظوة لدى الخلفاء والأمراء، وبالتالي يحصلون على عطاياهم. وقد كان للخلفاء والأمراء في المجالس دورهم في نقد الأدب، فهم يستجيدون ويوازنون بين قول وآخر ، وقد يكون للعلماء وجود فيدلون بأرائهم اللغوية والنحوية ، فقد اشتهر أن الأحفش كان يحضر بعض هذه المجالس ، ويدلي برأيه فيها (٢) ووجد في قصور الخلفاء لون آخر كان له بعيد الأثر في تطور النقد الأدبي ، ألا وهو الغناء الذي انتشر في ذلك العصر انتشاراً واسعاً ، وأدت الألحان والموسيقى دوراً كبيراً في استحداث أوزان جديدة ، ومحو بعض الأوزان القديمة للشعر العربي ، وقد عرض النقاد لهذه الأوزان وسجلوها .

" وقد كثر المغنون والمغنيات في هذا العصر كثرة مفرطة ، نجد من أشهرهم في زمن الرشيد : إبراهيم الموصلي ، وإسماعيل بن جامع وفليح ابن

١- دراسات في نقد الأدب العربي . د / بدوي طبانة ص ٢٧ ، ١٢٨ .

٢- من مظاهر النقد الأدبي عند العرب د / رفعت زكي محمود عفيفي ص ١١٦ .

أبي العوراء ، وهؤلاء الثلاثة ، هم الذين أمرهم الرشيد أن يختاروا له الأصوات المائة التي أدار أبو الفرج كتابه الأغاني عليها (١)

٣- الخصومة حول الشعراء :

من العوامل التي أشعلت جذوة النقد وأذكت وطيسه في ذلك العصر خصومة النقاد حول بعض الشعراء العباسيين ، ما بين متعصب لشاعر أو متعصب عليه ، فلقد عمت شهرة بعض الشعراء وحميت المناقشات حول مذهبهم في مجالس الأدب وبين النقاد .

ولم يقف الأمر عند تلك المناقشات بل تعداه إلى تأليف الكتب في نقد شاعر لإتصافه من التحامل الذي وقع عليه ، أو لتجهين شعره والخط من مذهبه ، وقد حظى كل من أبي تمام وأبي الطيب المتنبي ما لم يحظ به غيرهما من خصومات حادة ومناقشات صاحبة حول شاعرية كل منهما وشعره ، إلى حد فاق الاعتدال أحيانا إلى التعصب لأحدهما أو التعصب عليه (٢) ، فمنهم من تعصب لأبي تمام ومنهم من تعصب عليه .

ونظر النقاد كذلك إلى شعر البحتري وسهولته وجريانه على عمود الشعر فقارنوه بأبي تمام وكثرت في ذلك الأقوال والحجج ، حتى وضع الأمدى كتابة الموازنة بين الطائيين ، الذي لم يقتصر فيه على إيراد حجج كل فريق ، بل أخذ في دراسة الشاعرين والموازنة بينهما في منهج تفصيلي منظم (٣) .

١ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي د / شوقي ضيف ص ٦٠ ط. دار المعارف التاسعة .

٢ - النقد الأدبي د / محروس منشأوي الجالي ص ٢٢٥ .

٣ - النقد المنهجي عند العرب د / محمد مندور ص ٩١ ، وراجع الموازنة للأمدى .

وأما الخصومة حول المتنبي لم تكن خصومة حول مذهب شعري كما كانت عند أبي تمام ، وإنما كانت خصومة حول شاعر أصيل ، وهي ليست في شئ استمرار للخصومة حول أبي تمام ودليلنا على ذلك هو ما نجده في أقوال صاحب الوساطة إذ يقول : " وما زلت أرى أهل الأدب منذ ألحقتني الرغبة بجمالهم ، ووصلت العناية بيني وبينهم ، في أبي الطيب أحمد ابن الحسين المتنبي - فنتين : من مطنب في تقريظه منقطع إليه بجملته ، منحط في هواه بلسانه وقلبه ، يلتقي مناقبه إذ ذكرت بالتعظيم ، ويشيع محاسنه إذا حكيت بالتفخيم ، ويعجب ويعيد ويكرر ، ويميل على من عابه بالزراية والتقصير ، ويتناول من ينقصه بالإستحقار والتجهيل ، ... إلخ ، وعائب يروم إزالته عن رتبته فلم يسهل له فضله ، ويحاول حطه عن منزلة بوأه إياها أدبه ، فهو يجتهد في إخفاء فضائله ، وإظهار معاييه وتتبع سقطاته ، وإذاعة غفلاته ، وكلا الفريقين أما ظالم له أو للأدب فيه " (١) .

والواقع أن الخصومة قد نشأت حول هذا الشاعر منذ اتصاله بسيف الدولة ، وذئوع صيته وإخمال ذكر الشعراء الآخرين ، وقد تعرض المتنبي لنقد مرير في مجلس سيف الدولة من بعض الشعراء واللغويين كأبي فراس الحمداني وابن خالويه اللغوي ، ولما رحل إلى القسطنطينية تاركاً مجلس سيف الدولة تعرض لنفس المكيدة التي لقيها عند سيف الدولة ، فضلاً عن ذلك ألقت كتب عديدة في نقد شعره وتفسيره وإبداء الآراء فيه وكلها تصور الخصومة التي دارت حول هذا الشاعر العبقرى الفذ .

وإذا كانت الحقيقة - غالبا - ما تنطمس معالمها خلف هذه الأهواء التحكيمية التي تملئها نزعات الولاء والعداء لشاعر ما ، فإنه مما لا ريب فيه أن مثل هذه الخصومات الأدبية حول شاعر أو أكثر من العوامل التي أثرت في نمو الحركة النقدية ، حيث تباينت الأفكار والمفاهيم واختلفت المنازعات والاتجاهات ، وليس العلم سوى حصيلة المناقشات الجادة أو الهادئة التي يثيرها مذهب ما في الأدب أو قضية في النقد أو شاعر اختلفت حوله الآراء .

والخلاصة أن الخصومة حول الشعراء كانت من أعظم العوامل التي أثرت في النقد العباسي خاصة ، والنقد العربي عامة ، وذلك لأنها قدمت بعض الكتب التي تعرض " لمشكلات كثيرة تتعلق بالشاعر والطبع والتكلف ، والبيئة والشعر وصلة الحياة والدين والأخلاق والناس ، وأثره في النفس ، ودوافعه وغاياته ، وأسلوبه وجوانب الجمال فيه ، وكانت هذه الكتب علامات في الطريق لتاريخ النقد ومذاهبه " (١) .

٤ - نشاط حركة النقل والترجمة :

نشطت حركة النقل والترجمة في هذا العصر ، وأدى هذا إلى إثراء الأدب والنقد بما ترجم من فلسفة اليونان ومنطقهم . فقد صبغت عقلية الأدباء والنقاد بآثارها العميقة في التفكير والمعاني وطرافة التقسيم والخيال ، كما أثرى كذلك بالترجم إلى العربية من قصص الهند وأدب الفرس ، وكان للعرب الذين يجيدون الفارسية وللفرس المتعربين مجال كبير في الأدب العربي ، ومن بينهم: بشار وأبو نواس والعتابي وغيرهم (٢) .

١ - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة د / محمد ز غلول سلام ص ١٨ .

٢ - تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول د / محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٩ .

فأنجبوا أدبا عربياً فيه معانى الفرس وبلاغة العرب ، وكبار الكتاب والشعراء فى هذا العصر من أصول فارسية ، ممن أحدثوا أثراً واسعاً فى الكتابة الفنية ، وكذلك فى أغراض الشعر ومعانيه وأوزانه وقوافيه ، وإذا كان الأدب فى عهد بنى أمية عربياً خالصاً فى المادة والمعنى ، ولم يكن للفرس إلا مدارسته وحفظ روايته ، فقد كان أثرهم فى عهد بنى العباس أعمق ، لافى الأسلوب البيانى ، بل فى التفكير والخيال ، وبثأثيرهم تنوعت الأوزان وظهر التأنق فى النثر والشعر ، وطابت الرقة والدماثة ، مع المحافظة على فصاحة العربية والأخذ بأسبابها .

والحق أن ترجمة الكتب إلى العربية كانت عاملاً قوياً من العوامل التى دفعت النقد العباسى إلى الأمام ، " وذلك لأنه قد انتقلت بترجمتها مظاهر أدبية ونقدية كان لها أثرها فى الحركة العقلية للنقد ، فوضعت النظريات ، وتدخل المنطق فى الجدل والحوار وألفت الكتب النقدية التى تذخر بالمناهج العلمية والعقلية التى أسسها النقاد العرب " (١) .

وقد ظهر أثر ذلك العامل واضحاً أيضاً فى تطور النقد العربى وخاصة الأثر اليونانى ، أو الفلسفة والمنطق اليونانيان ، وأول ما ظهر أثرهما كان عند المتكلمين الذين رأوا حاجتهم الملحة للفلسفة حتى يدفعوا المطاعن عن القرآن ، " وكانت دراسة الفلسفة والمنطق وسيلة لتمكين المعتزلة والمتكلمين عامة من الحجاج العقلى ، واستطاع علماء المسلمين عن طريق هذه الفلسفة بصفة خاصة والإطلاع على كتابى الخطابة والشعر لأرسطو أن يخرجوا بالنقد العربى من

الجو العربى الخالص إلى جو آخر فيه كثير من العلل والقياسات العقلية والمنطقية اليونانية السمات (١) "

وظهر آثار هذا فى القرن الرابع الهجرى بوضوح ، عند قدامة بن جعفر فى كتاب (نقد الشعر) ، وكتاب (نقد النثر) المنسوب إليه . كما ظهرت عند الرمانى فى كتابه (النكت فى إعجاز القرآن) ، وظهر ذلك عند نقاد القرن الخامس كالباقلانى فى (إعجاز القرآن) ، وابن سنان الخفاجى فى (سر الفصاحة) .

والخلاصة أن الترجمة كانت ذات أثر مباشر فى فكر الأدباء والنقاد والمتكلمين ، ولم ينجو من هذا الأثر الإطنافة من طبقة الشعراء المحافظين الذين أعلنوا عن سخطهم لهذه الفلسفات .

٥ - الأثر القرآنى :

من أهم العوامل التى أثرت فى تطور النقد العباسى القرآن الكريم فقد كان له أثرا مباشرا وأثرا غير مباشر ، أما الأثر المباشر فبفضل جهود العلماء الذين تعرضوا لأسلوب القرآن وبيان جوانبه البيانية ، محاولين إثبات إعجازه البيانى بمقارنة الشعر العربى ، وخصائص البيان العربى بصفة عامة ، واستخدموا فى ذلك الوسائل التى استخدمها نقاد الشعر ، بل إن بعض الدراسات القرآنية فى القرن الثالث الهجرى قد استخدمت من المصطلحات البيانية مالم يكن شائعا حتى ذلك الوقت فى دراسات نقد الشعر مثل كتاب (تأويل مُشكَل القرآن) لابن قتيبة (٢) ، واختلطت مقاييس النقد بالدراسات

١ - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د/ محمد زغول سلام ص ١٩ .

٢ - أثر القرآن فى تطور النقد العربى د / محمد زغول سلام ص ١٠١ ط دار المعارف .

القرآنية ، فاستخدم علماء الإعجاز مصطلحات البديع وأبوابه فى كشف بديع أسلوب القرآن للتوصل إلى إعجازه .

ومن هنا أثر القرآن فى مناهج النقد ، ودفعهم إلى بيان أوجه الإعجاز ، فأقبلوا على إثبات إعجازه ، وسمو بيانه على الشعر العربى ، وعقدوا لذلك المقارنات ، كما فعل (الباقلانى) الذى عاب تحكيم البديع فى بيان القرآن " (١) وتتلخص نظريته فى الإعجاز فى ثلاث خطوات :

١. إثبات صحة مايبين أيدينا من نص القرآن وأنه هو حقاً كتاب الله المنزل على نبيه . ومنهجه هنا يتفق فيه مع ابن سلام الذى دعا إلى تحقيق النص وسلامة نسبه .

٢. إثبات عجز العرب عن الإتيان بمثله على رغم تحديه مراراً .

٣. استنباط النتيجة من المقدمتين السابقتين وهى " خروج القرآن عن سائر كلام العرب " (٢)

وأما عن الأثر غير المباشر فقد جاء عن طريق ترقيق القرآن لأذواق النقد ، بما جرى به أسلوبه من الصياغة الرائقة والصور الجميلة ذات التشبيهات والإستعارات الرائعة ، مما جعل العلماء يستشهدون بصياغته ، وتشبيهاته على كل جيل ، وصارت شواهد القرآن فى مقدمة الشواهد الأدبية فى كتب النقد والبلاغة (٣)

- المرجع السابق ص ٢٣١ .

٢ - المرجع السابق ص ١٧٠ ، ويرجع أيضاً من مظاهر النقد الأدبى عند العرب د /

رفعت زكى محمود غيفى ص ١٢٠ .

٣ - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة . د / محمد ز غول سلام ص ١٩ .

والحق أن القرآن الكريم كان له أبلغ الأثر في نمو الأذواق وتطورها في هذا العصر ، ودفعها إلى الإحساس بجمال العبارة ورعة التصوير وبراعة المعنى ولطف التناول فيما يعرض لها من فنون الأدب . وعلى ذلك ظهرت مجموعة من الدراسات القرآنية في تلك المرحلة تعد من صميم النقد ، وذلك لأنها كانت تحاول فهم النص والتعرف ظواهر الاستعمال اللغوي والتركيبى والإشارة إلى ما فيه من وجوه الإعجاز .

ومثل هذه الدراسات القرآنية قد ساعدت على تأصيل النقد الأدبي في هذا الطور من أطوار تكوينه وخطت به خطوات فسيحات.

٦ - الحركة اللغوية :

نشطت الحركة اللغوية في هذا العصر نشاطاً كبيراً ، وكان من أهم ما حفزهم إلى ذلك القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، حتى لا تستغلق دلالتها على أفهام الناس وأفهام العلماء أنفسهم ، مما جعل الجاحظ يقول : " للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم. فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس من أهل هذا الشأن هلك وأهلك الناس (١) " . وأنضم إلى ذلك باعث سياسى ، فإن خلفاء بنى العباس أظهروا محافظة شديدة على لغة القرآن الكريم وبعثوا العلماء على دراستها والتعمق فيها ورواية كل ما يتصل بها من أنساب وأيام وأخبار وأشعار . وقد جعلوا مقياس وظائفهم الكبيرة التفوق فيها ، فكانوا لا يستوزرون ولا يستكتبون إلا من حذقها وبرع في أدائها .

... وكانت مجالس الخلفاء تكتظ باللغويين من مثل الكسائي والأصمعي ، فكان لابد للشعراء أن يروقهم حتى ينالوا استحسانهم ، ويرى ذلك الخلفاء منهم فيجزلوا لهم في العطاء (١).

ومن هنا برز دور اللغويين في النقد في هذا العصر في أنهم أصبحوا سدنة الشعر وحراسه، فمن نوهوا به طار اسمه، ومن لوحوا في وجهه خمل وغدا نسياً منسياً. وبلغنا كثير من الشعراء يعرضون عليهم أشعارهم قبل إنشادها في المحافل العظام ، فإذا استحسوها مضوا فأنشدوا، وإن لم يستحسوها ذهبوا يعادون الكرة بصنع قصائد جديدة أملين أن تظفر باستحسانهم ، فمن ذلك مايروي عن مروان بن أبي حفصة من أنه لما نظم قصيدته: (طرقتك زائرة فحى خيالها) وهي إحدى روائعه في المهد ذهب إلي حلقة يونس النحوي فقال له: لقد قلت شعرا أعرضه عليك ، فإن كان جيداً أظهرته ، وإن كان رديئاً سترته. وأنشد القصيدة ، فأعجب بها يونس وقال له إنها بريئة من العيوب (٢) . حينئذ مضى فأشدها المهدي ، فزحف من صدر مصلاه حتى صار علي البساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال لمروان كم هي قال مروان: مائة بيت، فأمر له بمائة ألف درهم، فكانت أول مائة ألف درهم أعطيت لشاعر في أيام بني العباس .

ويسوق المرزباني في كتابه الموشح فصلاً طويلاً (٣) يصور فيه كيف كان الشعراء يعرضون أشعارهم علي اللغويين ليحيزوها لهم، فهم قضاة

١ - تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول د / شوقي ضيف ص ١٣٩ ط دار

المعارف السادسة .

٢ - الأغاني ١٠ / ٨٢ .

٣ - الموشح ص ٤٤٣ وما بعدها .

الشعر وصييارفته، وفي ذلك يقول الخليل بن أحمد لابن مناذر: "إنما أنتم - معشر الشعراء - تبع لي ، وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم والإكسدتكم". (١)

٧ - العوامل الاجتماعية :

كان من أهم الأسباب التي أدت إلى ازدهار النقد في العصر العباسي - تلك الظروف والعوامل الاجتماعية التي طبعت الأدب والعلوم بطابعها، وأثرت في فكر الشعراء والنقاد وعكست ملامحها عليهم، ودفعت النقاد إلى دراسة ما يكون لهؤلاء الأدباء من خصائص أسلوبية يفرقون بها بين أديب وآخر، ونعلم أن شاعرا كابن الرومي وجه إليه سؤال. لم لاتشبهه كتشبيه ابن المعتز فقال: سبحان الله: إنما الرجل يصف ماعون. فهذه الرواية تبين لنا مدي الفوارق الاجتماعية وتأثيرها في خيال الشاعر وتعبيراته. (٢) ويصف الأستاذ أحمد الشايب أدب العصر العباسي بأنه "أدب حضري، مترف متقف هادي، مستقر يعتمد علي العقل والفكر والعلم الكثير، والمزاج الرقيق، والحياة الخصبة الناعمة، والبيئة الاجتماعية المنظمة ففاض الأدب بالمذاهب الدينية والفلسفية، وامتاز بالتنسيق والعمق، واعتمد علي الطبيعة الجميلة والأزهار الناضرة، والقيان الفاتنة، فرق أسلوبه ولانت عبارته، فكان أديبا حضريا، مهذبا علي وجه العموم" (٣) .

١ - الأغاني ١٧ / ١٦ .

٢ - من مظاهر النقد الأدبي عند العرب د / رفعت زكي محمود عيفي ص ١٢١ .

٣ - الأسلوب أحمد الشايب ص ٩٩ ، ١٠٠ .

اتجاهات النقد في العصر العباسي: (١)

منذ ذلك العصر تقريباً أخذ النقد الأدبي يتجه اتجاهات ثلاثة:

أحدها: اتجاه عربي صرف لم تمازجه ثقافات وافدة أو تؤثر فيه عوامل دخيلة، وقد تمثل هذا الاتجاه عند جماعة اللغويين والنحاة كالخليل والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء والنضر بن شميل والكسائي والأخفش وابن الأعرابي والمبرد ومن علي شاكلتهم ممن كانت لهم دراية باللغة وأصولها والشعر وروايته.

وصور هذا النقد مبثوثة في ثنايا كتب الأدب والنقد الأولي كالأغاني لأبي الفرج والموشح للمرزباني^{والشعر} والشعراء لابن قتيبة وطبقات ابن المعتز وغيرها. كما تمثل هذا الاتجاه عند بعض النقاد الأوائل الذين عالجو النقد حسب ما انتهى إليه علمهم في مصنفات مستقلة، رتبوا فيها الشعراء إلى طبقات كما فعل ابن سلام، أو تناولوا فيها الحديث عن الشعراء وأخبارهم ومنزلتهم كما فعل ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء.

وثانيها: اتجاه عربي اعتمد على الطبع والذوق ثم دعمته الثقافات المتنوعة التي نهضت به وغذته وكانت له رافداً قوياً، ولكنها لم تقض على أصالته وسمات عروبه وهو ما نلاحظه عند الأمدى في موازنته، وعند القاضي الجرجاني في وساطته، وذلك في باب نقد الشعر، وعند رجل كالجاحظ في مجال نقد النثر. وقد اتسم نقد هؤلاء باستقصاء البحث وشمول الفكرة وتوضيح العلة والموازنة بين الشعراء.

- يرجع في ذلك تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول د/ محمد عبد المنعم خفاجي ص ٥٠ وما بعدها، ويرجع النقد الأدبي د/ محروس منشاوي الجالي ص ٢٢٨ وما بعدها.

وثالثها : اتجاه تأثر فيه أصحابه بالتيارات الثقافية الأجنبية شكلاً وموضوعاً حيث خضع النقد فيه لسلطان المنطق والفلسفة وغلب فيه العقل على الذوق والفكر على الحس ، وقد تمثل هذا الإتجاه عند قدامة ابن جعفر في كتابه -نقد الشعر - الذي كان تأثره فيه بمنطق اليونان واضحاً .

ظهور النقد المنهجي عند العرب

النقد المنهجي هو النقد الذي يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة ويتناول بالدرس مدارس أدبية ، أو شعراء أو خصومات يفصل فيها القول ، ويبسط عناصرها ، ويبصر بمواضع الجمال ، والقبح فيها (١). وقد ظل النقد العربي للأدب في جملة على هذا النحو الذي رأيناه عند الجاهليين والإسلاميين ، نقدا ذوقيا فطريا ، يقوم على الحس الفني ، والإدراك العام ، حتى إذا كان العصر العباسي ، وتطورت العقول ، وتهذبت المدارك ، واتسعت المعارف ، وتنوعت الثقافات العربية والأجنبية المترجمة عن الفرس والهند واليونان وغيرهم ، كان لهذا كله أثر كبير في تطور الأدب والنقد على السواء.

" فمنذ أواخر القرن الثاني للهجرة ، بدأ النقد الأدبي يخطو خطوات جديدة ، نحو العمق والدقة ، والتحليل الواضح ، والتحليل المفصل ، وأخذ يحاول في تدرج الوصول إلى النقد المنهجي القائم على أسس ثابتة وقواعد موضوعية (٢) "

وقد اشتهر جماعة من النقاد كان لهم نشاط مؤثر في عالم النقد بما ألفوه من كتب ضمنوها آراءهم ونظرياتهم النقدية في الشعر والنثر ، وأهم هؤلاء ابن سلام صاحب كتاب (طبقات فحول الشعراء) ، والجاحظ صاحب (البيان والتبيين) ، وابن قتيبة صاحب (الشعر والشعراء) و (أدب الكاتب) ،

١ - النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ص ٥ .

٢ - دراسات في النقد الأدبي د/ حسن جاد ص ٥٦ .

وابن طباطبا صاحب (عيار الشعر) ، وقدامة بن جعفر صاحب (نقد الشعر)
والقاضي الجرجاني صاحب (الوساطة بين المتبني وخصومه) ، والآمدی
صاحب (الموازنة) ، والمرزباني صاحب (الموشح) وأبو هلال العسكري
صاحب (الصناعتين) ، والمرزوقي صاحب (شرح الحماسة) لأبي تمام ،
وابن رشيقي صاحب (العمدة) ، وعبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي (دلائل
الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ، وابن الأثير صاحب (المثل السائل) ، وعلى
يد هؤلاء وغيرهم سار النقد العربي مراحل تطوره ، حتى صار علماً له
قواعده وأصوله ، وسنعرض لبعض هذه الكتب بالتفصيل .

الموازنة للآمدى

الآمدى :

هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى الأصل ، البصرى المولد والنشأة (١) ، وقد أقبل على حلقاتها العلمية ، ولما بلغ سن الشباب توجه إلى بغداد ، وتردد على مجالس العلماء ، يتلقى عنهم اللغة والنحو والشعر والأدب ثم عاد بعد حين إلى البصرة كاتباً للقضاء ، وبرز في الأدب وطارت شهرته في النقد (٢) .

عاش الأمدى في القرن الرابع الهجرى ، ذلك القرن العاصم بضروب الثقافة والمعرفة ، وإن كان ميدانه الذى برع فيه اللغة والأدب (٣) . وعلم الأمدى وثقافته أوسع مما تنطق به كتب الطبقات ، فهو لم يكن نحويًا لغويًا فحسب ، بل كان أديبًا يحيط بالأدب العربى إحاطة تكاد تكون تامة ، فلقد أطل النظر في شعر الشعراء حتى تكون ذوقه وصقل طبعه السليم ، وفى قائمة كتبه التى كتبها ما يدل على أنه شغل نفسه بالنقد حتى وكأنه قد تخصص فيه (٤) .

له كتب كثيرة نذكر منها ههنا : الموازنة ، تفصيل امرئ القيس على شعراء الجاهليين ، المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء ، معانى شعر البحتري ، الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام ، فرق ما بين الخاص

١ - عند مقدمة الموازنة بقلم المحقق الشيخ محيى الدين عبد الحميد ص ٨ .

٢ - الفكر النقدى والأدبى فى القرن الرابع الهجرى د/ محمد عبد المنعم حجاجى ض ٦٥ ط
رابطه الأدب الحديث .

٣ - معجم الأدياء لياقوت ٧٥/٨ .

٤ - يتصرف عن النقد المنهجى ص ١١٨ د/ محمد مندور .

والمشترك من معاني الشعر ، وفعلت وأفعلت ، وما فى عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ ، وتوفى أبو القاسم الأمدى فى عام سبعين وثلاثمائة (٣٧٠) من الهجرة (١) .

أهمية كتاب الموازنة فى النقد الأدبى:

تتمثل أهمية الكتاب فى تصويره للصراع العنيف الذى احتدم بين أشياع القديم وأنصار الجديد ردحا طويلا من الزمان ، ممثلا فى الخصومة بين أنصار البحرى وأبى تمام ، وقد بلغت هذه الخصومة أقصاها فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ، وكانت هذه الخصومة تحتاج إلى ناقد بصير متمرس أولاً ، ونزيه محايد ثانيا ، وقد توافرت الصفتان فى الأمدى الذى عرف بكثرة النظر فى الشعر ، وطول الملابس له حتى أصبح بصيرا بمسالكه ، قادرا على أن يميز جيده من رديئه برجوعه إلى ما قالته العرب وما أثر عن شعرائها ، وقد استطاع بما تحقق له من خبرة ودراية وبصر بالشعر أن يكون الناقد الذى يحكم فيقبل حكمه ، ويبدى رأى فيؤخذ رأيه بالتسليم دون معارضة ، وبهذا استطاع أن يحسم هذه المعركة بأسلوب النقد المنهجى الذى يتكى على الحيدة والنزاهة .

ومن هنا ظهرت أهمية هذا الكتاب ظهورا واضحا فى أنه يمثل النموذج الكامل تقريبا فى صفات الموازن ، وحقيقة الموازنة على السواء ، فقد أتاح لمؤلفه من الميزات العلمية والذوقية ما لم يتح لغيره (٢) .

١ - مذاهب النقد وقضاياها د/ عبد الرحمن عثمان ص ٢٧٨ ط مطابع الإعلانات الشرقية.

٢ - مذاهب النقد وقضاياها د/ عبد الرحمن عثمان ص ٢٧٨.

وبهذا كانت هذه الموازنة " منهجية في ناحيتها المختلفتين : ناحية المفاضلة وناحية استنباط الخصائص والمشاهد في تاريخ النقد العربى وظلت الوحيدة من نوعها (١).

منهج الأمدى فى الموازنة:

أولا : يبدأ الأمدى بتحقيق النصوص الشعرية لكل من أبى تمام والبحتري وتصحيح نسبتها ، وبيان مافيها من اضطراب أو خطأ فى الأوزان ، وذلك بالرجوع إلى النسخ القديمة . وهذه هى المرحلة الأولى فى النقد المنهجى السليم .

ثانياً : ثم يعرض لآراء النقاد فى الشاعرين ، من المتعصبين لهذا أو ذاك وحجج كل فريق فى تفضيل صاحبه .

وقد وجد أن بعض النقاد يجعلهما طبقة واحدة ، أو يسوى بينهما ، وبعضهم يرى أن شعر أبى تمام لايتعلق بجيده جيد مثله ، وردينه مرذول ومطروح ، فهو مختلف ليس فى مستوى واحد وأن شعر البحتري مستو يشبه بعضه بعضا فى صحة السبك وحسن الديباجة ، وليس فيه ردىء ولا مطروح .

وبعضهم يفضل البحتري لصحة عبارته ، ووضوح معانيه ، وحسن تخلصه ، ووضعه الكلام ، وهم الكتاب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة . وبعضهم يفضل أبى تمام لدقة معانيه وغموضها ، وهؤلاء هم أصحاب المعانى وشعراء الصنعة وأهل الفلسفة والكلام . وأنصار أبى تمام يفضلونه لأنه أسبق زمنا ، والبحتري تلاه وأخذ عنه ، ولأن جيده خير من جيد البحتري

١ - أصول النقد الأدبى لأحمد الشايب ص ٢٨٣ ط مكتبة النهضة المصرية الثامنة .

كما اعترف بذلك البحتري نفسه ، ولأن جيد أبى تمام كثير ، ولأنه انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه إمام وهو مذهب الصنعة ، ولأنه جمع بين الشعر والعلم .

ويرد أيضا البحتري بأن البحتري لم يأخذ من أبى تمام ، وأن قول البحتري جيدة خير من جيدى ، وردنى خير من رديئه ، يدل على شعر أبى تمام شديد الاختلاف ، وشعر البحتري شديد الإستواء . والمستوى أولى . ولم يبتدع أبو تمام المذهب الذى نسب إليه وهو البديع ، وإنما سبقه مسلم بن الوليد ، وأما الجمع بين الشعر والعلم فليس بفضيلة ، لأن شعر العلماء دون شعر الشعراء (١)

ثالثا : ثم يتناول (السرقات) (٢) ، فيجمع سرقات أبى تمام ، ويردها إلى أصولها ، ويقف فى كثير منها إلى جانبه ، مبينا خطأ من اتهمه فيها بالسرقة كابن أبى طاهر لأنها من المعانى العامة المشتركة بين الناس ، وهذا يدل على انصرافه وعلى صحة منهجة التحقيقى السليم .

وبعد أن يفرغ من ذلك ، يأخذ فى بيان سرقات البحتري على هذا النحو . ثم ينتقل إلى دراسة أخطاء أبى تمام وهى :

١. أخطاء فى الألفاظ والمعانى .
 ٢. إسراف وقبح فى البديع .
 ٣. كثرة الزحافات واضطراب بعض الأوزان .
- ثم تتناول أخطاء البحتري ، ولم يقف عندها طويلا ، لأنها أقل من أخطاء أبى تمام الذى خرج على عمود الشعر .

١ - دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٧٧ .

٢ - الموازنة ص ٥١ وما بعدها .

وأخيراً يعرض بإنصاف إلى محاسن كل منهما .
 رابعاً : ثم يأخذ فى (الموازنة) بين الشاعرين . وهى موازنة موضوعية ، يتناول فيها الجزئيات ، معنى معنى ، ولفظاً لفظاً ، ولا يرضى بالحكم العام ، ولا بالنظرة الكلية فى الموازنة بين الشاعرين ، بل يوازن بين القصيدتين ، أو بين المعانى الجزئية المنثورة فى أبيات القصيدة .
 يقول الأمدى " ولست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر (أى تفضيلاً مطلقاً) ، ولكنى أقارن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى معنى ، فأقول أيها أشعر فى تلك القصيدة ، وفى ذلك المعنى ، ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علماً بالجيد من الردىء (١) .

أهم القضايا النقدية فى كتاب الموازنة :

١. الذوق ومقاييسه :

الأمدى ناقد عربى كبير عالج كثيراً من القضايا النقدية معتمداً على ذوقه الأدبى المصقول المتقف الذى كان يؤمن بأنه وسيلة الناقد لأحكامه النقدية فى مجال الشعر والأدب وقد أبلى بلاءً حسناً فيما عالجه من قضايا ، وما قضى به من أحكام .

الملاحظ أن الأمدى حاول أن يضع بعض المقاييس النقدية التى تتبعث من الذوق الأدبى ، فقال : " وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتى ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ووضع الألفاظ فى مواضعها ، وأن يسود

المعنى اللفظي المعتاد فيه والمستعمل في مثله ، وأن تكون الإستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه ، فإن الكلام لا يلبس البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف " (١) .

وقال أيضا : " والبلاغة إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف ، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصا يقف دون الغاية (٢) " .

وقال : " وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ، وردئ اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يستمعه إلى طول تأمل (٣) " .

والمقاييس الموجودة في حديث الأمدى السابق هي :

١. حسن التأتى ، الحسن للشعر هو الوصول إلى المعنى دون تكلف ، أوسوء تأليف ، أواضطراب أو فساد أو هذر زائد على قدر الحاجة ، أونقص تقف دونه الغاية .

٢. قرب المأخذ ، وهو يعنى عدم الإغراب أو الإغراق في الحصول على المعنى البعيد وهذا يؤكد إيمان الأمدى بالوضوح ، ولذا نبه على اختيار الألفاظ السهلة المستعملة .

٣. أجود الشعر عند الأمدى أبلغه ، والبلاغة عنده إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض ، والطريق إلى بلوغ هذه الغاية هو الألفاظ السهلة المستعملة العذبة البعيدة عن التكلف ، واختيار الكلام ووضع الألفاظ في مواضعها ، واختيار اللفظ المستعمل مثله لمعناه .

١ - الموازنة ص ٣٨٠ .

٢ - السابق ص ٣٨٠ .

٣ - السابق ص ٣٨١ .

٤. ينبغي إتماماً للوضوح والبلاغة - أن تكون الاستعارات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه .

٥. للعبارة الأدبية قيمة كبيرة ووزن عظيم عند الأمدى ، فبراعة اللفظ تزيد المعنى المكشوف بهاء وحسناً ورونقاً حتى كأنه أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، ومن هنا فسوء التأليف وردىء اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده .

ومقاييس الأمدى تتبع من الذوق الأدبي ، فحديثه عن حسن التأنى فى الوصول إلى المعانى دون اضطراب أو تكلف فى حديثه عن رأيه عن قرب المأخذ والوضوح ، ورأيه فى أن الطريق إلى بلوغ الهدف إنما هو اللفظ السهل المستعمل العذب الدقيق ، وحديثه عن الاستعارات اللائقة بما استعيرت له ، وغير المنافرة للمعنى ، ورأيه فى أن المعنى المكشوف يزداد بهاءً ورونقاً وحسناً باللفظ العذب والعبارة الأدبية الأنيقة - حديثه عن هذا وذاك لا يتصادم مع الذوق الأدبي وبل ينبع منه ويصدر عنه ، ولذا فمقاييسه النقدية مقاييس ذوقية (١) .

٢- العمودية أو عمود الشعر .

إن الأمدى يطبق فى النقد نظرية عمود الشعر العربى تطبيقاً كاملاً ، فالبحترى عنده هو الشاعر لأنه يحرص على كل القيم الرفيعة التى شرعها وحرص عليها الشعراء القدماء ، من امرئ القيس إلى ابن هرمة وبشار ، فى اللفظ والمعنى والأسلوب والخيال ، وفى اللغة والوزن والصورة الشعرية ،

وغير ذلك لا يخرج عليها ، ولا يبغذ عنها ، مع صحة الطبع ، وجودة السبك وقوة الملكة .

وفى موازنة الأمدى بين الشاعرين أبى تمام والبحتري ، " يطبق أبو القاسم الأمدى نظريته هذه (العمودية أو عمودية الشعر) تطبيقاً واسعاً وجريئاً وثيراً على الشاعرين ، فيرى البحتري يسير مع القدماء فى أدائهم وأساليبهم وأخيلتهم ومعانيهم وصورهم ويرى أبو تمام يبعد عن القدماء فى ذلك بعداً كثيراً ، وهو فى كل ذلك خاضع لمنهج ، ومثأثر بنظرية ، ومطبق لمذهب ، ومن أجل ذلك أثنى على البحتري وقسى على أبى تمام ، حتى لقد رمى بسببه بالتعصب على أبى تمام والانتصار للبحتري (١) .

يقول الأمدى فى مطلع موازنته : " أكثر من شاهدته ورأيت من رواة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى لا يتعلق بجيد أمثاله ، وردينه مطروح ومرذول ، فلهذا كان مختلفاً لايتشابه ، وأن شعر الوليد بن عبيد البحتري صحيح السبك ، حسن الديباجة وليس فيه سفاسف لا ردئ ولا مطروح ، ولهذا صار مستويا يشبه بعضه بعضاً : " (٢)

ثم يقول بعد ذلك : " ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندى ، لتباين الناس فى العلم ، واختلاف مذاهبهم فى الشعر ، ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فيستهدف لزم أحد الفريقين ، لأن الناس لم يتفقوا على أى الأربعة أشعر فى امرئ القيس والنابعة وزهير والأعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والأخطل ، ولا فى بشار ومروان ، ولا فى أبى نواس وأبى العتاهية ومسلم ، لاختلاف آراء الناس فى الشعر وتباين مذاهبهم فيه ، فإن كنت - أدام الله سلامتكم - ممن

١ - الفكر النقدي والأدبي فى القرن الرابع الهجرى د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٧٤ .

٢ - الموازنة ص ١٠ .

يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق ، فالبحتري أشعر عندك ضرورة ، وإن كنت تميل إلى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوى على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة ، فأما أنا فليست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكني أوازن بين قصيدتين من شعرهما إذا { اتفقتا } في الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، فأقول : أيها أشعر في تلك القصيدة ، وفي ذلك المعنى ، ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجميل والردىء (١) .

ويؤكد ذلك أيضا فيقول : " وأنا ابتدأ بذكر مساوي هذين الشاعرين ، لأختم بذكر محاسنهما ، واذكر طرفا من سرقات أبي تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره ، ومساوي البحتري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام ، وغير ذلك من غلط في بعض معانيه ، ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم أبين معنى معنى ، فإن محاسنها تظهر في تضاعيف ذلك ، ثم اذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه ، وبابا للأمثال ، أختم بهذه الرسالة ، وأتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما" (٢)

ومذهب الأمدى في الميل إلى بلاغة اللفظ وجودة السبك وصحة النظم جعله يرى أن الشاعر البحتري ، وأن أباتمام والمنتبى وأضرابهما حكماء . على أن الأمدى فيما سار عليه من مناهج في النقد والموازنة متأثر بآراء النقاد قبله ، فلم يكن يقدم إلا تحكيما للعمودية وللنهج العربي السليم فيما يتقدون ،

١ - الموازنة ص ١١ ، ١٢ .

٢ - السابق ص ٥١ .

فأبو عمرو بن العلاء وحماد وخلف والأصمعي وابن الأعرابي وسواهم ، كانوا يعرضون ما ينقدونه على ميزان الطبع ويحكمون نهج العرب فى بلاغتهم فى الموازنة . وكذلك فعل الأمدى ، برجوعه إلى مناهج العرب فى الأداء والأسلوب والنظم ، فيرد ما ترده ، ويقبل ما تقبله ، فللعرب طريق خاص فيما ينطقون به من أساليب ونظم ، ومن أفكار ومعان وأخيلة وصور وأوزان ، وذلك النهج العربى الخاص هو ما يجب على الشاعر أن يلتفت إليه ويسترشد به ، ويحتذى حذوه ، وينظم شعره على مثاله ، ثم هو ميزان النقد وهو عمود الشعر فالناقد يرجع إليه فى الحكم على الشعر ، وفى كل مشكلات الأسلوب والمعانى والأخيلة الشعرية .

ولا شك فى تأثر الأمدى بأراء النقاد قبله ، فهو يعتمد على آرائهم ويستدل بحكومتهم فى النقد ، حتى لقد قيل : إن أصول كتاب " الموازنة " صورة ترجع لأراء النقاد قبل عصر الأمدى ، وأن أصول كتاب الموازنة ترجع إلى نقاد القرن الثالث ومؤلفيه (١) ، وقد صرح الأمدى بما يدل على ذلك فى أكثر من موضع فى كتابه ، وفضل الأمدى إنما هو تدوين هذه الآراء وتنسيقها وإضافة آراء معاصريه إليها .

ولا يزال " مذهب عمود الشعر " عند الأمدى فى النقد جديداً أو كالجديد كما كانت نظرية البديع فى النقد عند ابن المعتز ، ونظرية النظم عند عبد القاهر وبذورها عند الجاحظ جديدة كل الجدة (٢) .

والحق أن الأمدى من أظهر النقاد الذين توسعوا فى دراسة نظرية عمود الشعر العربى ، وتطبيقاتها تطبيقاً كاملاً على الشاعرين أبى تمام

- تاريخ النقد الأدبى عند العرب للأستاذ طه أحمد إبراهيم ص ١٧٦ وما بعدها .

- الفكر النقدي والأدبى فى القرن الرابع الهجرى د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٧٨ .

والبحترى ، وكانت هذه النظرية بذرة صغيرة ألقى بها بعض الأدباء والنقاد فى القرن الثالث ، ومن بينهم الشاعر البحتري الذى أثر عنه قوله حين سئل عن نفسه وعن أبى تمام : " كان أغوص على المعانى منى ، وأنا أقوم بعمود الشعر " (١) .

٣ - الصورة الأدبية (٢) .

معالم الصورة الأدبية كانت واضحة عند الأمدى من خلال إهتمامه باللفظ والمعنى " أى النظم " والصورة التى تقوم عليهما معاً ، ولكنه يكاد يبلغ الغاية فى توضيح الصورة التى قل بها البحتري أستاذة أبا تمام وهو يتحدث فى باب العلاقة بين اللفظ والمعنى ، فقد فسر التأليف وهو النظم فى الصورة ، حينما عقد موازنة بين صناعة الشعر وبين غيرها من الأشياء فى سائر الصناعات الأخرى فيبنى الشعر الجيد المحكم وكذا الصناعات الأخرى ، على دعائم أربع :

أولاً : جودة الآلة .

ثانياً : إصابة الغرض .

ثالثاً : صحة التأليف .

رابعاً : بلوغ الغاية فى التأليف بدون نقصان ولا زيادة .

وكذلك الأمر فى كل محدث مصنوع فى الخلق والإيجاد ، يحتاج إلى أربعة أشياء :

١ - الموازنة ص ١٥ .

٢ - الصورة الأدبية : هى الألفاظ والعبارات التى ترمز إلى المعنى ، وتجسم الفكرة فيها .

أولاً : علة هيولانية وهى الأصل .

ثانياً : علة تصويرية .

ثالثاً : علة فاعلة .

رابعاً : علة تمامية .

وعلى هذا تقابل الآلة الأصل (الهيولانية) ، وإصابة الغرض : وهو التأليف والنظم يساوى الصورية ، وصحة التأليف : وهى استقامة الفكر الناتجة من التأليف تساوى العلة الفاعلة . ووفاء الجودة وتمام الصنعة : يقابل العلة التمامية والمقابلة الأخيرة هى التى أراد بها الأمدى البلاغة فى الصورة (١) فى قوله السابق :

"فالبلاغة : إنما هى إصابة المعنى ، وإدراك الغرض ، بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف ، لا تبلى الهذر الزائد على قدر الحاجة . . . إلخ" (٢)

يقول الأمدى فى الموازنة التى عقدها بين صناعة الشعر وغيرها من الصناعات الأخرى " زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء : جودة الآلة وإصابة الغرض المقصود وصحة التأليف ، والإنهاء إلى نهاية الصنعة ، من غير نقص فيها ، ولا زيادة عليها ، وهذه الخلال الأربع ليست فى الصناعات وحدها ، بل هى موجودة فى جميع الحيوانات والنباتات .

- الصورة الأدبية تأريخ ونقد د/ على على صبح ص ٣٣ ، ٣٤ ط دار إحياء الكتب

العربية الحلبى .

- الموازنة ٣٨٠ .

ذكرت الأوائل أن كل محدث مصنوع محتاج إلى أربعة أشياء: علة هيولانية وهي الأصل ، وعلّة صورية ، وعلّة فاعلة ، وعلّة تامة .
فهذا قول جامع لكل الصناعات والمخلوقات ، فإن اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الأربع أن يحدث في صنّعه معنى لطيفاً مستغرباً كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد في حسن صنّعه وجودتها ، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها (١).

وهكذا يوضح الأمدى ، ما يعتمد عليه الشعر وغيره من سائر الصناعات والصور التي يسببها الشعر في التركيب والبناء ، والنص السابق يوضح بعض معالم الصورة الأدبية وهي :

١. حسن التآلف ، وتنسيق النظم ، وتلاؤم الصيغة ، يكشف عن المعنى في وضوح وروعة ، وكذلك الأمر بالعكس فاضطراب النظم وفساد الصورة يعقد المعنى ، ويزداد غموضاً .
٢. العبرة في الشعر بالصورة لأنها هي التي تنقل ما في النفس من خواطر ومشاعر بصدق ودقة ، وتبرزه للغير ، فلو كانت رديئة التآلف ، ومضطربة التنسيق ، ولو اشتملت على نادرة وحكمة ، فإنها تسقط في الإستعمال وتقبح في مرأى العين وتضعف في تأثيرها في النفس .
٣. الشعر صناعة وتصوير كسائر الحرف والصناعات ، والجميع تشكيل وتجسيد للمواد وتصوير لها . (٢) .

١ - الموازنة ص ٣٨١ وما بعدها .

٢ - الصورة الأدبية تاريخ ونقد د/ على على صبح ص ٣٦ .

٤ - الناقد :

الأمدي بوا الناقد أسمى منزلة ، وأعلى مكانة حين دعا إلى الأخذ برأيه ، والنزول على حكمه لأنه - وحده - العالم بالشعر ، والبصير بمسالكه ، القادر على أن يميز جيده من رديئه ، وكما أن الإنسان يأخذ بآراء المتخصصين في كل صناعة لا يتقنها فعليه أن يأخذ بآراء الناقد المتخصص في الشعر يقول :

" فمن سبيل من عرف بكثرة النظر في الشعر والإرتباط فيه وطول الملبسة له أن يقضى له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه ، وأن يسلم له الحكم فيه ، ويقبل منه ما يقال ويعمل ما يمثله ، ولا ينازع في شئ من ذلك ، إذ كان من الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعته ، ولا يخاصمهم ولا ينازعهم إلا من كان مثلهم نظرا في الخبرة وطول الدربة والملبسة (١) "

كما ذهب الأمدي إلى أن حكم الناقد يجب أن يحترم حتى ولو لم يستطع أن يقنع به غيره أو يرد به إعتراض معترض لأنه لا يستطيع أن يجعل المعترض مثله في صناعته يقول : " وأنه ليس في وسع كل أحد أن يجعلك - أيها السائل المتعنت والمسترشد المتعلم - في العلم بصناعته كنفسه ، ولا يجد إلى قذف ذلك في نفسك ولا في نفس ولده ومن هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بعة قاطعة ، ولا حجة باهرة ، وإن كان ما اعترضت به اعتراضا صحيحا ، وما سألت عنه سؤالا مستقيما ، لأن ما لا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام لايجوز أن تحيط به في ساعة من نهار .

ثم إن العلم الذى لا يعلم فى أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشاهدة لا يعرف حق المعرفة بالقول والصفة وقد قيل : " ليس الخبر كالمعانية " (١) .

ويضع الأمدى أمام الناقد ، أو من يريد أن يتفهم الشعر حق فهمه ، وأن يحكم عليه الحكم الصحيح منها قويا ، يبدأ بالرواية والمداومة على قراءة الشعر الجيد القديم والمحدث ، ثم التعرف لآراء نقاد الشعر وعلماءه ، والنظر فيما أجمع عليه الأئمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فإن عرفت علة ذلك فقد علمت ، وإن لم تعرفها فقد جهلت ، وذلك بأن تتأمل شعر أوس بن حجر والنابغة الجعدى ، فتتظر من أين فضلوا أوساً ، وتتظر فى شعرى بشر بن أبى خازم ، وتميم ابن أبى مقبل ، فتتظر من أين فضل تميم بشراً .

... فإن علمت من ذلك ما علموه ولاح لك الطريق التى بها قدموا من قدموه وأخروا من أخروه فتق حينئذ بنفسك ، واحكم يسمع حكمك وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فأعلم أنك بمعزل عن الصناعة . ثم إن كنت شاعراً فلا تظهرن شعرك واكتمه كما تكتم سر . فإن قلت إنه انتهى بك التأمل إلى علم ما علموه ، لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب ، فإن لم تقدر على تخلص العبارة فأمسك حتى تعلم شواهد من فهمك ، ودلائله من اختيارك وتمييزك بين الجيد والردئ (٢)

ويدعو الأمدى الناقد إلى أن يتخصص فى العلم ، أما الإمام من كل علم طرف فإنه لا يتيح للإنسان أن يحكم الحكم السليم " لأن العلم من أى نوع

١ - نفس المرجع ص ٣٧٥ .

٢ - الموازنة ص ٣٧٧ .

كان لا يدركه طالبيه إلا بالانقطاع إليه ، والإكباب عليه والجد فيه ، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه . ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبيه ، ويتسهل عليه ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ، لأن كل امرئ إنما يتيسر له ما فى طبعه قبوله ، وما فى طاقته تعلمه ، فينبغى أصلحك الله أن تقف حيث وقف بك ، وتقنع بم قسم لك ، ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك (١) .

نماذج من الموازنة

١ - قال أبو تمام فى معنى الشوق :

يَكْفِيكَ شَوْقٌ قَدْ يُطِيلُ ظِمَاءَهُ فَإِذَا سَقَاهُ سَقَاهُ سَمُّ الْأَسْوَدِ (٢)

يقول الأمدى : فقلوله "شوق يطيل ظمائه" غلط ، لأن الشوق هو الظمأ نفسه ، أنك تقول : أنا عطشان إلى رؤيتك ، وظمآن ، مشتاق ، بمعنى واحد ، فكيف يكون الشوق هو المطيل للظمأ ؟ وكيف يكون هو الساقى ، والمحبيب هو الذى يظمىء ويسقى ، أو البعد أو الهجر لا الشوق ، فكيف يكون الشوق يطيل شوقه ؟ (٣) .

٢ - قال أبو تمام :

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعَ الْمَحْضُ وَانْصَرَمَتْ أَوْ آخِرُ الصَّبْرِ إِلَّا كَاطِمًا وَجِماً

١ - نفس المرجع ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

٢ - هو ثانى بيت من قصيدة يمدح فيها المأمون أو المعتصم .

٣ - الموازنة ص ١٩٨ .

رأيتُ أحسنَ مرني وأقبحه مُستَجْمعينَ لى التَّوديعِ والعنما (١)

يقول الأمدى : استحسَن من المحبوبة إصبعها الذى يشبه العنم فى الإحمرار ، واستقبح إشارتها له بالوداع . وإشارة المحبوبة بالوداع لا يستقبحه إلا أجهل الناس بالحب وأقلهم معرفة بالغزل وأغلظهم طبعاً ، وأبعدهم فهماً . ألم يسمع قول جرير :

أُنْسَى إِذْ تُودَعُنَا سَلِيمَى يَفْرَعُ بِشَامَةٍ ؟ سَقَى الْبِشَامُ

فدعا للبشام بالسقيا لإنهاء ودعته به ، فسر بتوديعها (٢) .

٣ - قال أبو تمام :

فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ وَأَلْقَى عَنْ مَنَاكِبِ الدَّثَارِ
لَعَدَلَّ قِسْمَةُ الْأَرْزَاقِ فِينَا وَلَكِنْ ذَهَرْنَا هَذَا حِمَارُ (٣)

قال الأمدى : قوله " وألقى عن مناكبه الدثار " لفظ ردىء ، وليس من المعنى الذى قصده فى شيء ، وصدر البيت لائق بالمعنى ، فلو أتبعه بما يكون مثله فى معناه ، بأن يقول : فلو ذهبَت سنوات الدهر عنه واستيقظ من رقَدته أو انتبه من نومته أو انكشف الغطاء عن وجهه لكان المعنى يمض مستقيماً ، لأن من كان نائماً يغطى وجهه عادة فلا يبصر ، أما ديثار المناكب فغير مناسب لأن

١ - العنم : ثمر شجرة حجازية أحمر يشبه به الثنان المخضوب .

٢ - الموازنة ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

٣ - من قصيدة يمدح فيها أبو الحسين محمد بن الهيثم ، والسنوات بكسر السين جمع سنة ، وهى النوم أو أوائله ، وأراد هنا الغفلات ، والمناكب : جمع منكب ، وهو مجتمع العضد والكتف ، والدثار : ما يلبس فوق الشعار .

الإنسان قد يبصر وعلى مناكبه ديثار ، والمقصود هنا أن يجعل الدهر غير مبصر .

والمراد هو نوم القلب وغفلته ، إذ يقال قد عمى قلبه عن الصواب ، وغطى على فهمه ، ولا يقال : غطى بالذثار عن الصواب . ولفظة (الذثار) أيضا إنما تستعمل لمنع الهواء والبرد لها لمنع الفهم والرشد . فهذه استعارات غريبة بعيدة . (١)

٤ - قال أبو تمام :

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذَّبْتُ مَاءَ بُكَائِي (٢)

عابه النقاد لقبح الإستعارة في جعله للملام ماء ، ولكن الأمدى يقول : وهذا ليس بعيب عندي ، لأنه لما أراد أن يقول : قد استعذبت ماء بكائي ، جعل للملام ماء ليقابل ماء بماء (مشاكلة) كقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (٣) فالثانية ليست بسينة ، إنما هي جزاء عن سينة ، وكذلك : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ ﴾ (٤) والفعل الثاني ليس بسخرية ، ومثل هذا في الشعر الكلام كثير مستعجل (٥) .

١ - الموازنة ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

٢ - هذا من قصيدة يمدح فيها يحيى بن ثابت .

٣ - من الآية ٤٠ من سورة الشورى .

٤ - من الآية ٣٨ من سورة هود .

٥ - الموازنة ص ٢٤٤ .

٥ - يقول البحتري :

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَانَهَا فِي الْكَفِّ قَانِمَةً بِغَيْرِ إِنَاءٍ (١)

قال النقاد : لو ملئ الإناء رئيسا لكانت هذه حاله ، فما مزية الخمر ؟
ولكن الأمدى يقول : هذا عندي صحيح لا عيب فيه ، لأنه يريد أن شعاع
الشراب قوى غلب على رقة الزجاج . وقد أخذ هذا المعنى من علي بن
جبلة :

كَانَ يَدُ النَّدِيمِ تَدِيرُ مِنْهَا شِعَاعاً لَا تَحِيطُ عَلَيْهِ كَاسُ

ألا ترى أنه قد دل على أن الكاس في غاية الرقة (٢) .

٦ - يقول البحتري :

قِفِ الْعَيْسَ قَدْ أَدْنَى خَطَايَا كَلَالِهَا

وَسَلِّ دَارَ سَعْدَى إِنْ شَقَاكَ سُؤَالُهَا (٣)

قال الأمدى : اللفظ حسن ، والمعنى غير جيد ، لأنه قال : أدنى خطايا كلالها
أى قارب من خطايا وجعلها متقاربه ضعيفة كلالها وإعياؤها ، وكأنه لم يقف
لسؤال الديار ، وإنما وقف بسبب تعب المطى . والجيد قول عنتره :

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَافَتِي ، وَكَانَهَا فَدَنْ لَأَقْضِيَ حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ (٤)

١ - من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف .

٢ - الموازنة ص ٣٤٧ .

٣ - هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله ، والكلال : التعب .

٤ - هذا البيت من معلقته المشهورة . والفدن : القصر ، والمتلوم : المتمهل .

فإنه احتاط فجعل ناقته قوية عظيمة كالقدن وهو القصر ، حتى لا يظن أنه وقف ليريحها . (١)

أهم المآخذ التي وجهت إلى كتاب الموازنة .

أولاً : أنه حاول أن يرضى أصحاب أبى تمام ، وأصحاب البحترى معا فوقع فى تناقض فكرى بين الانتصار للطيف المعانى وهو الشئ الذى اعتبره ضالة الشعراء وطلبتهم ، وبه قدموا امرأ القيس زعيم الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية وبين الانتصار لحلو اللفظ وجودة الرصف وحسن الديباجة ، وكثرة الماء كما وجدها عند البحترى . ولقد سلم الأمدى لأبى تمام بلطيف المعانى ودقيقها وعده بها شاعرا مقدما ، ثم تحول عنه بعد ذلك فدعاه فيلسوفا أوحكيما ، وجعل دقيق المعانى موجودا فى كل أمة وفى كل لغة .

ثانياً : أن الأمدى جارى ما شاع بين الناس من أن أبا تمام حكيم وإنما الشاعر البحترى ، وهو بهذا خالف ما قد كان أخذ به نفسه فى أول كتابه . (٢) أنه لا يطلق القول بأيهما أشعر عنده .

ثالثاً : أن الأمدى تسرع فى الحكم بين الشاعرين قبل أن يقيم الموازنه التى وعد بها ، وهى الموازنة التى شرع فيها بين جزئيات أشعار الشاعرين ، واستعان فيها بالله على مجاهدة النفس ومخالفة الهوى وترك التحامل .

١ - الموازنة ص ٣٤٥ .

٢ - نفس المرجع ص ١١ .

الوساطة بين المتنبي وخصومه

للقاضي عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦

الجرجاني

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المشهور بالقاضي . ولد في جرجان سنة ٢٩٠ هـ ، ونشأ بها . وكانت الدولة الإسلامية قد بلغت نضجها العلمي ، وتعددت الحواضر الإسلامية تزخر بالعلم والعلماء ، وأصبحت الرحلة سبيل التعلم والدرس ، فجاب الأرض وزار العراق والشام والحجاز ، ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره ، واقتبس العلوم والآداب ، وصار فيها علماً وإماماً (١) .

اشتهر بالفقه ، وترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء ، وفسر القرآن الكريم ، وذكره السيوطي في طبقات المفسرين ، واشتغل بالتاريخ وله فيه آثار ، ثم هو شاعر متقن ، وكاتب مترسل ، وناقد لوذعي بصير . وفيه يقول صاحب اليتيمة : " حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقله إلى نثر الجاحظ ونظم البحتری ، وينظم عقد الإتفاق والإحسان في كل ما يتعاطاه (٢) " .

وللقاضي عدة تصانيف . منها تفسير القرآن المجيد ذكره ياقوت في معجم الأدباء ، وتهذيب التاريخ ذكره ياقوت ، والثعالبي في يتيمة الدهر ،

١ - مقدمه كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم ، على محمد البجاوي ص د .

٢ - يتيمة الدهر للثعالبي ٤ ، ٣ ط دار الباز للنشر والتوزيع .

والوساطة بين المتبني وخصومه ، والوكالة فى الفقه وفيه أربعة آلاف مسألة ، والأنساب ذكره ابن خلدون ، ولكن هذه الكتب لسوء الحظ مفقودة لم يبق منها سوى الوساطة .

وقد اشتهر القاضى الجرجانى بعدة صفات نفسية (١) أهله للقضاء بين الناس تارة وبين الشعراء تارة أخرى ، وأهم هذه الصفات الذكاء ومقدرته على التحصيل ، والصراحة فى قول الحق ، وحبه للصدق فلا يصدر حكما مبنيًا على هوى ، وميله إلى العدالة ، والصبر الذى دفعه إلى عزة النفس والأنفة من إذ لألها ، وانقباضه عن الناس وإيثاره للعزلة عنهم ، وحبه للجمال الذى جعله يتغنى بمظاهر الحسن فى شعره . وتوفى القاضى الجرجانى وهو قاضى بالرى (٢) سنة ٣٩٢ هـ ، ويجمع المؤرخون على أن تابوته نقل إلى مسقط رأسه جرجان (٣) ، حيث شيعته مدينته تشييعاً حافلاً ، وصلى عليه القاضى أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد .

سبب تأليف القاضى الجرجانى لكتابه الوساطة .

إن الدافع الذى دفعه لتأليف كتابه الوساطة يرجع إلى سببين : أحدهما : ما ذكر الثعالبي فى يتيمة الدهر قال : " ولما عمل صاحب رسالته المعروفة فى إظهار مساوئ المتبني وخصومه فى شعره " فأحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد فى فصل

- راجع القاضى الجرجانى للدكتور / أحمد أحمد بدوى ص ٣١ وما بعدها ط دار المعارف الثانية .

- معجم الأدياء ١٥١١٤ ، وطبقات الشافعية ٢ / ٣٠٨ .

- نفس المرجع والصفحة ، وشذرات ٣ / ٥٦ .

الخطاب ، وأعرب عن تبحره فى الأدب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار فى البلاد بغير جناح" (١)

ثانيها : أن القاضى الجرجانى أنس من نفسه استعداداً ليدلى برأيه فيما نشب من خصومة بين المتعصبين للمتبى (أمثال الصابى ، والضبى ، وأبى بكر الخوارزمى وابن جنى) والمتعصبين عليه (أمثال الصاحب والحامى ، وأبى هلال العسكرى) ويقول كلمة حق فى مسألة هو متمكن منها ، محيط بأبعادها علم بأقطارها ، وساعده فى تخريج كتابه هذا على الوجه الذى خرج به منطق القاضى فى التثبت بالاستدلال والاسترشاد والاستنباط والمقايسة والمحاجة وما إلى ذلك من آداب القضاء وروحه (٢) .

أهمية كتاب الوساطة فى النقد الأدبى

يعتبر كتاب الوساطة للقاضى الجرجانى من أهم كتب النقد فى القرن الرابع الهجرى ، لسببين ، أولهما أنه يتصل بشاعر من أكبر شعراء العربية ذكراً وأذيعهم شهرة ، وثانيهما أن القاضى كان مع كتابه موضوعياً حاول أن يناقش كثيراً من مشكلات النقد بطريقة علمية منهجية ، دون الاعتماد على مجرد الصاق التهم ، وإطلاق العيوب ، أو التفاخر الكاذب وإبراز ما للشاعر مما ليس له ، وادعاء مفاخر باطلة دون وجه حق (٣) .

١ - يتيمة الدهر ٤ / ٤ .

٢ - نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدى فرهود ص ١٠٥ .

٣ - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د/ محمد زغلول سلام ص ٢٨٣ .

يضاف إلى هذا أهمية ثالثة وهى أن الكتاب اشتمل على الكثير من الحقائق النقدية لشعر كبار الشعراء العرب ، مما يعكس اهتمام القاضى الجرجانى بالأدب العربى وتاريخه ومساهمته فى إبداء رأيه النقدى فى هذا التراث الأدبى .

منهجه فى الوساطة :

١. بدأ الجرجانى كتابه بعرض آرائه العامة فى النقد الأدبى ، وذكر أخطاء الجاهليين ، وتفاوت الشعراء تبعاً للزمان والمكان ، وتطور الشعر العربى إلى أن انتهى إلى البديع ، وهذا كله كتمهيد للدفاع عن المتنبى ، والتماس العذر له فيما أخطأ فيه .
٢. ثم يأخذ فى الدفاع عن المتنبى ، فيجعل خصومه نوعين : نوع يتعصب للمتقدمين ، ونوع يتعصب لأبى تمام فقط من المحدثين . وطريقته فى الدفاع عنه أن يسلم بعيوبه ، ثم يلتمس له العذر ، بقياسه إلى غيره من الشعراء ، وأن لكل شاعر الجيد والردئ ، وأنه لم يسلم شاعر قط من الخطأ ، ثم يأخذ فى عرض بعض روائعه من جيد شعره . ثم يهتم بالحديث عن (السرقات) ، فيرى أن السرقة تكون فى المعانى وتكون فى الألفاظ ، وكل منهما درجات ، ولكنه يرفض الاعتراف بالسرقة فى الألفاظ والمعانى العامة المشتركة بين الناس جميعاً . فالشاعر إذا أخذ معنى عاماً وأبرزه فى صورة أحسن كان غير معيب . كما يقول المتنبى :

فاستعار الحديد لوناً واللقى لونه فى ذوائب الأطفال

فهو وإن كان مأخوذ من قول العامة : " هذا أمر يشيب الطفل (١) " إلا أنه أظهره في صورة جميلة وزاد فيه زيادة حسنة .

٣. ثم ينتهي إلى مناقشة ما أخذ على المتنبى من العيوب ، فيسلم ببعضها إنصافاً للقيقة ، ويلتمس له العذر بأن غيره من الشعراء قد وقع فيما وقع فيه ، ويحاول الدفاع عن بعض أخطائه ، فيخونه التوفيق في بعض الأحيان . وهذه الأخطاء التي وجهت إلى المتنبى تتنوع بين التعقيد والغموض ، والإفراط والمبالغة ، والخطأ في اللغة ، والبعد عن الاستعارة (٢) ... إلخ .

وهو يرد على ذلك كله بالتماس الأعذار للمحدثين ، وأن القدماء قد أغلقوا عليهم أبواب المعاني ، وكانوا أكثر قرباً من صميم اللغة ، وكانوا أطبع عليها وعلى الفصح منها . ويهاجم المعترضين على المتنبى بأنهم أحد رجلين : إما رجل نحوى لغوى لا بصر له بصناعة الشعر ، وإما معنوى مدقق لا علم له بالإعراب واللغة .

وإذا كان منهج الجرجاني قد اتسم بالتعميم غالباً ، ووضع المبادئ والقواعد العامة ، والإكتفاء في التماس العذر في الردى بذكر الجيد ، والقياس إلى الشعراء ، فإنه لم يغفل النقد التفصيلي أحياناً .

- الوساطة ص ١٩٠ .

- دراسات في النقد الأدبي د/ حسن جاد ص ٨٩ وما بعدها .

أهم القضايا النقدية في كتاب الوساطة :

١ - الخلق الفني أو الشعري :

كان القاضي الجرجاني أحد النقاد الذين تناولوا منذ قديم بالتحليل موهبة الشعر ، ومقوماته وأثر الطبع والتكلف في جماله ، ووقع الشعر الجميل على النفس ، وما يكون لوجدانات الشاعر من أثر خاص في منهجه وطريقة تعبيره (١) ، ولذا فهو يحرص منذ الصفحات الأولى من كتابه الوساطة على أن يبدأ أولاً بحديثه عن موهبة الشعر فيقول :

" أنا أقول - أيدك الله - إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان ، ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلي والمخضرم ، والأعرابي والمولد ، إلا أنني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر ، فإذا استكشف عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية ، ولا طريق للرواية إلا السمع ، وملاك الرواية الحفظ ، وقد كانت العرب تروى وتحفظ ، ويعرف بعضها برواية شعر بعض ، كما قيل : إن زهير كان رواية أوس ، وإن الحطيئة رواية زهير ، وإن أبا ذؤيب رواية ساعدة بن جويرية ، فبلغ هؤلاء في الشعر حيث تراهم ، وكان عبيد رواية الأعشى ولم تسمع له

^١ - القاضي الجرجاني وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه د/ صلاح الدين محمد عبد التواب ص ٥ .

كلمة تامة ، كما لم يُسمع لحسين راوية جرير ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، والسائب راوية كثير ، غير أنها كانت بالطبع أشد ثقة ، وإليه أكثر استئناساً ، وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللسان ، وأنها سواء في المنطق والعبارة وإنما تفضل القبيلة أختها بشئ من الفصاحة .

ثم تجد الرجل منها شاعراً مقلداً ، وابن عمه وجار جنباه ولصيق طنبه بكيناً مفحماً ، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر ، والخطيب أبلغ من الخطيب ، فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة " (١) فالجرجاني في هذه الفقرة يعرض للخلق الفني فيرجعه إلى الطبع والذكاء والدرية والرواية . وقد فطن إلى أن الرواية عند العرب بمثابة التلمذة ، " فمن الشعراء من تتلمذ لغيره بأن صار راوية له فبرز في الشعر سائراً على نهج أستاذه حتى لتتكون أحيانا مدارس بعينها كتلك التي قامت على أوس بن حجر وزهير والخطينة . وقد أخذ هؤلاء الثلاثة بعضهم عن بعض ، وحدثنا عن ذلك القدماء ، فاستطاع ناقد حديث كالدكتور طه حسين أن يستنبط الخصائص الفنية التي تميز تلك المدرسة ، وأن يردّها إلى تنقيف الشعر ، ثم إلى الإعتماد على الخيال الحسى (٢) "

٢ - أثر الطبع والبيئة في أسلوب الشعر :

يرى القاضى الجرجاني أن لطبيعة المرء وبيئته أثراً في تفاوت الأسلوب الشعري بين الفخامة والضخامة والرقّة والعذوبة والسهولة والسلاسة تبعاً للطباع التي انتجته وللبيئة التي نشأ فيها إذ يقول : " وقد كان القوم يختلفون

١ - الوساطة ص ١٥ ، ١٦ .

٢ - النقد المنهجي عند العرب ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

فى ذلك وتتباين فيه أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره ، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودمائة الكلام بقدر دماثة الخلقة ، وأنت تجد ذلك ظاهرا فى أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجافى الجلف منهم كز الألفاظ ، معقد الكلام وعر الخطاب ، حتى إنك ربما ودت ألفاظه فى صورته ونغمته ، وفى جرسه ولهجته . ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك ، ولأجله قال النبى صلى الله عليه وسلم " من بدا جفا " ، ولذا تجد شعر عدى - وهو جاهلى - أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤية وهما أهلان ، لملازمة عدى الحاضرة وإيطانه الريف وبعده عن جلافة البدو وجفاء الأعراب ، وترى رقه الشعر أكثر ما تأتيك من قبيل العاشق المقيم ، والغزل المتهالك ، فإن اتفقت لك الدمثة والصبابه ، وإنضاف الطبع إلى الغزل ، فقد جمعت لك الرقه من أطرافها .

فلما ضرب الإسلام بجرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ونزعت البوادي الى القرى ، وفشا التأدب والتظرف واختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا الى كل ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعا وألطفها من القلب موقعاً وإلى ما للعرب فيه لغات فاقترضوا على أسلسها وأشرفها الخ (١)

٣- الفصل بين الدين والشعر

يري القاضي الجرجاني أنه لاعلاقة بين الدين وفن الشعر ، ويتعجب ممن ينقص أبا الطيب ، ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل علي ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة كقوله:

يترشفن من فمي رشقات .
هن فيه أحلي من التوحيد

" فلو كانت الديانة عارا علي الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، لوجب أن يمحي اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ، وكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبير وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلي الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكما خرسا ، وبكاء مفحمين ، ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر (١)

وهذه النظرة التي يري فيها القاضي الجرجاني ألا يحكم علي الشعر في إطار الدين يسبق بها الي حرية الشعر ، وهو رأى يجعله سابقاً في القول بنظرية (الفن للفن) التي يقول بها النقاد المحدثون .

والقاضي يري أنه ليس عارا علي الشعر سوء الاعتقاد عند الشاعر ، ويستدل علي ذلك بشاعريه أبي نواس ، وتقدم الجاهليين . وهو رأى صحيح إذا نظرنا الي الشعر في إطار نظريه الفن للفن . ولكننا إذا نظرنا إلي الشعر في إطار نظرية (الفن للحياه) فإن هذا المظهر النقدي للقاضي الجرجاني يكون فيه نظر (٢) .

١ - نفس المرجع السابق ص ٦٤ ، ٦٣

٢ - من مظاهر النقد الأدبي عند العرب ، د/ رفعت زكي محمود غيفي ص ٢٨٢

والحق أننا لسنا مع القاضي فيما ذهب إليه من الفصل بين الشعر والدين، وذلك لأنه لابد للشعراء أن يسيروا في ركب الدين حتي يدخلوا في الطائفة المستتناة من الشعراء في قوله تعالى " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " . كذلك لا يصح أن ينظر إلي الشعر علي أنه ليس إلا ألفاظا وأخيلة من تشبيهات واستعارات ونحوها، ولا يليق أن نعهده من وحي الشياطين، فيكون لهوا وعبثا في الحياه لاغير ، وإنما يجب أن يكون الشعر ألهاما شريفا، ووحيا صالحا ، وعملا نافعا في هذه الحياه ، ويدعو إلي النهوض ويجهر بالإصلاح ، ويوقظ النفوس النائمة هداية فينفعون ولا يضررون ، ولا يكون في هذه الحياه أبواقا للشياطين .

٤- المنهج النفسي:

من القضايا التي تظهر بوضوح في الوساطه والتي اعتد بها في النقد ، ذلك الاتجاه النفسي الإنساني الذي يعد الجرجاني من أوائل من التفت إليه " فهو يقيس العمل الأدبي بمقدار تأثيره في نفس السامع ، بما يحويه من عناصر إنسانية صادقة يكون لها صدي في النفوس ، وهذا اتجاه نفسي في النقد قل أن تجد له مثيلا عند النقاد الآخرين والحق أن صفة الإنسانية واضحة عند هذا الناقد في الكثير من اتجاهاته" (١)

والي تلك الإنسانية نستطيع أن نرد الكثير من آرائه في النقد ، ولعل تلك الصفة أوضح ماتكون في حرصه علي أن يكسب مناظره . فهو لا يبدي رأيه فحسب ، ولا يكتفي بالتعليل ، بل يسلك إلي إيمان من يحاجه كل السبل ، فهو يعرض لمثل قول البحتري:

ألام علي هواك وليس عدلا إذا أصيبت مثلك أن ألاما
أعدي في نظرة مستثيب توخي الأجر أو كره الأثاما
تري كبدا محرقة وعينا مؤرقة وقلبا مستهما

فيقول : " ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ، ويستخفك من الطرب إذا سمعته ، وتذكر صبوة إن كانت لك تراها ممثلة لضميرك ، ومصورة تلقاء ناظر " (١)

ولا يكتفي الجرجاني بالقصيدة السابقة التي أوردتها للبحثري كمثال للشعر السهل الجميل في رصانته ، بل يستدرك مخاطبا القارئ " فإن قلت هذا نسيب والنفس تهش له والقلب يعلق به والهوي يسرع إليه فأنشد له في المديح قوله :

بلونا ضرائب من قد نري فما أن وجدنا لفتح ضريبا
هو المرء أبدت له الحادث ت عزمنا وشيكا ورأيا صليبا

ويورد الناقد تلك القصيدة الجميلة التي قالها البحثري في محمد الفاتح بن خاقان ، حتي إذا انتهى منها لم يقف في حاجته عند ذلك الحد أيضا ، بل عاد إلي القارئ يمعن في محاولة كسبه فيقول :

" وإنما أحلتك علي البحثري لأنه أقرب بنا عهدا ونحن به أشد أنسا ، وكلامه أليق بطباعنا وأشبه بعاداتنا ، وإنما تألف النفس ما جانسها وتقبل الأقرب إليها (٢) وهكذا رأيناه يعني عنايه شديدة بالأثر النفسي الذي ينتقل من خلال النصوص بما يكسوها من فيه الصدق ، وروعة الأداء ، كما يعني بإبراز المعالم الإنسانية التي ينضح بها أسلوب الشعر .

• الوساطة ص ٢٧ •

• نفس المرجع ص ٢٩ •

٥- اختلاف الأسلوب باختلاف الغرض:

لاحظ القاضي الجرجاني أن الأسلوب الشعري يختلف باختلاف الغرض ، وأنه يختلف بحسب طبيعة الشاعر ونفسيته ويتلون بدرجة حماسه وقوة انفعاله، فالغزل غير الافتخار والمديح غير الهجاء والحماسة غير الاعتذار .

يقول الجرجاني : " ولا أمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجري واحدا ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجائك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، فكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه .

وليس مارسمته لك في هذا الباب بمقصود علي الشعر دون الكتابه ، ولا بمختص بالنظم دون النثر ، بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعيد خلاف كتابك في التشوق والتهنئة واقتضاء المواصله ، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت " (١) .

٦- تذوق الجمال الأدبي بين الذاتية والموضوعية:

إن التذوق الجمالي للعمل الأدبي لا ينبع من الأشياء وحدها ، ولا من النفس من غير مؤثرات مباشرة أو غير مباشرة ، وإنما هو في هاتين الناحيتين وفيما بينهما من تجاوب ، وبهذا يجمع الجمال الحق بين الذاتية التي

تتسجم مع الإحساس بالكمال العقلي ، وبين الموضوعية التي يتجلى فيها
التناسق والتوازن ولا سيما حين يبدو ذلك في توحيد العناصر المتفرقة (١)
والقاضي الجرجاني خير من يمثل كل من الذاتيين والموضوعيين معا
في تحديد الجمال والإحساس به ، فهو يري أن الكلام أصوات وقعها من
الأسماع وقع الصور من الأبصار يقول: "وأنت قد تري الصورة تستكمل
شرائط الحسن ، وتستوفي أوصاف الكمال ، وتذهب في الأنفس كل مذهب ،
وتقف من التمام بكل طريق ، ثم تجد أخرى دونها في انتظام المحاسن ، والثناء
الخلق ، وتتأصف الأجزاء ، وتقابل الأقسام ، وهي أحظي بالحلاوة ، وأدني
إلى القبول ، وأعلق بالنفس وأسرع ممازجة للقلب ، ثم لاتعلم - وإن قاسيت
واعتبرت ، ونظرت وفكرت - لهذه المزية سببا ، ولما خصت به مقتضيا .
ولو قيل لك كيف صارت هذه الصورة ، وهي مقصورة عن الأولي في
الأحكام والصنعة ، وفي الترتيب والصيغة ، وفيما يجمع أوصاف الكمال ،
وينتظم أسباب الاختيار أحلي وأرشق وأحظي وأوقع ؟ لأقمت السائل مقام
المتعنت المتجانف ، ورددته رد المستبهم الجاهل ، وكان أقصى ما في وسعك ،
وغاية ما عندك أن تقول : موقعه في القلب ألطف ، وهو بالطبع أليق ، ولم تعدم
مع هذه الحال معارضا يقول لك: فماعبت من هذه الأخرى ؟ وأي وجه عدل
بك عنها ؟ ألم يجتمع لها كيت وكيت
وتتكامل فيها ذيه وذيه وهل للطاعن إليها طريق وهل فيها لغامز مغمز
يحتاج بظاهر تحسه النواظر وأنت تحيله عن باطن تحصله الضمائر" (٢) .

١- الأصول الفنية للأدب للأستاذ عبد الحميد حسن بتصرف ص ١٦ ط مكتبة الأنجلو

فالقاضي الجرجاني من هذه الوجهة إنما يراعي الجانب الذاتي في نظرتة الجمالية للعمل الأدبي ، وكأنه يريد أن يقول : إن ماكان موافقا للقواعد الجمالية والمقاييس الموضوعية لا يكون حتما جميلا .

بل قد يخل الشئ بهذه القواعد ومع ذلك يكون أدنى إلي القبول وأعلق بالنفس وأسرع ممازجة بالقلب - علي حد تعبيره - فكان الجمال عنده - فيما سبق من الرأي - كامن في النفس ، لا ظاهر في الشكل ، ومن هذا الجانب يكون الإحساس الجمالي نابعا من الصلة الوثيقة بين يواطن الأشياء ويواطن النفوس (١) .

علي أن القاضي الجرجاني في تلك النظرية الجمالية لم يركن إلى هذا الجانب الذاتي فحسب بل إنه جعل نصيبا لأهل الصنعة في تقديرهم للجمال وتحديدهم لمواطن التأثير به والانفعال له .

فإذا كانت القدرة علي كشف الجمال الباطن في كل عمل أدبي فإنهم كذلك قادرون علي تحديد خصائص هذا الجمال بما كسبوا من خبرة ودراية ، وفي النص التالي ما يجمع بين الاتجاهين في تقدير القاضي الجرجاني ، يقول : " والشعر لا يوجب إلي النفوس بالنظر والمحاكاة ، ولا يحل في الصدور بالجدال والمقايسة ، وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة ، ويقرب منها الرونق والحلاوة ، وقد يكون الشئ متقنا محكما ، ولا يكون حلوا مقبولا ، ويكون جيدا وتقيا ، وإن لم يكن لطيفا رشيقا .

١ - القاضي الجرجاني وكتابه الواسطه بين المتنبى وخصومه ، د/ صلاح الدين محمد عبد

وقد يجد الصورة الحسنه والخالقه التامة مقلبه ممقوته ، وأخري دونها
مستحالة مرموقة ، ولكل صناعة أهل يرجع إليهم في خصائصها ، ويستظهر
بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها " (١) .

فإذا كان أول النص يشير إلي مافي العمل الأدبي نفسه من دواعي
الإحساس بالجمال فإن آخره لا يغفل الدور الذي يمكن أن يؤديه أهل الصناعة
في عملهم حتي يوصف بالجمال ويكون موضع القبول والاستحسان .

ولم يكن الأمر انتكاسا من القاضي الجرجاني - كما زعم البعض - (٢)
عند مانظر إلي الجمال تلك النظرة الذاتية الموضوعية معا ، وإنما هو المذهب
الوسط في تحديد منابع الإحساس بالجمال .

فلا الذات وحدها يمكن أن تحيط بكل مواطن الجمال مع غض النظر
عما في الأثر الأدبي من مظاهر الدقه والروعة والإحكام ، ولا الصنعة وحدها
بما تصنعه من مقاييس الجودة الأدبية بقادرة علي تحديد مصادر هذا الجمال
دون اعتبار لهذا الاتصال الداخلي بين نفس المتذوقين وعمل المنشئين (٣) .

٧ - عمود الشعر:

وصف القاضي الجرجاني عمود الشعر وحدد بعض خصائصه في
قوله : " وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف
المعني وصحته وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف
فأصاب ، وشبه فقارب ، وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد

١ - انوساطه ص ١٠٠ .

٢ - راجع الأسس الجمالية في النقد العربي د / عز الدين إسماعيل ص ١٦٦ .

٣ - القاضي الجرجاني وكتابه الوساطه د/ صلاح الدين محمد عبد التواب ص ٩٥ .

أبياته ، ولم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض " (١) .

بهذا جمع خصائص القصيدة العربية القديمة قبل أن تمتد إليها يد التجديد التي ذهبت بمعظم تلك الخصائص كما ندركه في شعر المولدين .

٨ - البديع:

تحدث القاضي الجرجاني عن البديع وألوانه عند الشعراء القدامى ، والمحدثين وبين كيف كان يقع عند القدامى عفواً فيزيد الكلام بهاء ويكسوه رونقاً ، فلما تكلفه المحدثون وأسرفوا فيه أكسب كلامهم سماجة وزاده غثاثة وبرودة .

يقول: " وقد كان يقع ذلك من خلال قصائدها ، وينفق لها في البيت بعد البيت علي غير تعمد وقصد ، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة والطف ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع ، فمن محسن ومن مسيء ، ومحمود ومذموم ، ومقتصد ، ومفرط " (٢) وقد أفاض الجرجاني في الحديث والاستشهاد عن الاستعارة والتشبيه ، والتجنيس والمطابقة والتصنيف والتقسيم وجمع الأوصاف والاستهلال والتخلص والخاتم .

٩ - السرقات الأدبية :

من أهم القضايا النقدية التي عرض لها القاضي الجرجاني في الوساطة ، قضية السرقات الأدبية ، والسرقة عنده يقع في المعاني الخاصة التي

١ - الوساطة ص ٣٣ ، ٣٤ .

٢ - نفس المرجع ص ٣٤ ،

ابتدعها منشئها ولم تستفص بتداولها : سواء اتفقت أغراضها أم اختلفت كما بين أنه أى السرقة - لا يقع ولا يحكم بوقوعه فى الألفاظ - إذا لم تكن خاصة - لأنها منقولة متداولة ، ولا فى المعانى الخاصة إذا استفاضت وتدوالت ، وبعد أن أوضح الجرجانى أن السرقة داء قديم تتبع سرقات المتبى ، وبلغ مجموع ما أثبتته منها أكثر من ثلثمائة مثال ، ومنها ما أخذه من أبى تمام ومن البحرى ومن غيرهما ، وفى عدد منها تعقيب من الجرجانى باستحسان المعنى أو استهجانها ، أو بوصف الأخذ أو بيان زيف الدعوى فيه (١) .

من هنا نستخلص أن السرقة - عند القاضى الجرجانى لا يكون إلا فى المعانى الخاصة ، وهذه الخصوصية تأتى للمعنى من الانفراد بلفظة تستعذب ، أو ترتيب يستحسن ، أو تأكيد يوضع موضعه ، أو زيادة اهتدى إليها الأديب دون غيره ، فيريك المشترك المبتذل فى صورة المبتدع المخترع . فتشبيه الخد بالورد والورد بالخد من الباب الذى لا يدعى فيه السرقة إلا بتناول زيادة تضم إليه أو معنى يشفع به كقول على بن الجهم :

عشبة حياى بورى كأنه
خدود أضيفت بعضهن إلى بعض
فأضاف بعضهن إلى بعض له ، وإن أخذ يؤخذ ، وإليه ينسب . وكقول ابن

المعتز :

بياض فى جوانبه احمرار
كما احمرت من الخجل الخدود
" فلم يزد على ذلك التشبيه المجرد ، لكن كساه هذا اللفظ الرشيق فانفرد بفضيلة لم ينازع فيها .

فصاحب مثل هذه الإضافة ومثل هذه الزيادة يكون أولى بالترتيب وأحق بالتركية (١) .

أهم المآخذ التي وجهت إلى كتاب الوساطة :

١ - إن القاضي الجرجاني لم يحدد في وضوح مكان أبي الطيب بين الشعراء ، وعندما " قسم شعره فجعله في الصدر الأول تابعاً لأبي تمام ، وفيما بعده واسطة بينه وبين مسلم " وعندما جعلك " لا تدعى لأبي الطيب طريقة بشار وأبي نواس ... ولو ادعيت أنه إنما تخادع نفسك ، أو تباهت عقلك ، وإنما أنت أحد رجلين أما أن تدعى له الصنعة المحضة ، وتلقه بأبي تمام ، وتجعله من حزبه ، أو تدعى له فيه شركاً ، وفي الطبع خطأ فإن ملت به نحو الصنعة فضل ميل صيرته في جنب مسلم ، وإن وفرت قسطه من الطبع عدلت به قليلاً نحو البحترى " . (٢) عندما قال ذلك لم يزدنا علماً بمكان أبي الطيب ، ولكنه شككت في موضعه الحقيقي أين يكون .

٢ - القاضي الجرجاني لم يلتزم في (الوساطة بين المتنبي وخصومه) ، وإنما ترى أنه وضع نفسه وفكره - نظراً وتطبيقاً - موضع المحامي عن المتنبي . ولقد ركز الجرجاني دفاعه في أمر واحد ، وهو أن أبا الطيب ليس بدعا في الشعراء ، فهو لا يخلو مما يذم به كما لم يخل كثير من الشعراء من مثل

- الوساطة ص ٨٦ وما بعدها ، ويرجع أيضاً اتجاهات النقد الأدبي العربي ، لأستاذنا الدكتور محمد السعدى فرهود ص ١٩٠ وما بعدها .

٢ - الوساطة ص ٤٩ ، ٥٠ ، ويرجع أيضاً القاضي الجرجاني د/ أحمد أحمد بدوى ص

ذلك، ومنهم المقدم في الجاهلية والإسلام ومنهم المشهود له بالفضل بين المحدثين كأبي نواس وأبي تمام .

٣ - سلم الجرجاني بكثير من هنات أبي الطيب وأنضم إلى من يعيبونه بها ، وما ذاك إلا لأن القاضي الجرجاني لم يجد مجالا لتبرئته منها .
ولقد اعتمد الجرجاني في النظر إلى إحسان الشاعر في الجملة وإلى ألا يكون البيت أو الأبيات ركيزة للغض من شعره كله ، وتهجين أمره كله . وهذا المنطلق يسامح في العيوب ويساهل في إقرارها ، ويلتمس لها الأعذار .
وكان أولى له أن يشجبها وينفيها ويكف الناشئين عن مثلها . (١)

بين الأمدى والجرجاني :

١ - تأثر القاضي الجرجاني في كتابه " الوساطة " بمنهج الأمدى في كتابه " الموازنة " تأثراً كبيراً ، فقد حكم القاضي الذوق في نقده كما حكمه الأمدى ، ومآل الحكم في النهاية عند الرجلين هو " عمود الشعر " ويجعل القاضي الجرجاني كتاب " الوساطة " حواراً أدبياً بين أنصار المتبني وخصومه ، كما جعل الأمدى الموازنة حجاجاً علمياً بين أنصار أبي تمام وأنصار البحتري ، ونهجا منهجا واحداً في بحث السرقات الشعرية وبعض ألوان البديع .
٢ - كل منهما كان حكماً محايداً في الخصومة حول الشعراء . وكل منهما يفضل الشعر المطبوع ، ويميل إلى عمود الشعر ، وطريقه البحتري . ولكن الجرجاني لم يتعصب لذلك ، بل كان أميل من الأمدى إلى الشعر الحديث . (٢)

١ - نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدى فرهود ص ١٤٤ .

٢ - دراسات في النقد الأدبي د/ حسن جاد ص ٩٢ .

٣ - الأمدى تغلب عليه الناحية الفنية فى النقد ، والجرجانى تغلب عليه الناحية الإنسانية فى النقد " ولعل للأمدى فى ذلك عذره ، فهو قد تناول بالدرس شاعرين ثارت الخصومة حولهما بسبب اختلافهما فى طرق الصياغة فحسب ، بينما الجرجانى لم ينتقيد بقيد كهذا ، فالمتبنى لم يختصم فيه الناس من أجل مذهب فنى وإنما اختصموا فى الرجل وطبعه وفنه الأصل الذى لم يجر على مذهب بعينه ، ولا اصطنع وسائل خاصة " . (١)

٤ - الجرجانى فى المرتبة الثانية بعد الأمدى ، لأن معظم آرائه العامة قد سبقه إليها صاحب الموازنة ثم إن الأمدى قد كتب كتابه كله فى النقد الموضعى الدقيق المفصل ، بينما صاحب الوساطة يكتفى بالدفاع المنطقى عن المتبنى ، ويورد له الأشعار الجيدة فى مقابل الرديئة ، ولكنه لا يبصرنا بمواقع الجودة أو الرداءة. والجرجانى أميل إلى المنطق من الذوق الفنى بينما الأمدى كان أبعد ما يكون عن المنطق ... ومع ذلك ففى الجرجانى صفات العالم القاضى النزيه المنسق المتواضع " (٢)

١ - النقد المنهجى د/ محمد مندور ص ٢٦٤ .

٢ - نفس المرجع ص ٣٠٧ .

تحول النقد الأدبي إلى بلاغة

النقد الأدبي أبو البلاغة العربية، في حجره نشأت وفي رحابه درجت، فهي تنسب إليه، وتنبثق عنه ، ولهذا توثقت الصلة بينهما ، فالنقد نظرات فاحصة في الأدب ، تتبين من خلالها محاسنه ومساوئه وتكشف بها وجوه كماله ونقصه ومواطن جماله وقبحه ، وأسباب ما أصاب من رفعة أو ضعة وهذه النظرات في استمرارها وفيما تكشف عنه وجهت أولئك الناظرين إلى دراسة الأساليب البيانية في هذا الأدب ، ومهدت لتبين الأسباب التي يتحقق بالتزامها جمال الكلام ، وهذه الأسباب هي التي تحولت إلى تلك القواعد والأسس والأصول للبلاغة العربية .

والملاحظ ارتباط البلاغة بالنقد الأدبي كان قوياً وشاملاً في القرون الأولى ، وكانت الروح الأدبية مهيمنة غالبية على هذا الارتباط وبهذا كانت دراسة البلاغة في ظل النقد الأدبي أدبية مثالية ، تتجه إلى بيان ما ينبغي أن يكون عليه القول الحسن ، وما به أن يكون جميلاً . فلما اتضحت النزعة الفلسفية المنطقية والاتجاه الكلامي في دراسة البلاغة تميزت عن النقد الأدبي ، وأخذت الصبغة العلمية . وصارت دراستها قاعدة وصفية ، تتجه إلى بيان القواعد الإصطلاحية في تعريف التشبيه وأقسامه والاستعارة وأنواعها وهكذا ، وبهذا ابتعدت البلاغة عن النقد في أخص خصائصه ، وهو التذوق الأدبي (١) وفي نهاية القرن الرابع الهجري ، ظهرت كلمة البلاغة بمدلولها الاصطلاحي المعروف وألف عبد القاهر الجرجاني كتاب (أسرار البلاغة) وهو مدرك لهذا المدلول تمام الإدراك . ويقول المؤرخون للبلاغة إن عبد

القاهر هو الذى وضع الأسس الواضحة لهذا العلم ، بتأليفه كتاب (دلائل الإعجاز) فى (علم المعانى) و (أسرار البلاغة) فى (علم البيان) (١).

البديع فى نقد الشعر

لعبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ

ابن المعتز

أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل من الخلفاء العباسيين ، تحزب له جماعة من الجنود والأترار وخلصوا المقتدر سنة ٢٩٦ وبأيعوا لابن المعتز ، وسموه المرتضى بالله ، أقام يوماً وليلة ، ثم تحزب أبناء المقتدر وحاربوا أعوان ابن المعتز ، وأعادوا المقتدر ، وقتلوا ابن المعتز وكان شاعراً مطبوعاً وهو من الأدباء والعلماء تتقف على المبرد وثلعب وغيرهما ، وله كتاب طبقات الشعراء وكتاب الأدب مختصر طبقات الشعراء ، وكتاب البديع ، وكتاب أشعار الملوك ، وكتاب الجامع فى الغناء ، وكتاب السرقات ، وكتاب الجوارح والصيد ، وكتاب الزهر والرياض (٢).

وقد أسلمت المدرسة البيانية فى الحكم على الأدب وفى تذوق زعامتها إلى ابن المعتز الذى ربى فى ظلال النعمة والحسب المنيع ، والشرف الرفيع ، وهو أديب شاعر ، ذو عاطفة جياشة ، وحس مرهف فجرى أثر تلك النعمة ، وبدأ الفن فى أروع صورته ، وأجمل معانيه وأعذب فنونه فى شعره الذى كان لايسوغه رغباً ولا رهياً ، ولا يتطلب به حاجات العيش والحياة ، ولا يتزلف به

١ - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة ، د ١ محمد ز غول سلام ص ٢٣ .

٢ - يرجع مقدمة طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج ص ٨ وما بعدها ط دار المعارف .

إلى صاحب جاه أو سلطان ، لأنه من أصحاب الجاه وذوى السلطان ، وإنما شعره تعبيراً عن تجاربه ، وإعراباً عن أحاسيسه فى أجمل حلة ، وأعذب بيان ، فهو ينظر إلى شعره نظرة الرسام إلى صورته والنحات إلى تماثيله ، والصانع إلى دميته ، وكل هؤلاء يجيدون فنونهم لتبدو أمام الناس فى صورة زاهية معجبة (١) .

البديع فى نقد الشعر :

لاينسى ابن المعتز - وهو يخط سطورہ الأولى فى مؤلفه هذا - أن يعلن عن غايته إعلاناً دون مواربة (٢) . ، وهذه الغاية هي : أن يثبت للمحدثين أنهم لم ي اخترعوا البديع الذى يلهجون به وكأنما كان هناك من يزعم أن المحدثين هم الذين أنشأوا البديع إنشاءً ، فلم تكن العربية تعرفه حتى ظهر بشار ومن خلفه من المحدثين ، وتلاه أبو نواس ومسلم يتزايدان فيه ، حتى إذا كان أبو تمام أوفى على الغاية ، ولم يسم ابن المعتز أصحاب هذا الزعم ، ولكنهم لا يخلون من أحد اثنتين : متفلس متعصب لم يتعمق فى الأدب العربى وأصوله ، أو شعوبى ممن يغمطون العرب القدماء حقهم ، وينكرون عليهم كل فضل ، فتصدى لهم ابن المعتز ناقضاً دعواهم الباطلة ، بالدليل القاطع أن البديع قديم فى العربية ، بل إنه ليضرب فى القدم حتى العصر الجاهلى ، أما المحدثون من أمثال بشار ، فمالهم من ذلك إلا الإكثار من هذه الفنون ويبين أن أبا تمام أفرط فى استخدامها مما جعله يحسن تاره ، ويصيب أخرى (٣) .

١ - دراسات فى النقد الأدبى العربى د/ بدوى طبانة ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

٢ - كتاب البديع لابن المعتز ص ١ ، ص ٢ .

٣ - يرجع مراحل البحث البلاغى فى اللغة العربية د / حسن إسماعيل عبد الرازق ص ٦٣

وقد جعل فنون البديع خمسة : وهى : الاستعارة ، والتجنيس ،
والمطابقة أو الطباق ، ورد الإعجاز على ما تقدمها ، والمذهب الكلامى ،
وعدما سوى هذه الخمسة محاسن ، وهذه المحاسن هى : حسن الالتفات -
الاعتراض - الرجوع - الخروج من معنى إلى معنى - تأكيد المدح بما يشبه الذم
- تجاهل العارف - الهزل يراد به الجد - حسن التضمين - التعريض والكناية -
الإفراط فى الصفة - حسن التشبيه - إغاث الشاعر نفسه فى القوافى - حسن
الابتداءات - لزوم ما لايلزم .

وفى تناوله فنون البديع الخمسة والمحاسن كان يبدأ بذكر الفن ،
ويعطى له أمثلة وشواهد من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وأقوال
المتقدمين وأشعارهم ، ثم أقوال المحدثين وأشعارهم (١) .

وقد أتاح هذا التناول لعلوم البلاغة أن تنمو ، ولهذه الفنون والمحاسن
نفسها أن تزداد ، ويتسع القول فيها . وعلى سبيل المثال : أو أصلها أبو هلال
العسكرى إلى خمسة وثلاثين (٢) وزادها من جاء بعده عدداً أو نوعاً ،
وتقاسمتها بعد ذلك علوم البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديع ، وبذلك انتقل
الكلام فيها إلى هذه العلوم من ميدان الدراسات النقدية ، فخصص البحث فيها
للمناهج التكرارية التعليمية (٣) .

والحق أن ابن المعتز يكفيه فضلاً أنه أول من صنف البديع ، ورسم
فنونه ، وكشف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البيانية والشواهد الناطقة ،

١ - اتجاهات النقد الأدبى العربى د/ محمد السعدى فرهود ص ٢٧٧ .

٢ - الصناعتين : ص ٢٦٦ وما بعدها .

٣ - اتجاهات النقد الأدبى العربى د/ محمد السعدى فرهود ص ٢٧٧ .

بحيث أصبح أماما لكل من صنفوا في البديع بعده ، ونبراساً يهديهم السبيل (١)
ويؤخذ على ابن المعتز أنه لم ينتبه فيما اهتدى إليه من وسائل الحسن
البياني إلى ما هو أصيل لا تستغنى عنه العبارة أو الصورة الأدبية ، أو المعنى
الشعري ، وما هو كما لم تتم الصورة بدونه من غير أن يلحظ نقص في مبناها
أو اختلال في معناها .

أو بعبارة أخرى لم ينتبه ابن المعتز إلى خصائص بعضها يتصل
بالجوهر وبعضها يمكن أن يكون عرضاً . فالتشبيه والاستعارة والكناية صور
ووسائل لا يستغنى عنها الفن الأدبي بخلاف أكثر الدروب الأخرى التي
أحصاها ، والتي يمكن أن تعد ضرورياً من الإفتتان البياني الذي يستطيع الأديب
أن يغفل عنه ، ولا يظعن ذلك الإغفال في أن نتاجه الأدبي جيد وجميل (٢) .

نقد الشعر لقدامة بن جعفر

قُدّامة :

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد . ولد - علي
الأرجح - في بغداد سنة ٣٧٥ هـ ، وكانت وفاته بها سنة ٣٣٧ هـ (٣) . كان
قدامة من أوسع أهل زمانه علماً وأغزرهم مادة ، أخذ بنصيب وافر من ثقافة
عصره الإسلامية ، فبرع في اللغة والأدب والفقه ، والكلام والفلسفة ، والحساب

١ - البلاغة تطور وتاريخ ص ٧٥ .

٢ - دراسات في نقد الأدب العربي د/ بدوى طبانة ص ٢٦٤ .

٣ - نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدي فرهود ص ٤٦ .

وكان يمدّه في ذلك ذكاء قوي وطبع سليم ، وشغف بالاطلاع والتحصيل شديد ، هذا الي خلق قويم ونفس عالية تجافت به عن تبذل العامة وإسفافها ، وبذلك أصبح مثالا جميلا للعالم الإسلامي المذهب في أوائل القرن الرابع الهجري . والمصادر كلها مجمعة علي نعته بالفضل والبلاغة والفلسفة ، والبراعة في الحساب والمنطق (١) .

أحصي له ابن النديم من مصنفاته اثني عشر كتابا وهي :
كتاب الخراج - نقد الشعر - صابون الغم - صرف الهم - جلاء الحزن - درياق الفكر - السياسة - الرد علي ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام - حشو حشاء الجليس - صناعة الجدل - الرسالة في أبي علي بن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب - نزهة القلوب وزاد المسافرين (٢) .

واشهر هذه الكتب ثلاثة: الخراج ، والألفاظ ونقد الشعر ، وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ، والنقاد الأعلام ، وكتابه نقد الشعر ذو أثر كبير في حركة النقد العربي ونهضته (٣) .

سبب تأليفه لنقد الشعر :

ذكر قدامة في أول صفحة من صفحات كتابه ، أن مادفعه إلي الكتابه في نقد الشعر : أنه لم يجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا ، وأنه رأي الناس يخطئون في ذلك منذ تفقهوا في العلم وقليل ما يصيبون ، وهو بذلك ينكر ماكتب قبله في تمييز جيد الشعر من رديئه ، فلا " ثعلب " في

١- تقديم عبد الحميد العبادي لكتاب نقد النثر ص ٣٨ ط دار الكتب العلمية بيروت .

٢- نفس المرجع ص ٤٠ .

٣- راجع تقديم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي لكتاب نقد الشعر ص ٤٨ ط مكتبة الكليات

"قواعد الشعر" ولا ابن المعتز في "كتاب البديع".

منهجه في كتاب نقد الشعر:

قدامة في كتابه هذا قد وضع منهجا نقديا جديدا لنقد الشعر ، وهو منهج عقلي بحث بعيد كل البعد عن روح التذوق التي هي الأساس في تفسير الشعر وفي فهمه ونقده.

يقول الدكتور مندور : "وأما قدامة فعقليته شكلية صرفة ، وهو لا يبدأ بالنظر في الشعر بل يكون أولا هيكلًا لدراسته ويحدد تقاسيمه ، أو إن شئت فقل : إنه يصنع قطعة أثاث هندسية التركيب ثم يأخذ في ملء أدرجها" (١) .
ومرد ذلك إلى ثقافة قدامة التي غلب عليها الطابع اليوناني الفلسفي أكثر من طابع الثقافة العربية التي تلقاها في صدر حياته . " فقد وقف على كتابي أرسطو - الشعر - و - الخطابة - وأخذ عنهما أخذاً مباشراً في بحوثه وموضوعاته " (٢) .

ومهما يكن فإن قدامة قد تأثر تأثراً واضحاً بمنطق أرسطو وفلسفته في نقده ، وبدا ذلك في محاولته تنظيم بحوث النقد والقدرة على الترتيب والتحديد والتقسيم ورسم منهج متكامل ساعده عليه إشتغاله بالمنطق والحساب إلى جانب دراسة الفلسفة (٣) .

يقول محقق كتابه : " وظهر قدامة في أول القرن الرابع ورجوعه إلى البيان اليوناني ومافيه من موازين للنقد ، ومناهج لبيان يلقي بها البيان العربي ويضع بها أسس النقد الأدبي كان تطورا جديدا في بحوث النقد والبيان ، وكان

١ - النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ص ٦٨ ، ٦٩ .

٢ - البلاغة تطور وتاريخ ، د/ شوقي ضيف ص ٨١ ط دار المعارف .

٣ - تاريخ النقد والأدبي والبلاغة د/ محمد زغلول سلام ص ١٩٧ .

عقل قدامة المنطقي يغلب ذوقه الأدبي فزل أحيانا في نقده من حيث قوم ذوق ابن العميد والصاحب ابن عباد وأبي هلال العسكري أحكام عقولهم في النقد وأن تبعوا منهج قدامة وجروا في فهم الشعر وتذوقه ونقده مجراه الذي أوضح في كتاب نقد الشعر (١) .

الأقسام الأساسية لكتاب نقد النثر:

كتاب نقد الشعر : فيه ثلاثة أقسام:

القسم الأول - تناول فيه قدامة حد الشعر، وفصل القول في عناصره الأربعة (اللفظ والوزن والقافية والمعني) مفردة ومؤتلفة ، ولكل منها صفات ونعوت : فنعت اللفظ سهولة مخرجه من موضعه وأن يكون عليه رونق الفصاحة وأن يخلو من البشاعة . ونعت الوزن " عروضه " ونعت القافية عذوبة حرفها وسلاسة مخرجها . ونعت المعني أن تأتي به أغراضه ، وهذه الأعراض : مديح أو هجاء أو رثاء أو نسيب أو وصف أو تشبيه . والمديح يتوجه إلي فضائل الرجال وهي عنده أربع : العقل والعفة والعدل والشجاعة . والهجاء عند قدامة ضد المديح فهو يتوجه إلي رذائل الناس . والرثاء عنده مديح للميت . والنسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوي به معهن . والوصف ذكر أحوال الشئ وهيناته ويكون أجود باستيفاء المعاني المركب منها الموصوف . والتشبيه يقع إذا كان بين الشينين اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد بها كل منهما وكلما كثرت المعاني المشتركة بينهما دنا التشبيه إلي حال الاتحاد .

القسم الثاني - فصل فيه قدامة وجوه الحسن في المعاني الشعرية ، وجماعها سبعة أمور : التقسيم وصحة المقابلة وصحة التفسير ، والتتميم ، والمبالغة والتكافؤ (الطباق) ، والالتفات .

القسم الثالث - فصل فيه قدامة عيوب المعاني ، وتجتمع أساسا في : فساد الأقسام وفساد المقابلات ، وفساد التفسير ، والاستحالة ، والتناقض ، ومخالفة العرف ، والالتيان بما ليس في العادة والطبع ، ونسبة الشيء إلى ما ليس له وهناك عيوب تنتج عند الائتلاف مثل : الإخلال ، والحشو والبتر والتكلف (١) ومثل التوبيخ لا يمكن إلا أن يكون صدي للثقافة اليونانية بخاصة ، فضلا عن أن أسلوب قدامة فيه هو أسلوب المنطقيين بحدودهم ورسومهم وأجناسهم وفصولهم وتعريفاتهم وتقسيماتهم ، بل إن أكثر مادة الكتاب مستمدة من أصول يونانية أرسطية إما فلسفية وأما متأثره بكتاب الخطابة لأرسطو (٢) .

أهمية الكتاب في ميداني البلاغة والنقد الأدبي:

يعتبر كتاب قدامة قاعدة للدراسات البلاغية التي جاءت بعده ، والتي أصلت الاهتمام بالشكل الأدبي باعتباره مظهر للمضمون ، وكان منهجه الجديد خطوة لتدوين علوم البلاغة العربية وأصول النقد الأدبي ، صونا لهما من أن يذابا في التيار الفلسفي الدافق ، الذي فتن به من كان علي شاكلة قدامة من النقاد والبلاغيين ، والإبقاء علي عروبة النقد وصفائه وحفظه من الانقياد لحدود المنطق وتشريعات الفلسفة .

١ - نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدي فرهود ص ٤٧ ، ٤٨ .

٢ - راجع نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا د/ عبد السلام عبد الحفيظ ص ٨٨ ط دار

كان لكتاب نقد الشعر نفوذ واسع الانتشار بين المؤلفين في النقد والبلاغة منذ أبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي إلي ضياء الدين ابن الأثير وابن أبي الأصبع في القرن السابع ، وكان الكتاب مثار جدل ومناقشات صاحبة بين علماء النقد ، فلقد ألف الأمدي كتابا في " تبين غلط قدامة في نقد الشعر " ، وصنف ابن رشيق " كتاب تزييف نقد قدامة " ولابن أبي الأصبع المصري كتاب " الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه " ، وألف عبد اللطيف البغدادي - شرح قواعد الشعر لقدامة - وسماه " التكملة في شرح نقد قدامة " وله كتاب آخر بعنوان : " كشف الظلامة عن قدامة " (١) .

نموذج من كتاب نقد الشعر :

يقول قدامة في تعريف الشعر : " إنه قول موزون مقفي يدل علي معني . فقولنا قول دال علي أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر . وقولنا " موزون " ، يفصله مما ليس بموزون ، إذا كان من القول موزون وغير موزون ، وقولنا " مقفي " فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف وبين من لا قوافي له ولا مقاطع ، وقولنا " يدل علي معني " يفصل ماجري من القول علي قافية ووزن مع دلالة علي معني مما جري علي ذلك من غير دلالة علي المعني . . فإذ قد تبين أن الشعر هو ماقدمناه فليس من الاضطرار إذن أن يكون ماهذه سبيله جيدا أبدا ولا رديئا أبدا ، بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران : مرة هذه وأخري هذه علي حسب مايتفق " (٢) .

- عن مقدمة نقد الشعر ص ٤٩ .

- نقد الشعر تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ص ٦٤ ط مكتبة الكليات

بهذا الأسلوب المنطقي يعرف قدامة الشعر وينفي محترزاته ، لتخلص له عناصر الشعر الأربعة (اللفظ والوزن والقافية والمعني) وهي عناصر أساسية لابد منها ولا بد من اجتماعها ليقال فيما يتألف منا مجتمعة : إنه شعر .

وتنبه قدامة إلى أن اجتماع العناصر الأربعة لا يعني بالضرورة قيام شعر جيد ، " فليس من الاضطرار إذن أن يكون ما هذه سبيله جيدا أبدا ولا رديئا أبدا ، بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران مرة هذه وأخرى هذه ، علي حسب مايتفق " ، ولهذا انطلق قدامة يبحث في الوسائط التي ترقى بصناعة الشعر وتتجافي به عن الاسفاف ، وجعل ينعت العناصر الأربعة منفردة ومؤلفة بنعوتها المثالية في تقديره (١) .

قضية اللفظ والمعنى

من أهم القضايا التي شغلت النقاد العرب قضية اللفظ والمعنى ، وقد اختلفت وجهات النظر حول هذه القضية ، منهم من يرد أهم مقومات العمل الأدبي ، وأقوي دعائم نجاحه ، إلي المعنى مقلدا من شأن اللفظ في ذلك ، ومنهم من يردّها إلي اللفظ ومنهم من يسوي بينهما .

فمن الذين عرفوا بالاحتفال بالمعنى وتقديمه أبو عمرو الشيباني والأمدى وأبو تمام والمتنبى وابن الرومي وابن الأثير ، وهؤلاء لم يسقطوا شأن الألفاظ في الكلام ، ولكنهم يؤخرون مرتبتها وتأثيرها ، وينزلونها في الأهمية منزلة تالية للمعنى وقد بنوا رأيهم على ان المعانى هي ضالة الناس وغايتهم ، وأنهم يتكلمون للدلالة عليها ويلبسونها الألفاظ للإبانة عنها ، فما الألفاظ إلا وسيلة لتلك الغاية (١) .

فإذا تركنا أنصار المعانى المقدمين لها فى الكلام وجدنا فى الجانب الآخر أنصار الألفاظ ، الذين يفضلونها ويشيدون بأثرها ، ويرعون حقها ، ويرون فى الصياغة المقوم الحق للأدب ، فلا بد عندهم من أن تستوفى الجمال والعبارة خصائص الصياغة الفنية على يد الشاعر والكاتب والخطيب ليدخل الكلام بذلك فى باب الأدب .

والجاحظ على رأس النقاد الذين احتقلوا بالألفاظ ، ولذلك نجده يرد على أبى عمرو الشيبانى الذى يقدم المعنى فيقول : " وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى ، والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى ، والبدوى والقروى والمدنى ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن وتخير اللفظ ،

١ - فى النقد الأدبي عند العرب د / محمد الطاهر درويش ص ١٩١ .

وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ؟ وجودة السبك ، فإنما الشعر صياغة ، وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير " (١)

ولكن علينا - مع هذا - أن نذكر أن الجاحظ يشيد بقيمة المعنى في غير موضع ، مما يدل على أنه لم يعن باللفظ إلا لجلاء الصورة الأدبية ، ولهذه الصورة أوثق رباط بالمعنى .

على أن من نقاد العرب من كانوا ينظرون إلى اللفظ والمعنى على سواء ، ومن أقدم ما أثر في هذا صحيفة بشر بن المعتمر ، يدعو فيها إلى ترك التكلف والتوعر " فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك وبشيش ألفاظك ، ومن أراغ معنى كريما فيلتمس له لفظا كريما ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما " . وأولى المنازل عنده " أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معنك ظاهرا مكشوفًا وقريبا معروفا ، عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، والعامة إن كنت للعامة أردت ، فالمعنى لا يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، ولا يتضع أن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الأمر على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحالى ، وما يجب لكل مقام من المقال " (٢) .

وتدل هذه العبارات على أن بشرا يساوى في المنزلة بين اللفظ والمعنى ، ويحفظ لكل منهما حقه في وجوب العناية به ، والحكم على الأديب بالفنية بقدر ما يستطيع الإجادة فيهما معا (٣) .

١ - الحيوان ١٣١/٣ - ١٣٢ .

٢ - البيان والتبيين ١/ ١٣٤ - ١٣٩ .

٣ - دراسات في نقد الأدب العربي د/ بدوى طبانه ص ١٤١ .

ولا تجد فى تلك العبارات ما يشعر بالغض من قيمة أحدهما ، أو محاولة الإلتصار له على حساب الآخر ، أو القول بأن فنية الأديب تبدو فى أحدهما دون الآخر . وتلك هى النظرة الأولى ، وهى فى الوقت نفسه النظرة المثلى إلى الفن الأدبى ، وما ينبغى أن يتوافر فى ركنيه من الجودة ووجوب الرعاية والاهتمام بكل منهما .

هذه هى وجهات نظر النقاد العرب القدامى ، فى شأن قضية اللفظ والمعنى وهى وجهات متقاربة ، تكاد تجتمع على أهمية اللفظ والمعنى فى العمل الأدبى وإن كانت هذه النظرة قد تطورت واتجهت اتجاها جديدا نحو ما يسمى بنظرية (النظم) التى استقرت عند عبد القاهر الجرجانى ، والتى بدأت شعاعا خافتا يلمع فى أذهان بعض النقاد من قبله ، حتى أصبحت منارا وهاجا على طريق النقد البلاغى عنده .

قضية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجانى .

جاء عبد القاهر الجرجانى بعد أصحاب هذه المذاهب جميعا ، وقد استفاد كلامهم فيها ، وجدلهم حولها ، فاجتمعت لديه آراؤهم ، وأفاد من خبرتهم ، ولكنه تجاوزهم إلى رأى خاص ، وكانت له فى هذا المجال أصالة وتعمق ، وكان صاحب مدرسة فى النقد ، أدرك فيها ما لم يدرك النقاد . ونستطيع أن نلخص ما قاله عبد القاهر فى هذه القضية فيما يأتى (١) .

١ - راجع مقدمة تحقيق دلائل الإعجاز للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى ص ٢١ مابعدھا

أولاً :-

- ١- يرى عبد القاهر أن اللفظ رمز لمعناه ، وهو فى ذلك يتلاقى مع كل النقد العالميين القدامى والمحدثين ، ومع مدرسة الرمزية فى اللغة ، فالكلمة رمز للفكرة أو التجربة أو العاطفة أو المعنى ، وقيمتها فيما ترمز إليه ، وليست فى البلاغة وحدها .
- ٢- العلاقات الأسلوبية بين الألفاظ هى فى رأى عبد القاهر موطن البلاغة ، وهى ما عبر عنه بالنظم وما يعبر عنه بالنقاد عنه بالشكل أو الصورة ، فمن مجموعة العلاقات بين الألفاظ فى النص الأدبى تتكون الصورة ، وفيها تظهر البلاغة أو الجمالية
- ٣- ولا يغفل عبد القاهر أهمية المعانى الثانوية و دلالتها الجمالية فى النص الأدبى ، سواء كانت هذه المعانى الثانوية لزومية ، أو من مستتبعات التراكيب ، أو أثرا لرموز صوتية ، وإيحاءات نفسية ، فهى التى تعطى الأسلوب دلالاته البلاغية ، وتمنحه قيمة جمالية

ثانياً :

من كل هذه القيم صاغ عبد القاهر فلسفته البلاغية التى جعل محورها نظريّة فى النظم التى ربط فيها بين اللفظ والمعنى وبين دلالات الألفاظ الأسلوبية و دلالاتها الثانوية وجعل النظم وحده هو مظهر البلاغة ومثار القيمة الجمالية فى النص الأدبى .

وكل ذلك هو أساس فكرة عبد القاهر فى كتابه دلائل الإعجاز الذى شرح فيه نظريّة فى النظم ، وعرض للتطبيق الأدبى عليها ، وجلاها فى الكتاب فى أجلي صورة وأوضح بيان .

وفكرة النظم تقوم على أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلمات مفردة ، ولكنها تتفاضل في ملائمة معانيها للمعاني التي تليها في السياق الذي وردت فيه ، وأن اللفظة قد تروق وتحسن في موضع ، وتنقل وتوحش في آخر ، وأن التأمين والنظم هو وحده الذي يحدد ملائمة الكلمة وعدم ملائمتها بالنسبة لما قبلها وما بعدها يقول في ذلك :

" وهل يقع في وهم أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التآليف والنظم بأكثر من تكون هذه مألوفة مستعملة ، وتلك غريبة وحشية ، أو أن تكون حروف هذه أخف ، وامتزاجها أحسن ، وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملائمة معناها لمعاني جارتها ؟ " " وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى (وقيل يا أرض أبلغي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقض الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع ، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأول بالثانية ، والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها ، وأن الفضل تناج ما بينها ، وحصل من مجموعها "

" وإن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية ؟ قل (ابلعي) واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها ، ولا إلى ما بعدها . وكذلك فاعتبر سائر ما يليها ، وكيف بالشك في ذلك و معلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ، ثم أمرت ، ثم في أن كان النداء بيا دون أي نحو يا أيتها الأرض ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال ابلعي الماء ، ثم أن اتبع نداء الأرض

وأمرها بما هو شأنها نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم أن قيل
 وغيض الماء وجاء الفعل على صيغة فعل - المبنى للمجهول - والداله على
 أنه لم بعض إلا بأمر آمر ، وقدرة قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى :
 (وقضى الأمر) ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو (استوت على الجودى)
 ثم إضمار السفينة قيل الذكر كما شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ثم
 مقابلة قيل فى الخاتمة بقيل فى الفاتحة ، أفترى لشي من هذه الخصائص التى
 تملؤها بالإعجاز روعة ، وتحضرها عند تصورك هيبة تحيط بالنفس من
 أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع ، وحروف تتوالى فى النطق ؟
 أم كل ذلك لما بين معانى الألفاظ من الاتساق العجيب ؟ (١) .

وبهذا تكون قد نضجت على يد عبد القاهر قضية اللفظ والمعنى ، أو
 الشكل و المضمون ، أو الفكرة وقالها الفنى ، وإن رأينا - كسائر نقاد العرب
 - لم يتجه إلى فكرة وحدة العمل الأدبى باعتباره كلا ، وإنما قصد إلى الصورة
 الأدبية المفردة ، التى يتكون العمل الأدبى من مجموعها .

١ - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ٩٣ وما بعدها .

مصادر البحث ومراجعته

- ١- اتجاهات النقد الأدبي د/ محمد السعدى فرهود ط دار الطباعة المحمدية
الطبعة الثالثة - ١٩٨٠ م .
- ٢- أثر القرآن فى تطور النقد العربى د/ محمد زغلول سلام ط دار المعارف .
- ٣- أصول النقد الأدبي أحمد الشايب الطبعة الثامنة ١٩٧٣ .
- ٤- الأدب فى عصر النبوة والخلفاء الراشدين د/ صلاح الدين الهادى ط الثانية
١٩٧٩ - المؤلف .
- ٥- الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني ط دار الشعب .
- ٦- الأمالى لأبى على القالى ط دار الكتب العلمية بيروت .
- ٧- البيان والتبيين للجاحظ ط دار الكتب العلمية بيروت .
- ٨- البلاغة تطور وتاريخ د/ شوقى ضيف ط دار المعارف .
- ٩- تاريخ الأدب العربى للأستاذ أحمد حسن الزيات ط نهضة مصر .
- ١٠- تاريخ الأدب فى العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ط دار المعارف
التاسعة .
- ١١- تاريخ الأدب فى العصر الإسلامى د/ شوقى ضيف ط دار المعارف
الثامنة .
- ١٢- تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول د/ شوقى ضيف ط دار المعارف
السادسة .
- ١٣- تاريخ الأدب فى العصر الأموى د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ط مكتبة
الكلية الأزهرية .
- ١٤- تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول د/ محمد عبدالمنعم خفاجى
ط مكتبة الكلية الأزهرية ١٩٨١ .

- ١٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب أ/ طه أحمد إبراهيم ط دار الحكمه بيروت
- ١٦- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة د/ محمد زغول سلام . ط منشأة المعارف
الأسكندرية .
- ١٧- تفسير الطبرى ط دار الريان للتراث .
- ١٨- الحياة الأدبية فى الجاهلية وصدر الإسلام . للدكتورين/ محمد عبد المنعم
خفاجى وصلاح الدين محمد عبد التوات ط مكتبه الكليات الأزهرية .
- ١٩- دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد سنه ١٩٧٧ المؤلف .
- ٢٠- دراسات فى النقد الأدبى د/ كامل السوافيرى ط مكتبه الوعى العربى .
- ٢١- دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طيبانه ط مكتبه الأنجلو .
- ٢٢- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق د/ محمد عبد المنعم
خفاجى . ط مكتبه القاهرة ١٩٧٧ .
- ٢٣- الذوق الأدبى د/ عبد الفتاح على عفيفى . ط مطبعة الأمانه الأولى ١٩٨٧
- ٢٤- شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى لعباس محمود العقاد . ط مكتبه
النهضة المصرية .
- ٢٥- الشعر فى الإسلام د/ أحمد فؤاد الغول . ط دار لوران للطباعة والنشر
بالأسكندرية .
- ٢٦- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الثالثة ١٩٧٧
- ٢٧- الصناعتين لأبى هلال العسكري تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو
الفضل إبراهيم . ط دار الفكر العربى .
- ٢٨- الصورة الأدبية تأريخ ونقد د/ على على صبح . ط دار إحياء الكتب
العربية عيسى الحلبي .

- ٢٩- طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر . ط مطبعة
المدني .
- ٣٠- عن اللغة والأدب والنقد د/ محمد أحمد العزب . ط دار المعارف .
- ٣١- العقد الفريد لابن عبدربة . ط مكتبة الرياض الحديثة .
- ٣٢- العمدة لابن رشيّق تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد . ط دار
الجيل بيروت .
- ٣٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني . ط دار إحياء
التراث العربي بيروت .
- ٣٤- في ميزان النقد الأدبي د/ طه مصطفى أبوكريشة ط المليجي .
- ٣٥- في الأدب الإسلامي د/ سليمان حسن ربيع . ط مطبعة السعادة .
- ٣٦- في النقد الأدبي عند العرب د/ محمد طاهر درويش . ط دار المعارف .
- ٣٧- الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري د/ محمد عبد المنعم
خفاجي . ط رابطة الأدب الحديث .
- ٣٨- القاضي الجرجاني وكتابه الوساطة د/ صلاح الدين محمد عبد التواب
ط دار الطباعة المحمدية ١٩٧٥ .
- ٣٩- القاضي الجرجاني د/ أحمد أحمد بدوي . ط دار المعارف الثامنة .
- ٤٠- الكامل للمبرد . ط مؤسسة المعارف بيروت .
- ٤١- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد (٥٩) ١٤٠٣ هـ .
- ٤٢- معالم النقد الأدبي د/ عبد الرحمن عثمان ط مطبعة المدني ١٩٦٧ .
- ٤٣- مراحل البحث البلاغي في اللغة العربية د/ حسن إسماعيل عبدالرازق
ط دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ .

- ٤٤- موقف الإسلام من الشعر د/ صلاح الدين محمد عبدالتواب . ط مطبعة السعادة ١٩٨١
- ٤٥- من مظاهر النقد الأدبي عند العرب د/ رفعت محمود عفيفي . ط دار الطباعة المحمدية ١٩٩٠ .
- ٤٦- المقاييس البلاغية عند الجاحظ د/ فوزى السيد عبدربه . ط دار الثقافة والنشر والتوزيع ١٩٨٣ .
- ٤٧- الموشح للمرزبانى تحقيق محمد على البجاوى . ط نهضة مصر .
- ٤٨- الموازنة للأمدى تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد . ط دار الباز للطباعة .
- ٤٩- نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدى فرهود . ط دار الطباعة المحمدية، الثامنة .
- ٥٠- نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجى . ط مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٥١- النتاج الأدبى للشيخ عبدالمتعال الصعدي د/ مصطفى عبدالرحمن إبراهيم رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة .
- ٥٢- النثر الفنى عند الإمام على د/ مصطفى عبدالرحمن إبراهيم رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة .
- ٥٣- النظرة النبوية فى نقد الشعر د/ وليد قصاب . ط مكتبة الحديثة العين .
- ٥٤- النقد الأدبى أصوله ومناهجه للأستاذ سيد قطب ط دار الشروق .
- ٥٥- النقد الأدبى د/ سعد ظلام ط مطبعة الأمانة .
- ٥٦- النقد الأدبى للأستاذ أحمد أمين ط مكتبة النهضة المصرية الرابعة .
- ٥٧- النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال ط دار العودة بيروت .

- ٥٨- النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ط دار نهضة مصر .
- ٥٩- النقد في العصر الجاهلي وصدر الإسلام د/ محمد إبراهيم نصر ط دار الفكر العربي
- ٦٠- النقد الأدبي في أطوار تكوينه عند العرب د/ محروس منشاوي الجالي ط دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ .
- ٦١- الوساطة بين المتنبي وخصومة للقاضي الجرجاني تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي ط عيسى الحلبي .
- ٦٢- يتيمة الدهر للثعالبي ط دار الباز للنشر والتوزيع .

الصفحة	الموضوع	فهرس الموضوعات
١	مقدمة	
٣	الفصل الأول: النقد والناقد	
٤	تعريف النقد	
٥	مهمة النقد ووظيفته	
٧	أهمية التأريخ للنقد	
٧	الناقد	
٩	شروط الناقد الأدبي	
٩	أولا : الذوق	
١٣	ثانيا : الثقافة	
١٧	ثالثا : تمرس الناقد بالنقد وخبرته	
٢١	رابعا : ضمير الناقد الأدبي	
٢٤	شروط أخرى	
٢٦	الفصل الثاني: النقد في العصر الجاهلي	
٢٧	تمهيد	
٢٩	صور النقد في العصر الجاهلي	
٢٩	أولا: النقد الذاتي التأثري ويشمل	
٣٠	أ- النقد اللغوى	
٣٢	ب- النقد المعنوى	
٤١	ج- النقد العروضى	
٤٢	د- تقديم الشعراء	

الصفحة	الموضوع
٤٣	ثانيا : النقد الذى مبعثه الروية والأناة ويشمل
٤٣	(أ) التتقيف والتتقيح
٤٧	(ب) الرواية والتلمذة
٤٩	(ج) الاختيار
٥١	طبيعة الأحكام النقدية وسماتها فى العصر الجاهلى ويشمل
٥١	أ- الذوق الفطرى
٥٢	٢- الارتجال فى الأحكام
٥٣	٣- الجزئية
٥٤	٤- العموم
٥٤	٥- الإيجاز
٥٥	الفصل الثالث: النقد فى عصر صدر الإسلام
٥٥	تمهيد
٥٩	موقف الإسلام من الشعر والشعراء
٦٨	النظرة النبوية فى النقد الأدبى وتشمل
٦٨	١- نقد المضمون
٧٣	٢- نقد الشكل ويشمل

الصفحة	الموضوع
٧٣	الطبع والتكلف
٧٤	جمالها اللفظة واختيارها
٧٥	الإيجاز
٧٦	٣- الحكم على الشعراء
٧٩	النظرة العمرية في النقد الأدبي
٧٩	(أ) النظرة الموضوعية
٨٥	(ب) النظرة الدينية الخلقية.
٨٨	النظرات النقدية لبقية الخلفاء الراشدين
٨٨	أبو بكر
٨٩	عثمان
٩٠	علي
٩١	المقاييس النقدية في عصر صدر الإسلام
٩١	١- الإلتزام بمبادئ الخلق والدين
٩٢	٢- الموضوعية
٩٣	٣- وضع الأسس النقدية للموازنات الأدبية
٩٤	الفصل الرابع النقد في العصر الأموي
٩٥	عوامل ازدهار النقد في العصر الأموي
٩٥	١- تشجيع الخلفاء والأمراء
٩٨	٢- الصراع السياسي وما خلفه من أحزاب

الصفحة	الموضوع
٩٩	٣- مجالس النقد
١٠٢	٤- تعدد مراكز الشعر وأسواقه .
١٠٣	٥- النقائض
١٠٤	٦- نشأة علوم العربية .
١٠٦	المدارس النقدية في العصر الأموي
١٠٦	تمهيد
١٠٧	أولاً: مدرسة الحجاز
١١٦	ثانياً : مدرسة الشام
١١٩	ثالثاً : مدرسة العراق .
١٢٤	سمات وخصائص النقد في العصر الأموي .
١٢٧	الفصل الخامس: النقد في العصر العباسي
١٢٨	تمهيد
١٢٩	عوامل ازدهار النقد في العصر العباسي
١٢٩	١- غزارة ثقافته وتعدد روافدها
١٣٠	٢- عناية الخلفاء والأمراء بالشعراء
١٣٢	٣- الخصومة حول الشعراء
١٣٤	٤- نشاط حركة النقل والترجمة .
١٣٦	٥- الأثر القرآني
١٣٨	٦- الحركة اللغوية

الصفحة	الموضوع
١٤٠	٧- العوامل الاجتماعية
١٤١	اتجاهات النقد فى العصر العباسى
١٤٣	ظهور النقد المنهجى عند العرب
١٤٥	الموازنة للآمدى
١٤٥	الآمدى
١٤٦	أهمية كتاب الموازنة فى النقد الأدبى
١٤٧	منهج الأمدى فى الموازنة
١٤٩	أهم القضايا النقدية فى كتاب الموازنة
١٤٩	١- الذوق ومقاييسه
١٥١	٢- العمودية أو عمود الشعر
١٥٥	٣- الصورة الأدبية
١٥٨	٤- الناقد
١٦٠	نماذج من كتاب الموازنة
١٦٤	أهم المآخذ التى وجهت إلى كتاب الموازنة
١٦٥	الوساطة بين المتنبى وخصومة
١٦٥	الجرجاني
١٦٦	سبب تأليف القاضى الجرجاني لكتابه الوساطة
١٦٧	أهمية كتاب الوساطة فى النقد الأدبى
١٦٨	منهجه فى الوساطة

الصفحة	الموضوع
١٧٠	أهم القضايا النقدية في كتاب الوساطة
١٧٠	١- الخلق الفنى أو الشعرى
١٧١	٢- أثر الطبع والبيئة فى أسلوب الشعر
١٧٣	٣- الفصل بين الدين والشعر
١٧٤	٤- المنهج النفسى
١٧٦	٥- اختلاف الأسلوب باختلاف الغرض
١٧٦	٦- تنوع الجمال الأدبى بين الذاتية والموضوعية
١٧٩	٧- عمود الشعر
١٨٠	٨- البديع
١٨٠	٩- السرقات الأدبية
١٨٢	أهم المآخذ التى وجهت إلى كتاب الوساطة
١٨٣	بين الأمدى والجرجانى
١٨٥	تحول النقد الأدبى إلى بلاغة
١٨٦	البديع فى نقد الشعر
١٨٩	نقد الشعر لقدامة بن جعفر
١٨٩	قدامة
١٩٠	سبب تأليفه لنقد الشعر
١٩١	منهجه فى كتاب نقد الشعر
١٩٢	الأقسام الأساسية لكتاب نقد الشعر
١٩٣	أهمية الكتاب فى ميدانى البلاغة والنقد الأدبى

الموضوع	الصفحة
نموذج من كتاب نقد الشعر	١٩٤
قضية اللفظ والمعنى	١٩٦
قضية اللفظ والمعنى عند القاهر الجرجاني	١٩٨
المصادر والمراجع	٢٠٢

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٧/١٠٧٩١

الترقيم الدولي I.S.B.N
977-19-4299-9